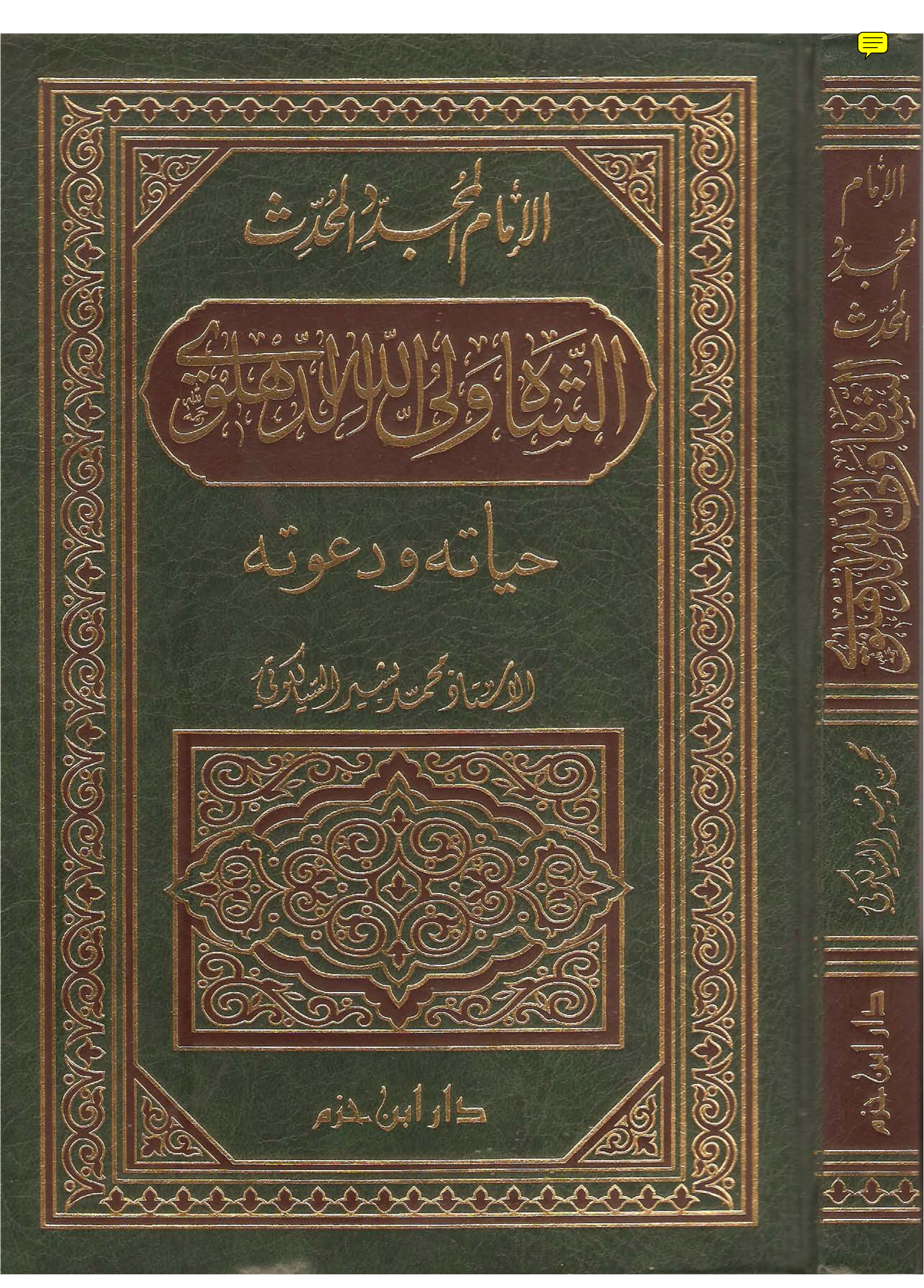
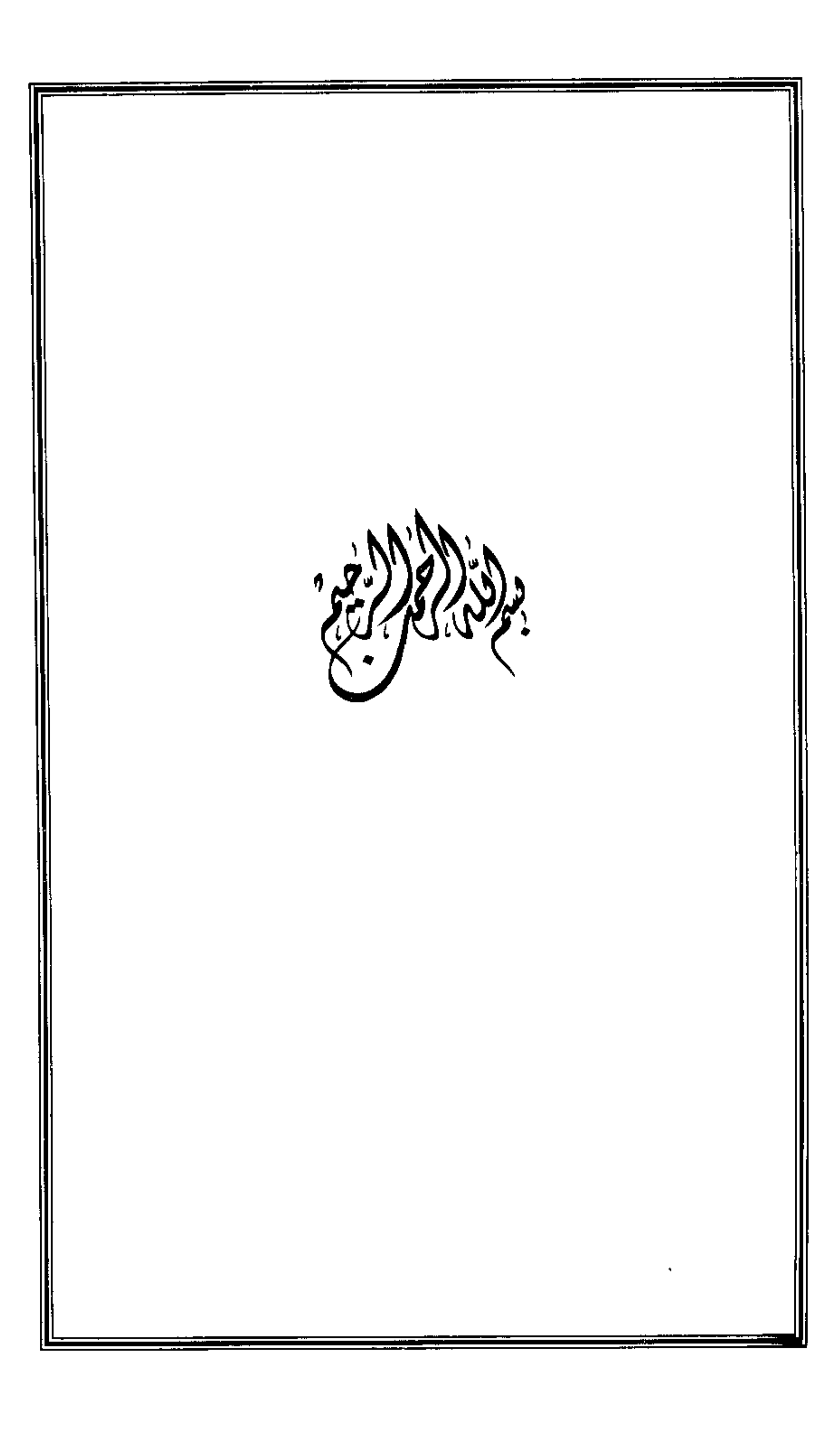

الإمام المجدد المحدث
الشاه ولي الله الدهلوي
حياته ودعوته
الأستاذ محمد بشير السيالكوتي
دار ابن حزم


بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام المجدد المحدث

الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله

حياته ودعوته

الأستاذ محمد بشير السيالكوتي

دار ابن حزم

الطبعة الأولى لدار ابن حزم

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدّمـة

الحمد لله ربّ العالمين ، و الصلاة و السلام على خاتم النبيين محمد العربى الذى بعثه الله هدى و رحمة للعالمين ، و على آله و أصحابه و خلفائه الطيبين الطاهرين ، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، و بعد

فإن حكيم الأمة مجدّد الدين علامة الهند الشاه ولى الله المحدث الدهلوى سيد العلماء الذين أنجبتهم الهند حتى الآن ، و بلغ منزلة المجددين و المصلحين الأفذاذ المعدودين فى هذه الأمة . و لقد كان لدعوته و مدرسته الفكرية التى هو إمامها و رئيسها دور لانظير له فى إظهار دين الاسلام ، و خدمة العلوم الإسلامية تدريسا و تأليفا و نشرا فى هذه المنطقة خاصة . و لاتزال مؤلفاته التى تمتاز باستقامة الفكر و غزارة المعانى و قوة الحجة و التحليل العلمى الرصين ، مرجعا يستفيد منه العلماء و المحدثون و الفقهاء و المفكرون و الزعماء فى شبه قارة باكستان و الهند و بنغلاديش و البلاد المجاورة خاصة ، و غيرها من بلدان العالم الإسلامى عامة . و لاتزال حركة الاصلاح و التجديد و الجهاد التى كان بدأها و رفع لواءها بعده أنجاله البررة و تلامذتهم و أتباعهم المخلصون ، تنير الطريق للعلماء و الزعماء و المصلحين و المثقفين و الحركات الاسلامية حتى اليوم .

و من الأعمال الخالدة التى خلفها الإمام المحدث الشاه ولى الله

الدهلوى كتابه

إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

و هو سفر علمى عظيم و عديم النظير فى شرح المباحث و المسائل الخاصة بالخلافة الاسلامية و السياسة الشرعية بأصولها و فروعها، ذكر فيه مكانة الخلفاء الراشدين الأربعة و غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم و أرضاهم، و مآثرهم و مناقبهم فى العلوم و الدين و السياسة بالعمق والشمول بأسلوبه العلمى الفريد . فحوى نكاتا بديعة و فوائد نادرة مهمة لايستغنى عنها عالم او باحث ، و اشتمل على دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الاسلامى بجميع عصوره و مراحلها من النواحى الدينية و العلمية و الاجتماعية و السياسية بدءا بعصر النبوة و انتهاء بعصر المؤلف رحمه الله و غفر له . فصار بميزاته هذه مرجعا مهمًا للعلماء و الباحثين . قال عنه العلامة الشيخ السيد عبد الحي الحسنى فى كتابه نزهة الخواطر (ج٦ ص٤٠٩):

> "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء " كتاب عديم النظير فى بابه ، لم يؤلف مثله قبله و لا بعده ، و يدلّ على أن صاحبه لبحر زخار لا ساحل له " .

وكان ألفه بالفارسية التى كانت اللغة الرسمية و لغة التعليم و الثقافة فى عصره و يقع فى مجلدين. يحتوي المجلد الأول على ٣٣٦ صفحة كما يحتوى المجلد الثانى على ٢٨٤صفحة من القطع الكبير. و تلقى القبول و الرواج فى هذه البلاد ولاتزال تطبع منه طبعات متتابعة باللغتين الفارسية و الأردية .

نظرا الى مكانته وقيمته العلمية قرر فضيلة الشيخ الجليل محمد اسحاق جيمه حفظه الله مدير ادارة العلوم الاثرية بمدينة

فيصل آباد (باكستان) تعريبه و طبعه باللغة العربية ليستفيد منه العالم العربى و الاسلامى أجمع ، فشكلت سنة ١٤١٠ هـ لجنة ثلاثية مؤلفة من أعضائه :

(١) فضيلة الشيخ الجليل المحقق إرشاد الحق الأثرى

(٢) فضيلة الشيخ الفاضل عبدالحى الأنصارى

ليقوما بتخريج الأحاديث و الآثار و الأقوال الواردة فيه و تحقيقها

(٣) كاتب هذه السطور

ليتولي تعريبه و إعداده للطبع ، و الإشراف على نسخ المسوّدة بالآلة الكاتبة .

و كنت منذ عهد طفولتى أشعر نحو هذا الامام العظيم بشعور يمتزج فيه الاجلال و التقدير و المحبة . و لما كلفت القيام بتعريب هذا الكتاب أقبلت على دراسة مؤلفاته ومعرفة سيرته و دعوته فازددت إكبارا و إعجابا بشخصيته الفذة ، و ازداد اهتمامى بمعرفة الحركة الاسلامية – حركة الاصلاح و الجهاد السلفية ، و هى أول حركة اسلامية قامت فى هذه المنطقة – و التى كان بث روحها و أشعل شعلتها فى نفوس أبنائه و جميع من تخرجوا عليه ، و التى صارت بعده بمثابة قيادة إسلامية بديلة لمسلمى الهند عندما انهارت الدولة الاسلامية فيها . فأنقذتهم من الخذلان و الضياع الفكرى والاجتماعى ، و زودتهم من الايمان و العمل و الجهاد ما أنار لهم الطريق المستقيم لحفظ وجودهم و شخصيتهم و حضارتهم فى هذه البلاد النائية عن مركز الاسلام .

و قد رأيت فى أثناء هذه الدراسة أن اكتب رسالة موجزة عن حياته ، أستعرض فيها شخصيته ، و جوانب نبوغه ، و زعامته الفكرية و الدينية و الاجتماعية و السياسية ، و أتحدث عن أعمال الاصلاح و التجديد التى

تمت على يديه ، وفاء بشئ من حقّه على أهل هذه المنطقة خاصة و على العالم الاسلامى بأسره عامة ، ومساهمة فى تسهيل الاستفادة من سيرته ومنهج دعوته لرجال الدعوة و الفكر و الحركات الاسلامية .

كما رأيت من المناسب أن أتبع ترجمته تعريفا موجزا بحركة الاصلاح و التجديد و الجهاد - و هى أول حركة جهادية فى تاريخ الهند - التى قادها العالمان الجليلان المجاهدان الامام السيد احمد بن محمد عرفان الحسنى الشهيد و العلامة الشاه محمد اسماعيل الشهيد حفيد الامام الشاه ولى الله الدهلوى، فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى فى منطقة الحدود بين البنجاب و افغانستان، لأنها امتداد و تتمة لمساعيه ، و قامت لتطبيق المبادئ الاسلامية السامية التى نادى بها و اشتملت على جميع الأصول والخصائص التى تميّز دعوته.

هذا ما أردت الكتابة عنه فى الصفحات التالية باذلا جهدى المتواضع و متوخيا الإيجاز ما استطعت . و أسأل الله تعالى أن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه الكريم ، و أن يلهمنا الصواب و السداد . انه سميع مجيب .

محمد بشير السيالكوتى

مدير

معهد اللغة العربية

باسلام اباد- باكستان

٧ رجب ١٤١٣هـ

١٩٩٣/١/١م

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة

الإمام الربانى محى السنة
شيخ الاسلام الشاه ولى الله الدهلوى

غفر الله له و رفع درجاته

بقلم محمد بشير السيالكوتى
مدير معهد اللغة العربية
و مدير دار العلم
اسلام اباد - باكستان

و لكى نطلع على شخصية الإمام رحمه الله ، و نعرف قيمة الأعمال التى قام بها ، يجب أن نستعرض أولا العصر و البيئة التى نشأ و عاش فيها من النواحى السياسية و الاجتماعية و الدينية بايجاز.

عصره و بيئته

أ-سياسيا

يعتبر عصر الإمام الربانى والعارف الجليل المحدث الشاه ولى الله الدهلوى عصر الفوضى و الاضطرابات السياسية والاجتماعية؛ كثرت و تتابعت فيه الفتن و الثورات و النزاعات و الحروب الداخلية ، وشهد تمرد الكفار من السيخ و المرهتة و الزط واستيلاءهم على كثير من المناطق والولايات .

كان ولد فى نهاية عصر الامبراطور المغولى العادل الصالح الزاهد أبى المظفرأورنك زيب عالمكير الذى حكم الهند أكثر من خمسين سنة (من ١٠٦٨هـ الى ١١١٨هـ) حكما إسلاميا حازما مثاليا، وطبق أحكام الشريعة و أحيا شعائر الإسلام ، و قضى على كثير من البدع و المنكرات. وكان يكرم العلماء و يعنى بنشر العلوم الاسلامية. بلغت الدولة الاسلامية فى عصره أوجها و اتسعت رقعتها من حدود الصين إلى بولندا و من حدود العراق الى غابات سيبيريا، وشهدت استقرارا سياسيا و اجتماعيا ساعد على ازدهار الحضارة و الاقتصاد و استتباب الأمن و النظام. و توفى اورنك زيب عالمكير فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١١١٨هـ و لم يتجاوز عمر الشاه ولى الله الدهلوى أربع سنوات.

و كانت وفاته بداية ضعف الدولة المغولية وتفككها الداخلى. فخلفه على عرشها ملوك ضعاف أكثرهم منحلون ، كانوا لا يملكون من أمرهم شيئا. و كان كل منهم أضعف قوة من سلفه. كانوا ينصبون و يعزلون من قبل أمراء الولايات و ولاة المقاطعات الذين كانوا يستبدون بالأمور دونهم و يتطاولون عليهم ، و أحيانا يخرجون على الدولة دونما خوف أو تهديد. و قد عاشر الإمام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى تسعة منهم ، و هم:

(١) بهادر شاه الأول

لما توفى أورنك زيب عالمكير نشبت حرب داخلية دامية بين أبنائه الثلاثة لاختلافهم على تولى الحكم بعده ، فقتل فيها اثنان و انتصر بهادر شاه الذى استولى على جميع أطراف الدولة و حكمها خمس سنوات

حكما واهنا . وكان عادلا رحيما محبا للعلم و العلماء لكن ضعيف الرأى غير بصير بأمور الملك و قليل الاهتمام بالشؤون السياسية . فاشتدت شوكة كفار المرهتة و فتنتهم . فكانوا يظلمون الناس و ينتهكون الأعراض و ينهبون الأموال . و لم يستطع الملك مقاومتهم و القضاء على شرورهم فاضطر الى مصالحتهم بقبول بعض شروطهم . و يعتبر عمله هذا أحد الأسباب التى ادّت إلى انهيار الدولة فيما بعد (١) .

و كذلك اشتدت فتنة الكفار السيخ فى البنجاب فكانوا يهجمون على المسلمين فى قراهم و مساكنهم و يسفكون الدماء و يقتلون الرجال والنساء و الاطفال دون تمييز أو رحمة و يرتكبون مجازر جماعية . و لم يستطع الملك القضاء على شرورهم و إخماد ثورتهم .

و كذلك عظمت قوة كفار الراجبوت الذين أنشأوا دولة مستقلة لهم . فعمّت الفوضى وفقد الأمن و كثر السلب و النهب. و تتابعت المصائب على المسلمين خاصة و غيرهم من الرعيّة عامة .

---

(١) كان بهادر شاه الأول يميل الى التشيع . ولما قدم لاهور أمر علماءها بزيادة الكلمات (على ولى الله و وصى رسول الله) فى خطب الجمعة و العيدين . و لكن العلماء أبوا إطاعة أمره و أنكروه أشد الانكار و كان فى مقدمتهم الشيخان محمد مراد اللاهورى و يار محمد اللاهورى ، و أيدهم عامة الناس و حضروا اجتماع الجمعة فى الجامع الملكى (بادشاهى مسجد) بعدد كبير جدا للتعبير عن إنكارهم لأمره. و طلب الملك العلماء والفقهاء إلى مجلسه و جعل يستدل على صحة أمره من أقوال بعض المجتهدين فردّوا على أدلته ردا شافيا لكنه أصرّ على قوله و قبض على بعضهم . وكاد الأمر يؤدى الى فتنة عظيمة و فساد عريض لولا أن تدخل ابن الملك عظيم الشان الذى كان سنيا و أقنع أباه بسحب أمره.

(٢) جهاندار شاه

مرّة أخرى نشبت حرب دامية شديدة بعد موت بهادر شاه الأوّل بين أبنائه الأربعة لنزاعهم على تولى الحكم بعده . فقتل فيها ثلاثة و انتصر معزالدين جهاندارشاه و اعتلى سرير الملك . و كان حكمه أوهن من سلفه. و كان عاجز الرأى و ألعوبة بيد بعض وزرائه . و لم يلبث فى الحكم الا عشرة أشهر ثم حاربه و قتله فرخ سير فى حرب شديدة نصره فيها الأميران السيدان الشقيقان الشيعيان حسن على خان و حسين على خان. و كانا قوى نفوذهما و استفحل سلطانهما على الملك الذى لم يبق له من السلطة الا اسمها . فكانا ينصبان و يعزلان بل يقتلان من شاءا من الملوك .

(٣) فرخ سير

حكم الهند نحو ست سنوات . و كان ملكا ذكيا حازما و بصيرا بأمور الملك . أوقع بالمتمردين السيخ أشد العقاب وقضي على ثورتهم. و لما رأى إحاطة السيدين الشقيقين به و علم الدسائس التى يحوكان للاطاحة به قرر التخلص منهما و بذل محاولة لم ينجح فيها . فقبضا عليه و أعميا بصره و قتلاه شر قتلة !!

(٤) رفيع الدرجات

نصبه السيدان الشقيقان ملكا على البلاد بعد ما قتلا فرخ سير . و كان مريضا ضعيفا؛ فتوفى بعد شهرين من توليته .

(٥) رفيع الدولة

ولاه السيدان الشقيقان الملك. لكنه توفى بعد أيام من تمليكه.

(٦) محمد شاه

نصبه السيدان الشقيقان بعد ما أخرجاه من السجن . حكم البلاد نحو ٢٩ سنة . وكان متهاونا بأمور الملك غافلا عن شؤون الرعية و شغوفا باللهو و اللعب منصرفا الى التمتع باللذات و الشهوات . فاضطرب حبل الدولة و ازدادت ضعفا و هوانا . و شهدت سلسلة لاتنتهى من المصائب و الفتن والحروب الدامية والثورات العاتية . و تمكن المتمردون والثوار من اقتطاع ولايات و حكومات مستقلة من جسم الدولة .

و من مآثره أنه قضى على السيدين الشقيقين و أعوانهما قضاء نهائيا.

واشتدت فى عصره قوة كفار المرهته و تفاقم أمرهم حتى أغاروا على العاصمة و هزموا الجيش الملكى فصالحهم الملك مضطراً و على شروط مهينة.

وفى عصره هجم الملك الايرانى نادر شاه على الهند ولعل ذلك بدعوة من أمراء الشيعة. وخرج الملك لقتاله لكنه لم يستطع مقاومته و ردّ هجومه رغم كثرة عدد جيشه. فلم ير بداً من الانقياد له و مصالحته على شروطه. ولما دخل جيش نادر شاه المنتصر مدينة دلهى العاصمة كان يوما شديدا على أهلها إذ أغاروا عليهم و وضعوا فيهم السيف و قتلوا كل صغير و كبير و ذبحوا كل إنسان أو حيوان وجدوه!! و نهبوا و أفسدوا و جعلوا أعزّة أهلها أذلة. و يقدّر عدد القتلى الذين قتلوهم فى بضع ساعات بحوالى مأئة الف نسمة ، فإنا لله و إنا إليه راجعون !!

وفى ١١٦١هـ (١٧٤٧م) هجم الملك الافغانى أحمد شاه الأبدالى على الهند و استولى على لاهور و سرهند دون أى مواجهة . ولما أراد التقدم منعه الجيش الهندى ودارت بين الجيشين معركة شديدة قتل فيها رئيس وزراء الملك الذى تألم لموته شديدا و غلبه الحزن و أغمى عليه ثم مات . و عاد أحمد شاه الابدالى الى أفغانستان بغير أن يحتل الهند و لكنه عاد يواصل حملاته على الهند لأسباب عديدة. فكان يغير عليها بعد كل سنة أو سنوات و بلغ عدد حملاته تسعا خلال نحو ٢٢سنة. فأخذ الغرامات و أكثر جيشه القتل و النهب و السلب !!

(٧) أحمد شاه

بعد موت محمد شاه خلفه على سرير الملك ابنه احمد شاه الذى حكم نحو ست سنوات. و مازالت الدولة يتقلص ظلها شيئا فشيئا و استقلت ولايات أخرى. و اضمحل سلطان الملك و ضعف أمره حتى تجرأ بعضهم فأعمى بصره. ثم حبس فى سجن ، ثم لم يعلم عن مصيره شىء.

(٨) عالم كير الثانى

ثم تولى الملك بعده عالم كير الثانى الذى كان محبوسا فأطلق سراحه و جئ به ليتبوأ عرش الملك . وكان عجوزا ضعيف الرأى و ألعوبة بيد وزيره القاسى القلب غازى الدين الذى دبّر اغتياله . و بلغت الدولة من الضعف حدا تقلصت رقعتها إلى دلهى و توابعها.

(٩) شاه عالم الثانى

بعد ما قتل عالم كير الثانى خلفه ابنه شاه عالم الثانى على عرش الملك . و ظل مقيما بمدينة اله اباد لأكثر من عشر سنوات لم يستطع أن

يقدم عاصمته دلهى لأنه كان محاطا بالمؤامرات والدسائس من قبل بعض الأمراء و الإنجليز. و كان يعيش على مساعداتهم . تجرأ عليه أحد الأمراء الخونة و فقأ عينيه . و لم يكن يملك من أمره أو أمر الدولة شيئا .

نتيجة لحملات أحمد شاه الأبدالى و استيلاء الامراء ، و استقلالهم و تسلط الانجليز على بعض الولايات ، تقوضت دعائم الدولة المغولية تقوضا تاما . توفى شاه عالم الثانى سنة ١٢٢١هـ (١٨٠٦م) .

و كان الملكان أكبر شاه الثانى و بهادر شاه ظفر الذين توّجا بعده ملكين بالاسم فقط ، بل اسمين بلامسمّيين . و تقلص ملك الأول منهما إلى مدينة دلهى بينما تقلص ملك الثانى إلى القلعة الحمراء التى كان يسكنها مع أسرته . و كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد بسطت نفوذها و أحكمت قبضتها على مقاليد الأمور فكانت هى الحاكمة و صاحبة الكلمة النافذة و الملك لاحول له و لاقوة . ثم قضى الانجليز على الدولة فى ١٨٥٧م قضاء نهائيا، و احتلوا البلاد، و أصبحت الهند كلها مستعمرة بريطانية .

ب - اجتماعيا

هذه صورة لما كانت عليه الهند الاسلامية بعد أورنك زيب عالمكير من الأحوال السياسية والاجتماعية . أصبحت السياسة هزلا و الدولة ألعوبة . و انغمس اكثر الملوك والامراء فى اللهو و اللعب و أولعوا بالتمتع بالرقص و الغناء . و انتشرت الرذيلة و الفحشاء بين الخاصة و العامة إلا من عصمه الله . و اضطرب حبل النظام و فقد الأمن ، و قلت وجوه الرزق و الكسب الحلال و ضاقت الأرزاق و عمت المجاعات . و فشا الجور و الظلم .

و فسدت الاخلاق و فترت الهمم . و خلا الجو للمفسدين و قطاع الطرق فأكثروا القتل و السلب و النهب .

ج - دينيا

و من الناحية الدينية قل العلم والعلماء و أقفرت المساجد . وفشا الجهل و نفقت أسواق البدع و الأوهام و الاعتقادات الباطلة باسم التصوف و تحت ستار الروحانية يروجها الدراويش المشعوذون والفقراء الفاسقون والمتصوفون الأدعياء الذين كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل و يصدونهم عن سبيل الله . و كانوا يتجولون في القرى والمدن يحملون في أعناقهم السبحات و التمائم و التعاويذ و يوهمون الناس أنهم أولياء الله و خاصته و هم أبعد خلق الله عن الاسلام و الصلاح . فازداد الإقبال على القبور و الأضرحة يتبرك بها الناس باللمس و التقبيل و أحيانا بالسجود و الحج إليها وشد الرحال إليها كل سنة و يسألون أهلها حاجاتهم . و أصبحت هذه القبور و الزوايا مأوى أهل البطالة و العبث و المجون .

أضف إلى ذلك أن المسلمين يعاشرون الهندوس و السيخ المشركين و عبدة الأوثان و الأبقار فكانوا يقتبسون من عاداتهم و عباداتهم ويستسلمون لخرافاتهم طائعين أو مكرهين إلا من شاء الله .

و كانت حالة المسلمين فى الولايات العديدة التى استولى عليها الكفار من الهندوس و السيخ والمرهتة سيئة جدا. كانوا يعتبرون الاسلام عنصرا دخيلا على الهند ، و يدعون المسلمين إلى التخلى عن شعائر الإسلام و مظاهره من إعلان الأذان و إقامة الصلوات الخمس و الاحتفال بالعيدين و التسمى بأسماء عربية إسلامية و ذبح البقرة التى يقدسونها و

يشربون أبوالها . و يكرهونهم على اتخاذ تقاليدهم و عاداتهم الوثنية و يفرضون عليهم قيودا تساعد على إذابة شخصيتهم الاسلامية فى المجتمع الوثنى .وأحيانا يستولون علي المساجد و المعاهد الدينية فيغلقونها أو يحوّلونها الى مرابض و اصطبلات او يجعلونها معابدهم ، و يثيرون اضطرابات يتخذونها ستارا لتقتيل المسلمين و تشريدهم . وقد يقتلون رجالهم و يستحيون نساء هم فيسبونهن .

و كذلك تفاقم أمر الشيعة فى ذلك العصر و تغلغل نفوذ أمرا ءهم فى البلاط الملكى . فأصبحوا هم المسيطرين على الملوك و المتصرفين بأمورهم. فكانوا ينصبون لهم الحبائل و يبثّون لهم الغوائل و ينسجون لهم المكائد و يضربون بعضهم ببعض . و تعدّ المؤامرات والدسائس المعروفة التى دبروها من أهم الأسباب المؤدية إلى ضعف الدولة الإسلامية و سقوطها .

فانتهزوا الفرص لنشر عقائدهم و بثّ أباطيلهم و أوهامهم و عملوا على ترويج شبهاتهم و أهوائهم . فتأثّر بها العامة و الخاصة الذين لم يكونوا على علم كاف بجادة السنة السنية ، و تشبعت بها عقولهم و أفكارهم و تشيعت ميولهم . و كان للجهال من الدراوشة و الصوفية الذين يتسكعون دائما فى ظلمات الجهل و الشرك و يتخبطون فى البدع و الأوهام- التى أخذوها من البراهمة و البوذيين - دور كبير فى ترويج عقائدهم فى عامة الناس تحت ستار حب أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين.

أما العلماء و الشيوخ الذين جعلهم الله ورثة الأنبياء و حملة راية دينه ، فكان أكثرهم عاجزين عن حمل أمانة الاسلام و غافلين عن أداء

رسالتهم . كانت بضاعتهم من العلوم الاسلامية ضئيلة. اقتصرت دراستهم الدينية على كتب المتاخرين من فقهاء الحنفية وشروحها و حواشيها . و فشا فيهم التصوف المشوب بالاعتقادات الفاسدة والتقاليد الوثنية و استولى على عقولهم . فكانوا يرون أن الصلاح و التقرب الى الله سبحانه و تعالى ينحصران فى التمسك به . و كان زادهم الفكرى كتب العلوم العقلية اليونانية من المنطق و الفلسفة ، أكبوا على دراستها و تدريسها و شغلوا بالتفنن فى شرحها . و كان حظهم من القران الكريم و الحديث النبوى قليلا . وكانوا يتمسكون بفروع المذهب الحنفى و تفريعات علمائه و استحساناتهم بشدة ويتعصبون لها لأيحيدون عنها قيد أنملة .

ولم تكن عنايتهم بتلاوة القران الكريم الا للبركة و السعادة. كأنّهم يرون أن أئمة الاسلام و فقهاء الأمّة كفوهم مؤونة الرجوع الى الكتاب والسنة والأخذ منهما و تدبر ما فيهما من آيات و أحكام و بصائر وعبر . فحرموا الفهم الصحيح لعقيدة الاسلام و أصالته و أصوله . أصبحت الفروع الفقهية و المسائل التافهة شغلهم الشاغل ، و ألهتهم عن أداء رسالتهم . فلم يهتموا بنشر دعوة الاسلام الصافية و لم يستطيعوا إنكار ما توارثه الناس جيلا بعد جيل من البدع والأوهام والاعتقادات الباطلة التى حسبوها إسلاما و عبادة.

فى هذا الجوّ الحالك المكفهر الذى تشتت فيه شمل المسلمين و تسلط عليهم الاعداء و غلبهم الجهل ، بعث الله الامام المجدد الشاه ولى الله ليجدد للأمة دينها، و يعيدها إلى الاسلام ، و ليبدأ معركة إصلاح المسلمين و جهاد الكفار ، وليعدّ و ينظّم جيش العلم و الايمان بعد ما انهزم جيش الملك و السلطان .

نسبه

ينتهى نسب الشاه ولى الله الدهلوى ، كما ذكره هو فى رسالته "الإمداد فى مآثر الأجداد" إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فهو :

أحمد المعروف بشاه ولى الله ابن الشاه عبدالرحيم ابن الشيخ الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور بن احمد بن محمود بن قوام الدين المعروف بالقاضى قاون ابن القاضى قاسم ابن القاضى كبير المعروف بالقاضى بده بن عبدالملك بن قطب الدين بن كمال الدين بن شمس الدين المفتى بن شيرملك بن محمد عطا ملك بن أبى الفتح ملك بن عمر حاكم ملك بن عادل ملك بن فاروق بن جرجيس بن أحمد بن محمد بن شهريارين عثمان بن هامان بن همايون بن قريش بن سليمان بن عفان بن عبدالله بن عمربن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين .

و ينتهى نسبه من جهة أمه الى سيدنا موسى الكاظم رضى الله عنه .

قدوم أسلافه إلى الهند

يصرح الشاه ولى الله الدهلوى فى رسالته الامداد فى مآثر الأجداد " أن أول من قدم الهند من أسلافه هو المفتى شمس الدين (جدّه الثالث عشر) الذى كان نزل و توطن بلدة رهتك الواقعة فى إقليم البنجاب الشرقية (التى تقع الآن فى الهند) . و لعله كان قدمها فى بداية الفتح الإسلامى

للهند حين انتقل الى البلاد المفتوحة عدد كبير من الفاتحين العرب و استوطنوها . و كان عربيا من قريش كما صرح به الشاه ولى الله نفسه بقوله :

" كان المفتى شمس الدين عالما جليلا و عابدا تقيا وكان أول قرشى نزل تلك البلدة فنشر فيها أنوار الاسلام و أحيا شعائره و أزال طغيان الكفر و ظلماته ." (الإمدادفى مآثر الأجداد ص ٢)

وكان بنى فى هذه البلدة مدرسة دينية و بذل جهده فى تدريس العلوم الاسلامية و بث دعوة الاسلام فى أهلها . و لما ذاع صيته و عرف بالعلم و التقوى ولى الافتاء والقضاء والحسبة فيها على عادة ذلك الزمان . ثم لم يزل هذا المنصب فى أولاده و أخلافه الذين توارثوا العلم والفضل . فتولاه بعد وفاته ابنه المفتى كمال الدين فابنه قطب الدين فابنه الشيخ عبدالملك فابنه القاضى كبير المعروف بالقاضى بده فابنه القاضى قاسم فابنه القاضى قوام الدين المعروف باسم القاضى قاون فابنه القاضى محمود الذى تولى هذا المنصب مدة ثم تخلى عنه و آثر حياة الجندية و الفروسية و اشترك فى قتال الكفار .

هذه النظرة السريعة على تاريخ أسلافه ترينا أنه ينتمى إلى سلالة عربية قرشية مشهورة المآثر معلومة المفاخر ، و أن أسلافه كانوا من العلماء الأتقياء والصلحاء الزهاد و حماة الحق و أئمة الهدى و حملة راية الاسلام و السادة المجاهدين . و توارثوا الشرف الرفيع و المجد المؤثل كابرا عن كابر.

جدّه الشيخ وجيه الدين الشهيد

كان جده الشيخ وجيه الدين الشهيد ابن الشيخ معظم عالما جليلا و جنديا شجاعا و مقاتلا مقداما فى جيش امبراطور الهند ابى المظفر شهاب الدين محمد شاه ، ثم فى جيش الامبراطور العظيم العالم الصالح العادل أورنك زيب عالمكير (الذى اليه تنسب الفتاوى العالمكيرية او الفتاوى الهندية المعروفة التى رتبها و دوّنها جماعة من كبار العلماء و أفاضل الفقهاء بأمره و تعليماته و إشرافه ، لتكون دستورا رسميا يعمل به فى أطراف الدولة) .و شاهد الامبراطور من أعمال بطولته النادرة و شجاعته الفائقة و ولاه منصبا رفيعا فى جيشه.

وحدث مرة أن الامبراطور كان يقود بنفسه معركة من أهم معاركه و لما اشتد القتال بين الجيشين و طال ، غلب التعب والملل جيشه و كادوا ينهزمون . و لما رأى الشيخ وجيه الدين هذا الموقف الحرج شحذ للقتال عزيمته و برز بثبات الجنان و رباطة الجأش و لم يكن معه إلا أربعة مقاتلين، و هجم على صفوف العدو التى كانت تتقدمها فيلة هائجة مدرّبة . وهمّ فيل قوى أخذه و لفّه بخرطومه فأعجله الشيخ بضربة شديدة بسيفه شقّته إلى نصفين من أسفله . فصرخ الفيل صرخا مدوّيا أفزع جيش العدو و ولّى هاربا لايلوى على شئ ، و استولى عليهم الرعب و غلبهم اليأس و نكصوا على أعقابهم و كتب الله النصر للامبراطور أورنك زيب عالمكير . ولما انتهى القتال و تم له النصر قلده سيفه بيديه تكريما له و تقديرا لبطولته العظيمة . و قرر ترقيته إلى منصب أعلى لكنه أبدى استغناءه بما كان فيه و لم يقبل الترقية .

ثم لما اشتدت فتنة كفار المرهتة فى دكن استعان به الامبراطور (بعد ما كان ترك الوظيفة) و وجّهه على رأس كتيبة من جيشه لقتالهم و القضاء على شرورهم . وفى الطريق نشبت معركة شديدة بينه و بين جماعة لصوص كفار أرادوا قطع الطريق على التجار المسلمين. فجرح فيها شديدا و استشهد ، رحمه الله .

أبوه الشيخ الشاه عبدالرحيم الدهلوى

ولد أبوه الشيخ الشاه عبدالرحيم في دلهى سنة ١٠٥٤ هـ في عصر الامبراطورالصالح أورنك زيب عالمكير ، و نشأ و ترعرع على علم و صلاح ، و عرف بسرعة خاطره و قوة ذاكرته و نبوغه في سن مبكرة . فأتقن علوم القران الكريم والحديث والفقه وآداب العربية والفارسية و المنطق والحكمة ، كما وقف على أسرار التصوف على الطريقة الجشتية التى صارمن كبار مشايخها. و أصبح من أعلام العلماء و أفاضل الفقهاء يرجع إليه في المشكلات و يستفاد برأيه في المعضلات . و كان زاهدا مجاب الدعوات يقصده العامة و الخاصة لطلب الدعاء في الملمّات والكربات . وكان يؤثر العزلة والانفراد و يكره زيارة الملوك والسلاطين و يجتنب مجالسة الأغنياء والأمراء .

بئس الفقير على باب الأمير !

سمع الامبراطور اورنك زيب عالمكير بجلالة علمه و عظيم قدره و اشتاق إلى زيارته . فأرسل اليه أحد أعيان الدولة ليبلغه رغبته و ليدعوه إلى قصرالملك . فأبى الشيخ هذا الطلب قائلا : لست راغبا فى زيارة الملوك . و لما أصرّ رسول الامبراطور على أن يكتب ردّه فى خطاب يأخذه معه لئلا يؤاخذ هو بتهمة التقصير فى إبلاغ رسالته ، اخذ قطعة ورق من الأرض وكتب فيها :

"من المتفق عليه عند جماعة رجال الله ، قولهم : بئس الفقير على باب الأمير . و دل قول الله تعالى : وَ مَا مَتَاعُ الحَيوةِ الدُّنيَا فِى الآخِرَةِ الا قَلِيل ، على أن ما أعطاك الله من الملك و المال و الجاه ، جزء قليل جدا من الدنيا . ولاأرضى أن يشطب اسمى من قائمة

عباد الله لهذا القدر اليسير الحقير . فقد وجدت فى أقوال مشايخنا : من سجل اسمه فى رجال الملوك شطب اسمه من قائمة رجال الله."

و لما تسلم الامبراطور هذه الورقة قرأ الكلمات مرارا وتكرارا وتدبرها و كان كلما أعاد قراءتهايجد حلاوة جديدة . فأحبَّ هذه الورقة وكان يحافظ عليها كأنها تميمة . و كلما غيّر لباسه أخذها معه فى جيبه . و كان يخرجها فى أوقات فراغه و يقرأها و يبكى بكاء شديدا.

١. مكانته فى علم الحديث

كان الشاه عبدالرحيم الدهلوى عالما جليلا و فقيها عظيما و محدثا كبيرا .و يرى الشاه ولى الله الدهلوى : " أنه كان حافظا لأكثر أحاديث الصحاح و كان له ملكة عجيبة فى ذكر هذه الأحاديث كلها مع أسانيدها بدون توقف . و انتهت اليه الرئاسة فى علم الحديث فى عصره ، فكان إمامه غير مدافع . و لوأنصفت لقلت : مارأيت أحدا يساويه فى العلوم عامة و فى الحديث والفقه خاصة . و لعل الهند لم تر ماعدا الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى ، مفسرا و محدثا و فقيها مثله. " (الامداد فى مآثر الأجداد)

٢ . إنشاء المدرسة الرحيمية فى دلهى

وكان مهتما بنشر العلوم الاسلامية و خاصة علم الحديث ، فكان يحث العلماء و الفقهاء والطلاب على دراسة هذا العلم الشريف و إتقانه . و أنشأ فى دلهى مدرسة دينية سماها " المدرسة الرحيمية " لتدريس العلوم الاسلامية عامة و علم الحديث النبوى خاصة . وكان من ثمرات هذه المدرسة و جهودها ان انتشر فى أوساط العلماء والطلاب حب الحديث النبوى و الرغبة

فى دراسته و خدمته والتمسك به والاستفادة منه فى فهم القرآن الكريم و استخراج المسائل الدينية . وانتشر صيت هذه المدرسة فى أطراف الدولة فكان العلماء و الطلاب يؤمّونها من أنحاء الهند و إيران و أفغانستان و غيرها لينهلوا من هذا المنهل الصافى و يقتبسوا من أنوار السنة المحمدية . فكان هذا الشيخ الجليل و مدرسته مصدر خير عميم لعلماء الإسلام فى ذلك العصر .

و الجدير بالذكر أن هذا الحب والاهتمام بعلم الحديث والحرص على العمل به أمر توارثه جميع العلماء والفقهاء من أسرة الشاه ولى الله الدهلوى من لدن أسلافه إلى أبنائه و تلامذته و أخلافهم ، كما سيرى القارئ الكريم فيما بعد .

٣ . تقديمه للحديث النبوى فى المسائل المختلف فيها

كان الشاه عبدالرحيم الدهلوى يعمل بالمذهب الحنفى في عامة المسائل . لكنه كان يترك العمل به أحيانا إذا وجد دليلا معارضا له أقوى من الحديث الصحيح أو من اجتهاده الشخصى . و من أمثلة ذلك أنه كان يقرأ الفاتحة خلف الامام و كذلك كان يقرأها فى الصلاة على الجنازة خلافا للمذهب الحنفي . و إنما كان يفعل ذلك حرصا على حبه للحديث النبوى و تقديمه على القياس و أقوال الرجال . ولما ناقشه ذلك الشيخ عبدالأحد السرهندى (حفيد العالم الربانى أحمد السرهندى) و عرض عليه القياس المعروف فى أسلافه ، ردّ عليه بأنه قياس مع الفارق و أصرّ على التمسك بالحديث النبوى : لَا صَلَاةَ لِمَن لَم يَقرَأ بِأُمِّ الكِتَابِ .

٤ . إسهامه فى مراجعة الفتاوى العالمكيرية

و ممايدل على علوّ كعبه فى العلوم الدينية و خاصة الفقه و أصوله أنه كان أحد كبار العلماء والفقهاء الذين قاموا بمراجعة الفتاوى العالمكيرية و عرف خلالها بامعان النظر و تمحيص الدقائق و استجلاء الغوامض.

و توفى الشاه عبدالرحيم الدهلوى فى دلهى سنة ١١٣١هـ وعمره ٧٧ سنة ، رحمه الله و غفرله .

الشاه ولى الله الدهلوى

ولادته و وفاته

ولد الشاه ولى الله الدهلوى وقت طلوع الشمس يوم الأربعاء رابع شوال سنة ١١١٤هـ (٢١فبراير ١٧٠٣م) فى عهد الامبراطور الصالح أورنك زيب عالمكير الذى توفى بعد ولادته بأربع سنين ، بقرية پهلت أو فلت وهى قرية صغيرة لكن معروفة بعلماءها - بمديرية مظفر نكر بإقليم اتر براديش القريبة من دلهي (عاصمة الهند) . و رأى والده و غيره من الصلحاء مبشرات قبل ولادته . و اسمه أحمد و لقبه قطب الدين ، و شهرته التى اشتهر بها و غلبت اسمه الشاه ولى الله الدهلوى .

و توفى فى دلهى يوم السبت التاسع و العشرين من المحرم سنة ١١٧٦هـ(١٧٦٣ م) عن عمر يناهز اثنتين و ستين سنة ، و ذلك فى السنة الثالثة من حكم الملك شاه عالم الثانى . و دفن عند والده فى مقبرة خارج مدينة دلهى . و اشتهرت هذه المقبرة بمقبرة المحدثين لكثرة من دفن بها من علماء الحديث و أكثرهم من هذا البيت الشريف أو من تلاميذه و أتباعه رحمهم الله جميعا .

تعليمه و تربيته

كان الشاه ولى الله أحب أولاد أبيه الشيخ عبدالرحيم الدهلوى إليه . و كان يتوسم فيه مخايل النجابة وعلامات الصلاح حيث عرف فى صباه بسرعة الفهم و صفاء النفس و طهارة الأخلاق و عدم الرغبة فى اللهو و اللعب . فعنى بتعليمه و تربيته عناية فائقة ، و حاطه و تعهده منذ صغره

، لأنه كان ينوط به آماله . فلمّا بلغ السنة الخامسة أدخله الكُتّاب . فأتم حفظ القران الكريم فى السنة السابعة و فيها أمره أبوه بالصلاة و الصوم . و بدأ يدرس الكتب الابتدائية فى تعليم اللغتين العربية و الفارسية (التى كانت اللغة الرسمية و لغة العلم و الثقافة آنذاك) ، فأتم دراستها فى سنة .

و شرع فى قراءة شرح الجامى و هو ابن عشر سنين . و قرأ على أبيه مشكاة المصابيح و طرفا من صحيح البخارى و الشمائل للترمذى و طرفا من البيضاوى و المدارك .

و قرأ من علم الفقه شرح الوقاية والهداية بتمامها إلا طرفا يسيرا ،

و من أصول الفقه الحسامى و طرفا صالحا من التوضيح والتلويح ،

ومن المنطق شرح الشمسية و قسطا من شرح المطالع ،

و من الكلام شرح العقائد و جملة من الخيالى و شرح المواقف

و من السلوك جملة من العوارف و رسائل نقشبندية و شرح الرباعيات للجامى ،

و من الطب موجز القانون ،

و من الحكمة شرح هداية الحكمة ،

و من النحو شرح الجامى و الكافية

و من المعانى مختصر المعانى و المطول ،

و رسالة لوالده فى خواص الأسماء والآيات ،

و بعض الرسائل فى الحساب والهندسة و الهيئة و غير ذلك .

و اختصه أبوه الشيخ عبدالرحيم الدهلوى بتدريس القرآن الكريم بمعرفة المعانى و أسباب النزول مع تدريبه على مراجعة كتب التفسير . فتضلع من علوم القرآن الكريم و وقف على أسراره و غاص على دقائق التفسير و

أحاط بأصوله و فروعه .

ولما بلغ الرابعة عشرة زوّجه أبوه .

فتخرج على أبيه فى الخامسة عشرة من عمره . و قرأ على المحدث المعروف محمد افضل السيالكوتى بعض كتب الحديث الشريف من الصحاح الستة .

و أخذ عن أبيه أشغال الطريقة النقشبندية ولبس الخرقة الصوفية . و فى السابعة عشرة بايعه أبوه و استخلفه على مسنده و أجازه بأخذ البيعة قائلا :يده كيدى ، ولم يلبث أن توفى فى السنة نفسها رحمه الله . فتولى الشاه ولى الله التدريس والإرشاد بمدرسته الرحيمية . و اشتهر بنبوغه و تفوقه ، فوفد عليه الطلاب من كل جانب . و قضى فى تدريس العلوم الدينية والعقلية اثنتى عشرة سنة .

وكان لهذه المدة التى قضاها فى التدريس فضل فى نبوغه العلمى و نضجه الفكرى . فأحكمته التجارب ، و أتقن العلوم و توفر حظه من علوم الشريعة ، و فتح الله عليه أسرار التوحيد و معارف السلوك والوجدان . ودرس المذاهب الأربعة و تعمق فى أصولها و نظر فى الأحاديث التى يعتمد عليها أصحابها فى بناء الأحكام ، فارتضى منها طريقة الفقهاء المحدثين .

رحلته الى الحجاز

ثم حبّب الله اليه فجأة زيارة الحرمين الشريفين و اشتاق الى أخذ الحديث النبوى عن علماء الحجاز . فرحل اليه ، و هو فى الثلاثين من عمره فى نهاية سنة ١١٤٣هـ . و ممن صحبه فى هذه الرحلة المباركة خاله الشيخ عبيدالله ابن الشيخ محمد الباروى الفلتى و ولده الشيخ محمد عاشق ابن الشيخ عبيدالله الفلتى و الشيخ نورالله الصديقى البرهانوى . فحجّ بيت الله الحرام و أقام سنة ١١٤٤هـ بمكة المكرمة ياخذ الحديث و غيره من العلوم عن علماء ها و يلازمهم و يستفيد منهم فوائد عظيمة متنوعة . ثم حجّ فيها ثانيا . ثم زار المدينة المنورة وتلمذ فيها على كبار المحدثين و الشيوخ و صحبهم صحبة حسنة . و من العلماء و المحدثين الذين أخذ عنهم فى الحرمين الشريفين :

(١) الشيخ المحدث وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربى المالكى الذى لما جاءه استقبله بالفرح والسرور و رحب به ، و لما استجازه رواية الحديث عقد له مجلسا خاصا ، فقرأ عليه موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى المصمودى من أوله إلى آخره و اجازه رواية مرويات أبيه الشيخ المحدث محمد بن محمد بن سليمان المغربى.

(٢) الشيخ العارف المحدث أبوطاهر محمد ابن الشيخ ابراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردى المدنى الشافعى الذى صحبه مدة وتلقى منه جميع صحيح البخارى حرفا حرفا من اوله الى اخره مع جماعة من الفضلاء منهم خاله الشيخ عبيدالله و ابن خاله الشيخ محمد عاشق، و سمع منه شيئا من صحيح مسلم و جامع الترمذى و سنن أبى

داود و سنن ابن ماجة و موطأ مالك و مسند الامام احمد والرسالة للشافعى والجامع الكبير ومسند الحافظ الدارمى من اوله الى اخره فى عشرة مجالس كلها بالمسجد النبوى عند المحراب العثمانى تجاه القبر الشريف ، و شيئا من الادب المفرد للبخارى وشيئا من اول الشفاء للقاضى عياض و سمع عليه الاصم فهرس والده من اوله الى اخره مع التذييل . و ناقش معه مباحث مهمة فى العلوم والسلوك واستفاد منه فوائد جمة. وكان أخص شيوخه فى الحرمين الشريفين و أكثرهم تاثيرا فى تكوين شخصيته العلمية و تربيته الفكرية كما اقتبس من مكارم اخلاقه و انوار معارفه . ولما جاء ه يستاذنه للعودة الى الهند و تمثل بهذا البيت :

نسيت كل طريق كنت اعرفه الاطريقا يؤدينى الى ربعكم

اغرورقت عيناه واحمرت وجنتاه و خنقته عبرة ، ثم دعا له خيرا و ودعه.

و روى عنه انه قال : انه (الشاه ولى الله) يسند عنى اللفظ و اصحّح المعنى منه أو كلمة تشبه ذلك .

(اليانع الجنى للشيخ محسن بن يحيى الترهتى)

(٣) الشيخ المحدث تاج الدين القلعى الحنفى ابن القاضى عبدالمحسن و كان مفتيا بمكة المكرمة . حضر الشاه ولى الله مجلسه ثلاثة ايام حين كان يدرس صحيح البخارى فسمع منه اطراف الصحاح الستة و موطأ مالك و مسند الدارمى و الموطأ وكتاب الاثار للإمام محمد و أخذ منه الاجازة لسائر الكتب . وحدثه بالحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم بن حسن الكردى وهو اول حديث سمعه منه بعد عودته من زيارة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم سنة ١١٤٣هـ . وكتب له اجازة برواية الحديث بقلمه ولم يكتف له بالاجازة الشفوية

العامة التى اعطاها جميع من حضروا مجلس الدرس .

(٤) الشيخ العلامة السيد عمر بن احمد بن عقيل و هو ابن بنت الشيخ المحدث عبد الله بن سالم البصرى الذى يروى عن جده عبد الله بن سالم البصرى .

(٥) الشيخ المحدث عبد الرحمن بن احمد بن محمد النخلى الذى يروى عن أبيه احمد النخلى.

و من أعظم الفوائد التى أدركها و أطيب الثمرات التى جناها خلال اقامته بالحرمين الشريفين اطلاعه على مؤلفات شيخ الاسلام المجدد الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرانى الذى هو ترجمان القرآن و فارس العلوم النقلية و العقلية و محى السنة و قامع المنكرات و الالحاد و رائد المصلحين و قائد المجددين. فأعجب بسعة اطلاعه و استقامة سيرته و حسن بيانه فى نصرة عقيدة السلف و السنة و جهاده وقوة حجته فى إنكار البدع و الالحاد، و استفاد من آثاره و آثار تلميذه الإمام الباحث المحقق الزاهد محمد بن ابى بكر بن ايوب الزرعى الدمشقى المعروف بابن قيم الجوزية رحمهما الله و تغمدهما برحمته ، كما لايخفى على من تتبع سيرته و تفحص أخباره تصفح كتبه و رسائله .

وكان لذلك اكبر الأثر فى تقوية آرائه فى نبذ التقليد الاعمى و مذاهب المتكلمين و الأخذ بمنهج السلف فى العلم و الدين و

الاشتغال بالكتاب و السنة و ردّ رسوم الشرك .

قضى الشاه ولى الله هذه المدة فى مهبط الوحي والأنوار و معقل الايمان فى الدرس والاستفادة من فحول المحدثين و أعيان العلماء و الصلحاء والأخيار و مجالستهم و المذاكرات معهم . فتبحّر فى السنة التى كانت نصب عينيه و غيرها من العلوم و تضلع منها ، و زادت معرفته بمذاهب الفقه الاسلامى و أصولها و فروعها و مناهج تفكيرها ، و قوى اتصالاته بعلماءها . و كان له من العبادة والاعتكاف والمجاورة و الابتهالات والاشتغال بخاصة النفس أوفر نصيب . ففاضت على قلبه أنوار و بركات وتلقى نفحات و مبشرات ذكرها فى كتابه " فيوض الحرمين " كما ذكر شيوخه و شيوخ شيوخه فى رسالته "إنسان العين فى مشايخ الحرمين" .

و كذلك أتاحت له هذه الرحلة الحجازية فرصة درس خلالها أحوال سائر البلاد الاسلامية وعرف رجالها، واستعرض الأسباب التى أفضت بها إلى الضعف الدينى والاجتماعى والسياسى .

تـاثيـر الرحـلـة الحـجازيـة
فى تفكيره وتنظيم دعوته

ولكن لم تقتصر إقامته و دراسته بالحرمين الشريفين على تحصيل هذه الفوائد العلمية والتربية الروحية شأن غيره من أهل العلم و العرفان . و لوكان اكتفى بجنى هذه الثمرات و استوطن الحجاز - كما قيل له - لما زاد على أن يكون محدثا فقيها من أعلام المحدثين والفقهاء، ولما بلغ مرتبة الزعامة الفكرية والاجتماعية والعبقرية الاسلامية التى لايبلغها الانسان بمجرد الدراسة و التفنن فى العلوم و كثرة التأليف والإنتاج .

كان رحمه الله دائم التفكير فى أحوال المسلمين فى الهند، و كان يتألّم لما صاروا إليه من الضعف والضياع ، ويتأثّر بما ينزل بهم من البلايا والمصائب .وكان شديد الاهتمام بمستقبل الإسلام فى هذه المنطقة النائية عن مركز الاسلام . وكان يؤلمه أن الدولة الإسلامية التى نهكته المؤامرات السياسية و يتخطّفها الأعداء من الداخل والخارج ، أصبحت مهدّدة بالانهيار ، و أنها تقترب يوما بعد يوم من نهايتها .

فى هذه الفترة الحالكة و بهذه الهموم مع ما وهب الله سبحانه وتعالى له من علوّ الهمة و المعارف والحكمة و الوجدان ، عاش هذا الإمام العظيم والعارف الحكيم فى أجواء الحرمين يقتبس من الأنوار الربانية و يتلقى النفحات الرحمانية و يستلهم العناية القدسية . فشرح الله له صدره وقوّى عزمه و جدّد فيه النشاط ليعود الى الهند ، و يخوض معركة الإصلاح الدينى و ينشر دعوة الاسلام النقية من الشوائب ، ويعمل لتوحيد صفوف

المسلمين و ليجدّد لهم دينهم و ينظّمهم لجهاد الكفار والمنافقين . وتتبين هذه الخطة العظيمة والعزيمة الصادقة فى تأمّلاته و خواطره و مبشراته التى تلقاها فى ربوع الحرمين الشريفين ، و كتبها فى مؤلفاته وخاصة "فيوض الحرمين" . واكتفى هنا بذكر أربعة منها :

(١) رأى رؤيا عجيبة بمكة المكرمة ، و هى كما يلى :

" رأيتنى فى المنام قائم الزمان . أعنى بذلك أن الله إذا أراد شيئا من نظام الخير جعلنى كالجارحة لاتمام مراده . و رأيت أن ملك الكفار قد استولى على بلاد المسلمين و نهب أموالهم و سبى ذريتهم و أظهر فى بلدة أجمير شعائر الكفر و أبطل شعائر الاسلام (والعياذ بالله). فغضب الله تعالى على أهل الارض غضبا شديدا . و رأيت صورة هذا الغضب متمثلة فى الملأ الأعلى . ثم ترشح الغضب إليّ. فرأيتنى غضبان من جهة ما نفث من تلك الحضرة فى نفسى ، لا من جهة ما يرجع إلى هذا العالم . و أنا ساعتئذ فى جم غفير من الناس منهم الروم و منهم الأزابكة و منهم العرب ، بعضهم ركبان الابل و بعضهم فرسان و بعضهم مشاة على أقدامهم. و أقرب ما رأيت شبها بهؤلاء الحجاج يوم عرفة . و رأيتهم غضابا لغضبى . و سألونى: ما حكم الله فى هذه الساعة ؟ قلت : فكّ كل نظام . قالوا : إلى متى ؟ قلت : إلى أن ترونى قد سكت غضبى . فجعلوا يتقاتلون بينهم ويضربون إبلهم . فقتل منهم كثير و انكسرت رؤوس إبلهم وشفاهها .

ثم إنى تقدمت إلى البلدة أخربها و أقتل أهلها فتبعونى فى ذلك . و خرّبنا بلدة بعد بلدة حتى وصلنا أجمير . و قتلنا هنالك الكفار و استخلصناها منهم و سبينا ملك الكفار.

ثم رأيت ملك الكفار يماشى مع ملك الإسلام فى نفر من

المسلمين. فأمر ملك الاسلام فى أثناء ذلك بذبحه . فبطش به القوم و صرعوه و ذبحوه بسكين. فلمّا رأيت الدم يخرج من أوداجه متدفقا قلت : الآن نزلت الرحمة . و رأيت الرحمة و السكينة شملت من باشر القتال من المسلمين ، و صاروا مرحومين . فقام إلىّ رجل و سألنى عن المسلمين اقتتلوا فيما بينهم. فتوقفت عن الجواب و لم أصرح. رأيت ذلك فى ليلة الجمعة الحادية والعشرين من ذى القعدة سنة ١١٤٤هـ (١) . (فيوض الحرمين ص ٨٩ - ٩٠) .

(٢) رأى رؤياه المعروفة التى ذكرها فى كتبه حجة الله البالغة و الدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين ، و فيوض الحرمين :

" رأيت كأنّ الحسن والحسين رضى الله عنهما نزلا فى بيتى ، و بيد الحسن رضى الله عنه قلم قد انكسر لسانه. وبسط إليه يده ليعطينى و قال : هذا قلم جدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : حتى يصلحه الحسين ، فليس ما يصلحه الحسين كما لو يصلحه ، فأخذه الحسين رضى الله عند فأصلحه ثم ناولنيه فسررت به .

ثم جىء برداء مخطّط فيه خط أخضر و خط أبيض . فوضع

---

(١) حقق الله رؤياه هذه بعد نحو ثلاثين سنة فى ١١٧٤هـ (١٧٦٠م) إذ بعث أحمد شاه الأبدالى من أفغانستان . و كان الشاه ولى الله كتب اليه رسالة و رغبه فى الجهاد و دعاه لقتال كفار المرهتة والسيخ الذين أكثروا المظالم على المسلمين و خربوا البلاد وهدموا المساجد في عهد الملك شاه عالم الثانى الذى لم يبق بيده من السلطة الا الاسم . وعجز هو و الأمراء المسلمون عن مقاومتهم والقضاء على شرورهم . فنازلهم الأبدالى فى ساحة بانى بت و قتل منهم نحو مئتى ألف ، و هزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة .

بين يديهما فرفعه الحسين رضى الله عنه و قال : هذا رداء جدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ألبسنى . فوضعته على رأسى تعظيما ، وحمدت الله تعالى . فمن يومئذ انشرح صدرى للتصنيف فى العلوم الشرعية . " (الدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين ص٢٠)

واليها أشار فى كتابه حجة الله البالغة قائلا :
" ثم رأيت الإمامين الحسن والحسين رضى الله عنهما فى منام و أنا يومئذ بمكة كأنهما أعطيانى قلما ، و قالا :
هذا قلم جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . "
(مقدمة حجة الله البالغة ص ٣) .

(٣) وفى المدينة المنورة تشرف بزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنا م ، فكان مما بشّره به قوله عليه الصلاة والسلام :
" إن مراد الحق فيك أن يجمع شملا من شمل الأمة المرحومة بك ".
(فيوض الحرمين ص٦٢).

(٤) نقل عن ابنه الشيخ الشاه عبدالعزيز الدهلوى رحمه الله قوله :
" كان والدى حين أراد الرجوع من المدينة قال لشيخه :
" قد نسيت كل شىء كنت تعلّمته غير علم الدين يعنى علم الحديث. فسرّ به شيخه كثيرا ".
(ملفوظات الشاه عبدالعزيز الدهلوى ص ٩٣).

و يمكن أن نلخص هذه الفقرات بالنقاط التالية :
١ . أنه كان قلقا جدا من تشتت شمل المسلمين وضعف دولتهم فى الهند ، وكان يرى بثاقب نظره أنها قد هرمت و شاخت و أنها ستنهار لامحالة .

٢ . وأدرك أن مستقبل المسلمين - عندما تسقط دولتهم و يغلب الكفار - سيكون فى خطر ، و لابد من إعداد قيادة جديدة تتولى دعوة الاسلام و تقود قافلة أهل الايمان ، و تنقذهم من الضياع الدينى والانهيار الفكرى .

٣ . شرح الله بفضله و كرمه صدره للاضطلاع بهذه المهمة العظيمة التى أساسها دعوة المسلمين إلى التمسك بالكتاب والسنة فى العقيدة والعمل و تطهيرهم من البدع و الخرافات التى أبعدتهم عن الاسلام الحق و أضعفت قوتهم و حرمتهم روح العمل والجد و الجهاد .

٤ . أنه كان منصرفا إلى علوم الحديث النبوى مدة إقامته بالحرمين ، فعنى بأخذها و إتقانها عناية شديدة ، و كان شديد الحرص على نشرها وخدمتها .

٥ . زاده الله تعالى علما ويقينا و قوة و شرح صدره للتأليف فى العلوم الشرعية و خدمتها .

و هكذا نرى أن هذه الرحلة المباركة أثّرت فى تفكيره و مشاعره تأثيرا عظيما. فأيقظت مواهبه، و بعثت فى نفسه روحا جديدا . فتفتحت قريحته ، و اتضحت رسالته ، و انتظمت دعوته .

ومن ناحية أخرى ازدادت حالة الدولة الاسلامية فى الهند ضعفا و سوءا ، وفقدت سيطرتها على الولايات . فاستولى على بعضها الكفار و قوى شوكتهم . فقتلوا العباد و أهلكوا البلاد ، و ساد الاضطراب والفساد و فقد الأمن . فأشار عليه بعض أتباعه المخلصين أن يستقر بالحجاز و لايعود إلى وطنه . ولم يكن هو أيضا فى غفلة عن حاله . بل كان يدرك ببصيرته النافذة ماذا تخفى هذه الأوضاع وراء ها من مآس و أهوال ؟ ولم يكن رحل الى الحجاز ليأمن هو و أتباعه الشرور و الفتن المنتشرة هناك ، ولم يكن مطمح نظره الفرار بنفسه و بأهله منها . بل كان القيام بالرحلة الى

الحجاز فى تلك الظروف يشبه الاقدام على مغامرة خطيرة لايعلم عاقبتها إلا الله ، حيث لم تكن الطرق البرية الداخلية آمنة و لاصالحة لسير قافلته إلى البحر الذى كان يسيطر عليه أيضا القراصنة الانجليز و البرتغاليون و أمثالهم الذين كانوا يصطادون الأسماك والرجال معا و يسلبونهم .

فلم يكن رأى الاستقرار بالحجاز منسجما مع خطته التى رسمها لنفسه ، و لامتفقا مع مصلحة الاسلام و المسلمين . فلم يحفل به ولم يقبله. و عاد بمن معه إلى دلهى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ١١٤٥هـ (٩ يوليو ١٧٣٢م) متشبعا بروح جديد و عاطفة قوية و عزيمة صادقة ليبدأ عمله و جهاده .

تنظيم العمل بعد العودة من الحجاز

ولما عاد إلى وطنه استأنف التدريس و الارشاد بمدرسته الرحيمية القديمة ، فطار صيته فى الآفاق و أقبل عليه الناس إقبالا عظيما ، و وفد عليه الطلاب والعلماء والصلحاء من أطراف البلاد للتلقى من معارفه والاستفادة من فيوضه و علومه . لكنه لم يشغل نفسه بتدريس العلوم والفنون على عادة ذلك العصر ، بل أعدّ مدرسين مختصين بها و أسند اليهم تدريسها . وتفرغ هو للاعمال المهمة الأساسية و خصص أوقاته لإنجازها. و هى :

١ . تدريس الحديث النبوى الشريف

٢ . الاشتغال بالتاليف

٣ . إصلاح الناس بالارشاد و التذكير

و ركّز جهده على تنفيذ هذه الخطة و قضى معظم وقته فى العمل لها .

فذاع صيته و ازداد عدد الوافدين عليه ازديادا كبيرا . و انتبه العامة والخاصة إلى دعوة التجديد والاصلاح التى بدأها . و لما ضاقت المدرسة بالطلاب والوافدين عليه من العلماء والصلحاء منحه الملك محمد شاه بناية واسعة فى داخل المدينة فانتقلت اليها المدرسة وتحولت إلى دارالعلوم.

و بهذا المنهج استطاع الامام العارف الشاه ولى الله أن ينشىء و يربّى جيلا من العلماء و العارفين والمجاهدين الذين يتولون قيادة الأمة و إرشادها ، كما استطاع ان يعدّ و يقدّم هذه الثروة العلمية والفكرية التى تشتمل عليها مؤلفاته القيمة التى ترشد المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها و تحتل مكانة عالية فى المكتبة الإسلامية العالمية .

مــؤلـفـاتــه

القران الكريم و علومــه

اللغة

١ . فتح الرحمن فى ترجمة القران : الفارسية مطبوع
ترجمة فارسية للقران الكريم مع حواش قليلة

٢ . مقدمة فى قوانين الترجمة - الفارسية مطبوع
رسالة صغيرة فى اصول ترجمة القران الكريم

٣ . الفوز الكبير فى أصول التفسير - الفارسية مطبوع
رسالة مهمة فى شرح مباحث التفسير

٤ . فتح الخبير بما لابد من حفظه العربية مطبوع
فى علم التفسير (١)

٥ . تاويل الاحاديث فى رموز قصص الانبياء. العربية مطبوع
رسالة فى شرح قصص الانبياء

الحديث و علومـــه

٦ . أربعون حديثا مسلسلة بالأشراف العربية مطبوع
فى غالب سندها

٧ . الدر الثمين فى مبشرات النبى الامين العربية مطبوع

٨ . النوادر من أحاديث سيد الاوائل و الاواخر العربية مطبوع

---

(١) الفوز الكبير رسالة مشتملة على أربعة أبواب ألفها المؤلف رحمه الله بالفارسية و نقلها الى العربية الشيخ محمد منير الدمشقى الازهرى ما عدا مبحث المقطعات القرانية الذى عربه الشيخ اعزازعلى الامروهى و ألحقه بها .اما فتح الخبير فالفها بالعربية و جعلها الباب الخامس للفوز الكبير وجعلها رسالة مستقلة ايضا . فلا تزال تطبع ملحقة حينا و مستقلة حينا اخر.

اللغة

٩ . المسوى فى أحاديث الموطأ-	العربية	مطبوع
شرح موطأ الامام مالك بالعربية		
١٠. المصفى فى أحاديث الموطأ-	الفارسية	مطبوع
شرحه بالفارسية مع ترجمة متنه		
١١. شرح تراجم صحيح البخارى -	العربية	مطبوع
رسالة صغيرة		
١٢. الارشاد إلى مهمات علم الاسناد	العربية	مطبوع
١٣. الفضل المبين فى المسلسل	العربية	مطبوع
من حديث النبى الامين		
١٤. التنبيه على ما يحتاج اليه	الفارسية	مطبوع
المحدث والفقيه (١)	والعربية	

العقيدة و التوحيد

١٥. حسن العقيدة - رسالة صغيرة	الفارسية	مطبوع
١٦. تحفة الموحدين -رسالة مفصلة فى	الفارسية	مطبوع
رد البدع و شرح التوحيد		
١٧. البلاغ المبين فى أحكام رب العالمين	الفارسية	مطبوع
و اتباع خاتم النبيين -رسالة فى الرد		
على القبوريين		

(١)طبعته المكتبة السلفية بلاهور باسم اتحاف النبيه فيما يحتاج اليه المحدث و الفقيه مع تعليقات الشيخ عطاء الله حنيف الفوجيانى رحمه الله.

أسرار الشريعة

اللغة

١٨. حجة الله البالغة : العربية مطبوع

كتاب فريد فى بيان أسرار الشريعة و شمولها

أصول الفقه

١٩. عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد و التقليد العربية مطبوع

اختلاف الفقهاء

٢٠. الانصاف فى بيان سبب الاختلاف العربية مطبوع

السيرة النبوية والخلافة الراشدة

٢١. سرور المحزون فى سير الامين المامون - الفارسية مطبوع

ترجمة فارسية لكتاب نور العيون فى

تلخيص سير الامين المامون لابن سيد الناس

٢٢. إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء الفارسية مطبوع

٢٣. قرة العينين فى تفضيل الشيخين الفارسية مطبوع

ترجمته الشخصية و تراجم أسلافه و شيوخه

٢٤. أنفاس العارفين : الفارسية مطبوع

كتاب يشتمل على سبع رسائل و هى :

١ . بوارق الولاية

٢ . شوارق المعرفة

٣ . الامداد فى مآثر الاجداد

٤ . النبذة الابريزية فى اللطيفة العزيزية

٥ . العطية الصمدية فى الانفاس المحمدية
٦ . انسان العين فى مشايخ الحرمين
٧ . الجزء اللطيف فى ترجمة العبد الضعيف

التصوف و الحكمة والمعارف الاخرى

٢٥ . القول الجميل فى بيان سواء السبيل	العربية	مطبوع
٢٦ . الخير الكثير	العربية	مطبوع
٢٧ . البدور البازغة	العربية	مطبوع
٢٨ . التفهيمات الالهية:خواطر و تاملات و اجازات و مكاتيب	الفارسية والعربية	مطبوع
٢٩ . هوامع شرح حزب البحر	الفارسية	مطبرع
٣٠ . كشف الغين عن شرح الرباعيتين	الفارسية	مطبوع
٣١ . شفاء القلوب	الفارسية	مطبوع
٣٢ . الطاف القدس	الفارسية	مطبوع
٣٣ . فيوض الحرمين	العربية	مطبوع
٣٤ . سطعات	الفارسية	مطبوع
٣٥ . همعات	الفارسية	مطبوع
٣٦ . لمحات	الفارسية	مطبوع
٣٧ . لمعات	الفارسية	مطبوع
٣٨ . الانتباه فى سلاسل أولياء الله و أسانيد وارثى رسول الله	الفارسية	مطبوع

المكاتيب

٣٩. مكتوب المعارف مع مكاتيب ثلاثة	الفارسية	مطبوع

اللغة

٤٠ . المكاتيب المذكورة في كتاب الكلمات الطيبات	الفارسية	مطبوع
٤١ .مكتوبات مع مناقب الامام البخارى و فضائل ابن تيمية	العربية والفارسية	مطبوع
٤٢. المكاتيب المذكورة فى كتاب حياة الولى	العربية	مطبوع
٤٣ . المكاتيب السياسية و عددها ٤٢ رتبها خليق احمد نظامى	الفارسية	مطبوع

الصرف

٤٤ . صرف مير	الفارسية	مطبوع

الشعر العربى

٤٥ . قصيدة اطيب النغم فى مدح سيد العرب و العجم	العربية	مطبوع
٤٦ . ديوان شعره العربى جمعه الشاه عبد العزيز و رتبه الشاه رفيع الدين	العربية	غير مطبوع

الرسائل المتفرقة

٤٧ . السر المكتوم فى أسباب تدوين العلوم	العربية	مطبوع
٤٨ . رسالة دانشمندى - فى التدريس و التاليف	الفارسية	مطبوع
٤٩ . المقدمة السنية لانتصار الفرقة السنية . رسالة صفيرة	الفارسية	مطبوع

اللغة

٥٠ . فتح الودود لمعرفة الجنود	العربية	مطبوع
٥١ . النخبة فى سلسلة الصحبة	-	-
٥٢ . الاعتصام - أدعية	العربية	مخطوط
٥٣ . حاشية رسالة ليس احمر	-	مخطوط
٥٤ . رسالة فى تحقيق مسائل الشيخ عبد الباقى الدهلوى	العربية	غيرمطبوع
٥٥ . المقالة الوضيئة فى النصيحة والوصية- وهى موجودة فى اخر التفهيمات الالهية (وقد ترجمتها الى العربية و الحقتها باخر هذا الكتاب).	الفارسية	مطبوع
٥٦ . عوارف	الفارسية	غيرمطبوع
٥٧ . رسالة فى رد الروافض	الفارسية	مطبوع
٥٨ . واردات	الفارسية	مطبوع
٥٩ . نهايات الاصول	الفارسية	غير مطبوع
٦٠ . الانوار المحمدية	الفارسية	غير مطبوع
٦١ . فتح الاسلام	الفارسية	غير مطبوع
٦٢ . كشف الانوار	الفارسية	غير مطبوع
٦٣ .رسالة لم يعرف اسمها	الفارسية	غير مطبوع

اسلوبه فى النثر والشعر

كان المحدث الشاه ولى الله الدهلوى بحرا فى العلوم فارسا فى اللغة ترجمانا للقران و اماما للعلماء المجاهدين و قدوة للصلحاء الاخيار . انتهت اليه الرئاسة فى العلم والعمل . اصطفاه الله لتجديد رسالة الاسلام و احياء شعائره و نصرة دينه . فأثرت صفاته هذه فى اسلوبه . فهو كاتب

مجيد منتظم الفكر منضد اللفظ جزل الكلمات غزير المعنى و قوى الحجة، و بصير باسرار الكلام و متصرف فى انواعه يلبس كل معنى ما يلائمه من الاساليب . تكثر فى نثره و شعره المحسنات اللفظية و خاصة فيما كتبه من الرسائل و الردود و الاجازات و لاترى فيها تكلفا . وعلى الرغم من انه نشأ بعيدا عن البيئة العربية ، نجد اسلوبه فى النثر سلسا خاليا من التكلف اللفظى ، قلما تظهر عليه آثار العجمة و الركاكة .

وكان يتقن اللغتين العربية و الفارسية على السواء و يكتب بهما كما كان يقرض الشعر بهما ايضا . و شعره يفيض بالعاطفة الدينية و تلمح فيه الملح والمحسنات اللفظية .(لم استطع الاطلاع على ديوان شعره العربى الذى لم يطبع حتى الان) . وله قصيدتان فى المدائح النبوية: الاولى القصيدة البائية التى سماها " اطيب النغم فى مدح سيد العرب والعجم" و عدد ابياتها ١١٠، عارض بها قصيدة الصحابى سواد بن قارب رضى الله عنه التى كان انشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و الثانية القصيدة الهمزية و عدد ابياتها ٤٥ .

نموذج من شعره العربى

١ . قال فى قصيدته البائية :

كأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الافاعى او رؤوس العقارب
ثلاث خصال من تعاجيب ربّنا
مجابة اعقاب لوالد طالب
خلافة عباس و دين نبيّنا
تزايد فى الاقطار من كل جانب
يؤيد دين الله فى كل دورة

عصائب تتلو مثلها من عصائب
فمنهم رجال يدفعون عدوّهم
بسمر القنا والمرهفات القواضب
و منهم رجال يغلبون عدوّهم
باقوى دليل مفحم للمغاضب
و منهم رجال بيّنوا شرع ديننا
وما فيه من حرام و واجب
ومنهم رجال يدرسون كتابه
بتجويد ترتيل و حفظ مراتب
و منهم رجال فسروه بعلمهم
و هم علمونا ما به من غرائب
و منهم رجال بالحديث تولعوا
و ما كان فيه من صحيح و ذاهب
و منهم رجال مخلصون لربّهم
بانفاسهم خصب البلاد الاجادب
و منهم رجال يهتدى بعظاتهم
فنام الى دين من الله واصب
على الله رب الناس حسن جزاءهم
بما لايوافى عدّه ذهن حاسب
فمن شاء فليذكر جمال بثينة
و من شاء فليغزل بحب الزيانب
سأذكر حبى للحبيب محمد
اذا وصف العشاق حب الحبائب

٢. و قال فى قصيدته الهمزية :

اذا أخـــبـرت يـــومـــا عـــن ضـــيـــــاء
فـــــلا تـــلـــهـــج بـــبـــــدر او ذكـــاء

و ان تـــــمـــــدح بـــجـــود أو ســــــمـــوّ
فـــــلا تـــنـــظـــرلجـــود او ســـــمــاء

و ان لابـــد تـــــمـــدح ذا مـــــعـــال
فـحـسـبـك مـــدح خـــيـــر الاصـفـيـــاء

و ان تـــمـــدح رســـــول الـلـه يـــومـــا
فـــحـــاذر ان تـــقـــصـــر فـى الـثـنـــاء

تـلامـذ تـه

قضى الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى حياته فى التدريس والارشاد والتاليف و نذر نفسه لتربية الدعاة و العلماء و استفرغ وسعه فى تنفيذ الخطة التى كان رسمها لنفسه عند عودته من الحجاز . فتخرج عليه جماعة عظيمة من حملة العلم و اولى العرفان الذين كانوا بعده ، دعاة النهضة العلمية و زعماء الاصلاح الدينى والاجتماعى و حملة راية التوحيد والسنة . فنشأت بمساعيهم حركة علمية و دينية كان لها الأثر البارز فى مجرى الحياة و أحداث البلاد.

وذكر العلامة المحدث النواب صديق حسن خان البوفالى اولاده و خلفاءه بقوله

" وكان له اولاد صالحون الشيخ عبدالعزيز ، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبدالقادر ، والشيخ عبد الغنى والد الشيخ محمد اسماعيل الشهيد الدهلوى . وكلهم كانوا علماء نجباء حكماء فقهاء كأسلافهم و أعمامهم . كيف و هم من بيت العلم الشريف والنسب الفاروقي المنيف. و قد آذن الزمان الان بانصرام ذلك البيت و أهله فانا لله و انا اليه راجعون .

و كان بيته فى الهند بيت علم الدين و هم كانوا مشائخ الهند فى العلوم النقلية بل و العقلية، أصحاب الاعمال الصالحات و أرباب الفضائل الباقيات . لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين فى قطر من اقطار الهند ، و ان كان بعضهم قد عرف بعض علم المعقول ، و عدّ على غير بصيرة من الفحول . و لكن لم يكن علم الحديث و التفسير و الفقه و الاصول

وما يليها الا فى هذا البيت . لا يختلف فى ذلك مختلف من موافق و لا من مخالف الا من اعماه الله عن الانصاف و مسته العصبية والاعتساف . و اين الثرى من الثريا والنبيذ من الحميا. و الله يختص برحمته من يشاء . " (ابجد العلوم ج٣ ص٢٤٣ و ٢٤٤) .

و اننى اذكر هنا بعض تلامذته و خلفائه :

(١) ابنه الشيخ الشاه محمد (المتوفى سنة ١٢٠٨هـ) ، كان عالما عاملا عابدا محبا للعزلة .

(٢) ابنه العلامة الامام المحدث الشاه عبدالعزيز (١١٥٩ هـ - ١٢٣٩هـ). تخرج على ابيه و كان خليفته و وارث علومه و فضائله . اشتهر بالصلاح و التقوى والزهد . و كان آية من آيات الله فى الذكاء و سرعة الخاطر و سداد الرأى . اخترقت شهرته حدود الهند . فأمه المتعطشون للعلم من داخل الهند وخارجها . عكف على تدريس العلوم و خاصة الحديث مدة تزيد على ستين سنة . فانتفع به خلق عظيم ممن لاياتى عليهم الاحصاء و منهم كبار المحدثين و فضلاء الفقهاء .

وله مؤلفات نفيسة منها تفسير القران الكريم المسمى بفتح العزيز او التفسير العزيزى فى مجلدات كبار ضاع معظمه فلم يبق منه الا الجزء الاول و الاخير ، و بستان المحدثين ، و العجالة النافعة ، و السر الجليل فى مسألة التفضيل و تحفة الاثنى عشرية وكلها بالفارسية . وله رسائل اخرى و حواش على بعض الكتب ايضا .

(٣) ابنه الشيخ الشاه رفيع الدين (١١٦٣هـ - ١٢٣٣ هـ) تولى

التدريس بمسند المحدث الشاه عبدالعزيز حين كف بصره و أصابته الامراض . عرف بنبوغه فى العلوم الدينية والعقلية واشتهر بالجود و خدمة الخلق . و له مؤلفات عديدة أهمها ترجمة القران الكريم باللغة الاردية التى نالت قبولا واسعا ولايزال ينتفع بها خلق كثير من اهل اللغة الاردية .

(٤) ابنه الشيخ الجليل الشاه عبدالقادر (١١٦٧ هـ -١٢٣٠ هـ) عرف بالحلم والتواضع والصلاح والتقوى والحرص على اتباع السنة . وكان يؤثر العزلة والانفراد . اشتغل بالتدريس و الارشاد . فانتفع به خلق كثير . وله ترجمة القران الكريم باللغة الاردية المسماة بموضح القران، مع حواش موجزة مفيدة . و لاتزال تطبع حتى الآن .

(٥) ابنه الشيخ الشاه عبدالغنى (المتوفى سنة ١٢٠٣ هـ) نال حظا وافرا من العلوم الدينية والفيوض الربانية وكان محبا للعزلة والقناعة والاشتغال بالعبادة . و رزقه الله مولودا كان العلم المفرد فى تاريخ الاصلاح والتجديد بالهند الا هو العالم الامام المصلح المجاهد محمد اسماعيل الشهيد صاحب المؤلفات القيمة .

(٦) ابن خاله الشيخ الصالح الشاه محمد عاشق الفلتى ابن الشيخ عبيد الله الفاروقى (الذى هو خال الشاه ولى الله الدهلوى) . لزم الامام الشاه ولى الله الدهلوى زمانا طويلا و صحبه صحبة حسنة . وكان يلازمه فى السفر و الحضر وكان معه فى رحلته الحجازية . فاستفاد منه العلوم و حمل عنه الفيوض . تخرج عليه فكان وارث علومه . ثم نشرها و درّسها بعده فتلقى منه خلق كثير فى مقدمتهم الشيخ العلامة الشاه عبدالعزيز الدهلوى والشيخ الفاضل الشاه رفيع الدين ابنا الشاه ولى الله الدهلوى الذان تلقيا منه ما فاتهما من علوم والدهما وفيوضه.

وكان اخص اصحاب الشاه ولى الله الدهلوى و مشيره و موضع ثقته . وهو الذى كان لفت عنايته الى تاليف كتابه " حجة الله البالغة " كما ذكره هو فى مقدمته قائلا :

" اذ تفطن أجل إخوانى لديّ و أكرم خلأنى علىّ محمد المعروف بالعاشق ، لازال محفوظا من كل طارق و غاسق ، بمنزلة هذا العلم " (مقدمة حجة الله البالغة ص ٤)

و كان وجه اليه عددا من رسائله السياسية والدينية .

وله مؤلفات معروفة منها سبيل الرشاد و شرح دعاء الاعتصام ، و القول الجلى فى ذكر آثار الولى الذى يشتمل على ترجمة الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى واقواله و احواله . وكان ألفه فى حياة المترجم له الذى كان اطلع عليه و رضيه ، ثم اضاف اليه بابا بعد وفاته . توفى سنة ١١٨٧ هـ ، رحمه الله .

(٧) الشيخ العالم الكبير الخواجه محمد امين الكشميرى الدهلوى الذى كان من اجلة اصحاب الشاه ولى الله الدهلوى وكان صنف له بعض رسائله .

(٨) الشيخ الفاضل العلامة مخدوم محمد معين بن محمد امين بن طالب الله السندى التتوى وله مؤلفات منها دراسات اللبيب فى الاسوة الحسنة بالحبيب . وكان الشاه ولى الله الدهلوى وجه اليه بعض رسائله.

(٩) والده الشيخ محمد امين بن طالب الله التتوى السندى

(١٠) الشيخ ابراهيم آفندى المكى بن مصطفى جلبى الكتبى

(١١) الشيخ العالم الفاضل نور الله الصديقى البرهانوى توفى سنة ١١٨٨ هـ و هو من اجلة اصحابه .و كان معه فى الرحلة الحجازية.

(١٢) الشيخ الصالح جار الله بن عبدالرحيم البنجابى اللاهورى ثم المدنى

(١٣) الشيخ العلامة المحدث القاضى ثناء الله البانى بتى صاحب التفسير المظهرى وغيره من المؤلفات المعروفة فى الحديث والفقه والتاريخ وكان العلماء يلقبونه بيهقى الزمان.

(١٤) الشيخ العلامة الأديب السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ .

(١٥) الشيخ الفاضل رفيع الدين المرادآبادى

(١٦) الشيخ خيرالدين السورتى

(١٧) الشيخ مخدوم اللكنوى بن حافظ نواز بن مولوى عبدالسميع بن السيد محى الدين المشهدى

(١٨) الشيخ السيد جمال الدين الرامبورى

(١٩) الشيخ محمد عبدالله خان الرامبورى

(٢٠) الشيخ محمد سعيد خان ابن جد الشيخ نجم الغنى خان الرامبورى صاحب اخبار الصناديد .

(٢١) الشيخ محمد بن بير محمد بن الشيخ ابى الفتح البلكرامى الاله آبادى

(٢٢) الشيخ نثار على الاله آبادى ثم المظفر ابادى

(٢٣) السيد الشيخ جمال الدين الرامبورى ختن السيد احمد الشهيد و خليفته . رحمهم الله جميعا رحمة واسعة .

دفاعه عن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية و غيره من العلماء

ومن الثمرات الطيبة التى آتتها رحلته الحجازية المباركة أنه درس خلالها مؤلفات كبار علماء الاسلام أمثال الامام ابى حامد الغزالى و الشيخ عزالدين بن عبد السلام و الامام المجدد ابن تيمية و و الإمام محمد ابن قيم الجوزية و غيرهم واستفاد منها . و يبدو انه تأثر و استفاد من علوم شيخ الاسلام الإمام ابن تيمية و أفكاره أكثر . فكان رحمه الله تعالى يثنى عليه خيرا و يدافع عنه و عن غيره من علماء الاسلام و فقهاء الأمّة . و قد أحسن الدفاع عنه و التنويه بشانه فى ردّه على رسالة و جهها اليه أحد تلاميذه الشيخ محمد معين بن محمد امين التتوى السندى صاحب كتاب دراسات اللبيب فى الأسوة الحسنة بالحبيب، و كان استفسره فيها عنه و عما يثار عليه من الاعتراضات . و قد رأيت نقل ردّه فيما يلى لما اشتمل عليه من فوائد مهمة توضح منهجه السلفى فى العقيدة و العمل .

و لايفوت القارئ الكريم أنه دافع عنه و انتصر لآرائه فى ذلك العصر و الجوّ الذى كان فيه غالب أهل بلده من العلماء و العامة يتسكعون فى ضلالات الصوفية الملحدين و الروافض و يهيمون فى ظلمات التقليد و الفلسفة اليونانية، و تمادى ببعضهم الجهل الى تفسيق هذا الامام المجدد و تكفيره . و لذلك نرى الامام الشاه ولى الله الدهلوى يمهد للدفاع عنه و الإشادة بمآثره و التنويه بفضائله تمهيدا يناسبهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله مفيض النعم و ملهم الحكم و صلى الله على سيدنا محمد سيد العرب و العجم و على آله و صحبه عوالى الهمم."

امابعد فيقول الفقير ولى الله بن عبدالرحيم عاملهما الله تعالى بفضله الجسيم : وردت رقيمة كريمة من مخدوم مكرم لازال معينا للحق و الدين فى الفحص عن حال الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية عامله الله تعالى بفضله ، و أى شئ ينبغى أن يعتقد فيه؟ فوجب الائتمار بأمره ، و إن كنت بمعزل عن مثل ذلك . و الذى أعتقده أنا و أحبّ أن يعتقده جميع المسلمين فى علماء الاسلام حملة الكتاب و السنة و الفقه و الذابين عن عقيدة أهل السنة و الحديث أنهم عدول بتعديل النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال:

يحمل هذا الدين من كل طبقة عدوله .

و إن كان بعضهم تكلم بما لايرتضيه هذا المعتقد ، إذا كان قوله غير مردود بنص الكتاب والسنة و الاجماع ، وكان قوله ذلك محتملا ، وكان مجال و مساغ للخوض فيه ، سواء كان قوله ذلك فى أصول الدين او فى المباحث الفقهية أو فى الحقائق الوجدانية . و على هذا الأصل اعتقدنا فى الشيخ الاجل محى الدين محمد بن على بن عربى ، و فى الشيخ المجدد احمد بن عبد الاحد السهرندى انهما من صفوة عباد الله ، و لم نلتفت الى ما قيل فيهما .

و كذلك ابن تيمية . فانا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله و معانيه اللغوية والشرعية و حافظ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و آثار السلف عارف بمعانيها اللغوية والشرعية ، استاذ فى النحو و اللغة ، محرر لمذهب الحنابلة فروعه و اصوله ، فائق فى الذكاء ، ذولسان و بلاغة

فى الذب عن عقيدة أهل السنة . لم يؤثر عنه فسق و لابدعة اللهم الا هذه الامور التى ضيق عليه لاجلها. وليس شىء منها الا و معه دليله من الكتاب و السنة وآثار السلف . ومن يطيق ان يلحق شأوه فى تحريره و تقريره ؟ والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى، و ان كان تضييقهم ذلك ناشئا من اجتهاد . و مشاجرة العلماء فى مثل ذلك ما هى الا كمشاجرة الصحابة فيما بينهم و الواجب فى ذلك كفّ اللسان الا بخير.

و قد ذكر أنه قال : ان الله تعالى فوق العرش ، و التحقيق ان فى هذه المسئلة ثلاث مقامات :

أحدها البحث عما يصح اثباته للحق توقيفا، و عمّا لا يصح توقيفا، و الحق فى هذا المقام ان الله تعالى أثبت لنفسه جهة الفوق ، و ان الاحاديث متظاهرة على ذلك ، و قد نقل الترمذى ذلك عن الامام مالك و نظرائه .

و ثانيها ان العقل هل يجوّز هذا الكلام حقيقة ؟ أو يوجب حمله على المجاز ؟ و الحق فى هذا المقام أن العقل يوجب أنه ليس على ظاهره فى نفس الأمر.

و ثالثها أنه هل يجب تأويله ؟ أو يجوز وقفه على ظاهره من غير تعيين المراد ؟ و الحق فيه انه لم يثبت فى حديث صحيح او ضعيف انه يجب تأويله ، و لا أنه لايجوز استعمال مثل تلك العبارات من الأمة .

اخبرنى أبوطاهر عن أبيه انه قال قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم و لا عن الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شئ من ذلك يعنى المتشابهات، و لا المنع من ذكره. و من المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ماأنزل اليه من ربه ، و

ينزل عليه: اليوم اكملت لكم دينكم الآية (المائدة)، ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته اليه تعالى مما لايجوز، مع حثّه على تبليغ الشاهد الغائب حتى تقلوا أقواله و أفعاله و أحواله و ما فعل بحضرته. قدلّ على أنهم اتفقوا على الايمان بها على الوجه الذى أراده الله تعالى منها . و أوجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله " ليس كمثله شئ". فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سبيلهم ، انتهى.

و هذا الذى حقّقناه هو مذهب الشيخ ابى الحسن الاشعرى أقرأنى ابو طاهر المدنى رضى الله عنه بخط أبيه أن الشيخ ابا الحسن قال فى كتابه إنى على مذهب احمد فى مسئلة الصفات و ان الله فوق العرش .

و كلام ابن تيمية محمول على المقام الأول و الثالث . و اذا رجعنا إلى الوجدان فلاشك ان لله تعالى خصوصية مع العرش ، كما انا لانجد عبارة فى انكشاف المسموعات و المبصرات أفصح من السمع و البصر ، و الله أعلم بحقائق الامور .

و قد ذكر عنه أنه منع السفر لزيارة (قبر) النبى صلى الله عليه وسلم ، و لايروى كلامه ذلك بدليل صريح صحيح . فانه لم يمنع الزيارة مطلقاً ، بل منع السفر لزيارة القبر بحديث لاتشدوا الرحال، وبحديث لاتتخذوا قبرى عيداً. فاذا كان لقوله مساغ اجتهادى لاينبغى ان يشدد عليه ذلك التشدد .

و قد ذكر عنه أنه قد انكر وجود القطب و الغوث و الخضر والذى تدعيه الشيعة انه المهدى . و حق له ذلك ، فان السنى مادام على شرطه

من اعتقاد ما ثبت بالكتاب و السنة و الاجماع، و السكوت عما لايثبت بها ، يجوز له ان لايعتقد ذلك. و من أثبت ذلك من الصوفية ، فانه لم يثبت عن كتاب و سنة، اللهم الا الكشف ، و ليس من أدلّة الشرع . و الذى أفهم من كلامه انه يريد ان هذا القول مبتدع باطل اعتقاده من حيث الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم . من أحدث من أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . ولو كان قطع بالانكار لم يستحق التكفير و لا التفسيق ايضاً .

و ههنا دقيقة و هى أنه كم من مسئلة لم يدل عليها الشرع لانفياً و لا إثباتا ، و دل عليها العقل كقولنا يحصل من ضرب العشرة فى العشرة المأة ، او الكشف والوجدان كقولنا المحبة الذاتية ثابتة للكمّل من عباد الله ، و هى ميل الوجود الخاص الى أصله المطلق من القيود كمثل ميل كل عنصر الى مقرّه. و هذه المسائل حقة فى الحقيقة و لو اعتقد انسان انها من الشرع كان اعتقاده ذلك خطأ. و لو أحلها محل الثابت بالشرع فانكر على من لم يقل بها ، أو حاول إثباتها على منكريها كاثبات الشرعيات كان خطأ ايضا .

و قد ذكر عنه أنه انكر اعتقاد الشيعة فى الامام المحجوب على زعمهم . و حق له أن ينكر ذلك ، بل الأشاعرة كلهم على هذا الانكار. لا أعلم أحدا قال به .

و قد ذكر عنه انه أساء الأدب مع سيدنا على رضى الله تعالى عنه، و حاشاه من ذلك . و قد طالعت كلامه فوجدت بعضه مسوقاً فى مناقضة الشيعة فى طعنهم على الخلفاء الثلاثة بأمور تخيلوها نقصا ،

كما هو مذكور فى آخر التجريد. فقام هذا الشيخ يعدد عليهم امورا اعترفوا بها فى سيدنا على هى مثلها. كأنه يقول ليست هذه الامور نقصا كما تخيلتم. فان مثلها ماثور عن سيدنا على و هو رضى الله عنه مرضى عندنا و عندكم . و ما هو جوابكم فى سيدنا على هو جوابنا فى الخلفاء الثلاثة . و هذا من كمال علمه وقوة مناظرته و من الاعتراف بفضل سيدنا على.

و على هذا الأصل يخرج قول معلوم ان الرأى إن لم يكن مذموماً الخ، و قوله فان الحسين رضى الله تعالى عنه لم يعظم انكار الأمة لقتله كما عظم انكارهم لقتل عثمان، و قوله فان فضل ابى بكر الخ، معناه الردّ على الشيعة فى طعنهم على الصديق بمنع فدك ، و انه ايذاء لفاطمة رضى الله عنهما ، و قد قال النبى صلى الله عليه وسلم : يؤذينى من اذاها. و حاصله أن مثل هذه الأمور مستثنى من مطلق الايذاء لانه مما يشرع للشرع و كذلك قوله. و اما فعل يؤذينى حاشاه ان يشنع على علىّ و فاطمة رضى الله تعالى عنهما ، بل هو على سبيل المناقضة . كانّه قال : تشنيعكم على ابى بكر هو مثل ما يفرض من تشنيع أحد على على و فاطمة. و جوابكم هو جوابنا بعينه . و بعضه فى مناقضة الشيعة فى إثباتهم فضيلة سيدنا على على الخلفاء الثلاثة كما هو مذكور فى اخر التجريد ايضا. فقام هذا الشيخ يثبت للخلفاء الثلاثة مثل ما اثبتوا لسيدنا علىّ او أفضل منه . و ليس فى التفضيل إساءة أدب . فان التفضيل مذهب أهل السنة أجمع ، حاشاهم ان يسيئوا الأدب معه رضى الله تعالى عنه .

اما تفسير آية الطهارة بالارادة التشريعية دون الارادة التكوينية

فصحيح . و مثله يريد الله بكم اليسر و لايريد بكم العسر (البقرة:١٨٥) و الله يريد أن يتوب عليكم" (النساء : ٢٧) الى غير ذلك من الايات.

و بعد فانى أذكّر الله عز و جل كل مسلم فى هذه المسئلة و أمثالها. الله ! الله ! ان يسب أحد من المسلمين عالما مجتهدا فى أمثال هذه . هذا ما تيسر لى من الجواب و ما حملنى على الجواب الا النصح ، و الله أعلم بحقيقة الأمور" (مكتوبات شاه ولى الله الدهلوى (ص١٨-٢٣)

و مما يدل على اعجابه بشيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمه الله وتأثرهَ بتحقيقاته وآرائه انه نقل و ترجم بالفارسية فى رسالته ، البلاغ المبين ، مباحث و فصولا عديدة من كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ، ونوه فيها باسمه و منزلته العلمية مرارا و تكرارا . و لكثرة ما نقل عنه يصح ان يقال ان رسالته هذه تكاد تكون خلاصة فارسية لكتاب اقتضاء الصراط المستقيم .

و هذا يدل على شدة اعجابه و مبلغ استفادته من دعوة التجديد التى رفع لواءها مجدد الدين شيخ الاسلام الامام ابن تيمية فى بداية القرن الثامن الهجرى فى الشام . و لاشك فى ذلك ، لان دعوته الاصلاحية تشبه دعوة الامام ابن تيمية تماما فى العقيدة والمنهج و لان اساسهما واحد و هو دعوة المسلمين الى اتباع كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و انتهاج طريقة السلف الاولين فى العقيدة والعمل ، والاهتمام بتطهير المجتمع الاسلامى من رسوم الشرك والبدع والخرافات التى شوهت وجه الاسلام المنير.

دوره فى الإصلاح و التجديد

كان الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى امام العلوم النقلية والعقلية و اللغوية و آية من آيات الله فى ذكاء الفهم و صفاء النفس ولطافة الحس و علو الهمة . عرفه الناس عالما ربانيا و مفكرا اجتماعيا و مرشدا حكيما صادق الفراسة ، كانوا يسترشدون به فى الملمات و يستنيرون برأيه فى المشكلات .

كان العصر الذى عاش فيه عصر فوضى و فساد و اضطرابات تتابعت فيه الفتن و الثورات و الحروب ، و فقد الامن و الاستقرار . و تعرضت مدينة دلهى التى كان يقيم و يعمل بها لعدد من الغارات والثورات الدموية . ولكن هذه الحوادث المؤلمة لم تثبطه عن مواصلة العمل ، و لم تثنه عن خطة الدعوة التى اختارها لنفسه وشرح الله لها صدره ، و لم يَخفّت نشاطه فى خدمة الاسلام تدريسا و تأليفا و نشرا . بل على عكس ذلك بقى رابط الجأش مطمئن البال يقود قافلة الاسلام و يوجه رسائله و نصائحه إلى أمراء المسلمين و ملوكهم وقوادهم ويرشد العامة والخاصة ، ويحثهم على الاستقامة على الحق والتعاون على الخير و يحذرهم عواقب الوهن و الخذلان فى تلك الظروف الحرجة التى كان يخاف فيها على مستقبل الاسلام والمسلمين فى الهند التى حكموها قرونا طويلة .

و الأسباب التى أهلته لزعامة الحركة العلمية و قيادة قافلة الاسلام فى الهند ، تعود فى جملتها الى عوامل ثلاثة :

العامل الاول :

انه استطاع بفضل الله و توفيقه أن يزود المكتبة الاسلامية بعدد وافر من مؤلفاته القيمة التى تمتاز باستقامة الفكر وشرح حقائق الاسلام فى ضوء القران الكريم والسنة الشريفة و دقة البحث وباسلوبها الرائق المقنع . ولاتزال منذ ذلك الوقت ، تدرس وتعتمد لدى العلماء والباحثين والمفكرين .

و لقد كان لهذا الانتاج العلمى الرصين دور عظيم فى تعليم الناس على طبقاتهم و تربيتهم . فقد كان زاد هم فى مسيرتهم ومنارا يهتدون به فى شؤون الحياة الفردية و الاجتماعية و السياسية .

العامل الثانى :

انه قضى نحو ٤٥ سنة من حياته فى التدريس و الافادة و الإرشاد. وكان درسه مجمعا للعلماء و أرباب العرفان والادباء والمفكرين . فخرّج جماعة من العلماء الراسخين و الدعاة المخلصين الذين ورثوا علومه و اقتدوا بسيرته و نهجوا سبيله فى حمل الامانة و نشر العقيدة و الدعوة الاسلامية و تدريس العلوم الاسلامية و العربية و تنفير المسلمين من البدع و رسوم الشرك و قيادة الامة فى تلك الظروف الحرجة التى ضعفت فيها القيادة السياسية و تفككت الدولة الاسلامية أولا ثم انهارت . فتكونت من هؤلاء الابطال الذين فى مقدمتهم أنجاله الاربعة (١) المحدث الشاه عبدالعزيز و (٢) الشيخ الشاه رفيع الدين و (٣) الشيخ الشاه عبد القادر و (٤) الشيخ الشاه عبدالغنى ، و تلامذتهم و أتباعهم حركة اسلامية دائبة بعثت فى عامة المسلمين و خاصتهم روح العلم و العمل ، و وحّدت صفوفهم لنشر دعوة الاسلام والعمل لاحياء

شعائره وعلومه والذب عنه و مقاومة التيارات والحركات المناوئة له ، و جهاد الكفار .

العامل الثالث

انه جاء في الوقت الذى كانت الدولة الاسلامية تلفظ نفسها الأخير، و كان المسلمون أمام خطر الخذلان و الضياع . فدعاهم الى دعوة الاسلام الصحيح و الاعتصام بحبل الله ، و نبذ الفُرقة و العصبية المذهبية . و قدم عقيدة الاسلام بيضاء نقية قادرة على تحريكهم و تنظيمهم لمواجهة التحديات بالايمان و الجهاد . فأنقذ قافلتهم الحائرة من الخذلان والضياع الفكرى و الاجتماعى فى عهد الاستعمار الغربى و تسلط الهندوس. ثم انه قدم حقائق الاسلام و خصائص شريعته التى تكوّن نظاما فريدا متكاملا صالحا و شاملا لجميع مجالات الحياة من عقيدة و سلوك و عبادات و اجتماع و اقتصاد و سياسة و جهاد و إصلاح بأسلوب علمى رصين مقنع بهر المثقفين و العلماء و المفكرين و الزعماء و أعجبهم أيما إعجاب . فأعادهم الى حب الاسلام بثقة و اعتزاز، و إلى دراسة القران والسنة و العناية بسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم و خلفائه .

فى تلك الظروف التى انقرضت فيها دولة المسلمين فى الهند وانهارت قيادتهم السياسية ، فلم يبق بأيديهم الا أمارات متفرقة ضعيفة ، وتسلط الكفار من الهندوس والسِّيخ على اكثر المناطق ، ثم جاء الاستعمار الانجليزى فاستولى عليها سنة ١٨٥٧م فاستعمل جميع وسائله و اسلحته لتجريدهم من شخصيتهم الاسلامية و تنصيرهم فاصبحوا مهددين بخطر الارتداد والالحاد ، كانت مدرسة الامام المجدد الشاه ولى الله الدهلوى و خلفائه بمثابة قيادة اسلامية بديلة قابلت

المشكلات و التحديات بايمان قوى و بحكمة و شجاعة نادرة ، فأنقذت ما أمكن انقاذه و تولت حماية الأمة من الضياع الفكرى والاجتماعى ، و حفظت شخصيتها الاسلامية و قدمت خدمات جليلة فى مجال الاصلاح الدينى و تجديد معالم الدين و نشر الثقافة الاسلامية و العربية.

و تعرف حركة الإصلاح و الجهاد التى نظمها هؤلاء الأبطال المجاهدون سعيا لتحرير البلاد من الاستعمار الانجليزى و السِّيخ و لتحقيق المبادئ الإسلامية التى نادى بها امامهم الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله ، بالحركة الوهابية فى تاريخ الهند. و سنعود لذكرها فى موضع آخر إن شاء الله تعالى .

منزلته فى الآداب الإسلامية العالمية

هذا فضل الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى وهذا اثر حركته فى المنطقة المحلية . اما منزلته فى الاداب الاسلامية العالمية فانه أحد عمالقة الفكر الاسلامى المعدودين الذين تجاوزت مؤلفاتهم و أفكارهم حدود الزمان و المكان ، و سارت مسير الشمس فى الشرق والغرب . فانتفعت بها الامم و الاجيال و لاتزال تبدّد غيوم الباطل و تجدّد رسوم الحق حتى اليوم . فمن مؤلفاته التى نالت الاعجاب و القبول فى الاوساط العلمية العالمية ، حجة الله البالغة ، و ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، و الرسالتان الفوز الكبير فى أصول التفسير و الانصاف فى سبب الاختلاف .

فى ختام هذا البحث اود الاشارة الى ان الامام المحدث الشاه ولى الله

الدهلوى كتب فى كتابه التفهيمات الالهية الذى يحوى ما جاش به قلبه من تاملات و خواطر متنوعة ، عبارات و اشارات عديدة تدل على انه كان واثقا بان الله سبحانه و تعالى سيمنحه الامامة الدينية و العلمية و سيحمّلة هذه الامانة العظيمة . و أكتفى هنا بنقل أحد اقواله . يقول :

" فهمنى ربى انا جعلناك إمام هذه الطريقة و سددنا طرق الوصول الى حقيقة القرب كلها اليوم غير طريقة واحدة و فى محبتك و الانقياد لك . والسماء ليس على من عاداك بسماء وليست الارض عليه بارض . فأهل الشرق والغرب كلهم رعيتك و انت سلطانهم علموا أو لم يعلموا . فان علموا فازوا و ان جهلوا خابوا "

(التفهيمات الالهية ج ص)

و يقول فى محل اخر :

" ومن نعم الله علىّ و لا فخر ان جعلنى ناطق هذه الدورة وحكيمها وقائد هذه الطبقة و زعيمها "

(التفهيمات الالهية ج١ ص ١٢٤) .

و هذا شاهد على صدق فراسته و يعد غوره كما يدل على كمال ثقته بدعوته و عظمة أمانة الاسلام التى حمّله الله إياها .

أعماله و خصائص دعوته

هذه الدعوة العلمية والاصلاحية التى نشأت بمساعى الامام الربانى المحدث الشاه ولى الله الدهلوى و جهود خلفائه وأتباعه لم يكن تاثيرها محدودا بزمن معين محدود قد مضى ، و لا منحصرا فى جانب دينى او علمى فقط . لكنها شملت جميع مجالات الحياة الدينية و العلمية والاجتماعية والسياسية ، فأثرت فيها تاثيرا عميقا واسع النطاق . و لاتزال اعمالها وآثارها رغم ما مضى عليها من الدهر الطويل ، تفتح آفاق الفكر و العمل وتنشّط العقل والقلب وتنير الطريق للعلماء والباحثين وأرباب العرفان و قادة الجهاد والحركات الاسلامية حتى اليوم . والسرّ فى بقائها و خلودها انها تمتاز بخصائص علمية وعملية عديدة أهّلتها لقيادة الامة وحمل أمانة الاسلام و أداء رسالته بأصالتها و صفائها .

و قبل أن نلخص فى الصفحات التالية أبرز الخصائص و الصفات التى تميزت بها هذه الدعوة الاسلامية يجب أن نلقى نظرة عاجلة علي الحالة الدينية و العلمية فى شبه القارة الهندية فى العصر الذى نشأ و عاش فيه الامام الشاه ولي الله رحمه الله ، و أن نستعرض خلفيتها بشئ من الايجاز .

دخل الاسلام إلى شبه قارة باكستان و الهند عن طريقين :
أولًا : عن طريق بلاد مكران و السند على أيدي الفاتحين العرب فى القرن الهجري الأول .

تعتبر أرض مكران و السند هى الموطن الأول للفتح الاسلامي المبارك في هذه المنطقة . و كان العرب المسلمون بدأوا حملاتهم لفتح بلاد مكران و السند في عصر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم . فاستطاعوا فتح مكران (اقليم بلوجستان الحالى بباكستان) سنة ٢٣ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و بقيت تحت حكمهم.

ثم فتحوا بلاد السند و معظم البنجاب (وهما اقليمان فى باكستان الحالية) خلال حملاتهم التى استمرت من سنة ٩٢ هـ الى سنة ٩٥ هـ بقيادة القائد المسلم العظيم محمد بن القاسم الثقفى الذى كان وجّهه عمّه الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق لفتحها فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

و صحب هذه الفتوحات الاسلامية المباركة عدد كبير من الصحابة و التابعين و أتباع التابعين رضى الله عنهم . فأقاموا فيها دولتهم العربية الاسلامية التي بقيت أكثر من ثلاثة قرون (من ٩٢ هـ حتى ٤١٦ هـ) فشيدوا فيها المدن و بنوا المساجد و نشروا فى أهلها دين الاسلام و العلوم الاسلامية من قراءة القران الكريم و تفسيره و الحديث النبوى و اللغة العربية . و كان هؤلاء العرب و من دخل فى الاسلام من رعاياهم يتبعون القران و السنة و منهما يستنبطون ما يحتاجون الى معرفته من عقائد و أحكام و مسائل ، إذ لم تكن مذاهب الفقه المختلفة قد ظهرت بعد .

و لما ظهر المذهب الحنفى فى العصر العباسى و كثر أتباعه و صار

مذهبا رسميا للخلافة العباسية ، انتشر فى فى هذه البلاد أيضا فى وقت متأخر دون أن يبلغ حد التقليد الصرف و التعصب ، بل ظل أصل عناية اهل العلم بدراسة القرآن و السنة ، و نبغ منهم علماء و فقهاء و محدثون وكان اكثرهم أصحاب الحديث .

و كان مجتمع المسلمين فى هذه الدولة العربية الاسلامية مجتمعا عربيا إسلاميا خاليا من فتنة المذهبية و مذاهب الكلام و الفلسفة اليونانية. بل كان عمدة المسلمين في العقيدة و العمل القران الكريم و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة و كذلك لغة الثقافة و العلم .

و **الطريق الثانى** الذى دخل منه الفاتحون المسلمون أرض باكستان و الهند هو ممرّ خيبر بالقرب من بشاور (باقليم الحدود الشمالية الغربية بباكستان) .

و منه دخل الفاتحون المسلمون من الغزنويين فى اوائل القرن الخامس الهجرى - بعد سقوط الدولة العربية فى السند و البنجاب - بقيادة القائد البطل السلطان محمود الغزنوى الذى وجّه حملاته من غزنة (بافغانستان) و فتح اواسط الهند و وسع رقعة الدولة الاسلامية و أسس دولة الغزنويين التى خلفتها دولة الغوريين. ثم تتابعت الحملات ، و اصبحت الهند كلها تحت حكم الملوك المسلمين و اتخذوا مدينة دهلى عاصمة لهم .

وكان هؤلاء الملوك الفاتحون من الأفغان و الأتراك و المغول ، وكانت لغة دولتهم الفارسية فأحلوها محل اللغة العربية فى الدوائر الحكومية و

الثقافة و التعليم مع المحافظة على اهمية اللغة العربية العلمية و الدينية . و كانوا على المذهب الحنفى ، و كذلك كان العلماء و الفقهاء والمشايخ الذين وردوا هذه البلاد في عهودهم من افغانستان و ايران و تركستان (بلاد ماوراء النهر) متمسكين بالمذهب الحنفى . كان معظم اعتمادهم على كتب المتأخرين من فقهاء الحنفية و شروحهم . و أصابهم ما يصيب أهل كل مذهب عادة كلما بعد بهم العهد و تأخر الزمان ، يعتمدون على كتب المتاخرين من أهل مذهبهم و يتبعون أقوالهم ، و يهجرون كلام أئمتهم المتقدمين و كتبهم . فيخالفون نصوص أئمتهم فى كثير من المسائل و يحيدون عن طريقتهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

وكان اهتمامهم بدراسة القرآن و الحديث قليلا جدا . و ذلك ايضا للتبرك لا للأخذ بهما او استنباط العقيدة والمسائل منهما . كانوا يكتفون بدراسة كتاب واحد فى الحديث و هو مشارق الأ نوار للامام حسن الصغانى اللاهورى، أو مشكاة المصابيح للشيخ المحدث ولى الدين ابى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى، و كانوا مولعين بدراسة علوم المنطق و الفلسفة اليونانية الالحادية و الاشتغال بالتصوف الذى تأثر بألوان من العادات و الرسوم الشركية و أفكار الروافض و رهبانية الهنود. وكانوا يرون انه لايمكن الصلاح إلا به و لاسبيل الى النجاة و الفوز فى الآخرة الا بمبايعة مرشد صوفى و اتباعه اتباعا كاملا .

و لا يخفى على القارئ الكريم ما بين الدولتين الاسلاميتين: العربية الأولى و العجمية الأخيرة من اختلاف الزمان و الحكام و المنهج

الدينى و الفكرى و اللغة ، و آثار ذلك على العلماء و عامة المسلمين.

و لقد أحسن العلامة الشيخ عبد الحى الحسنى وصف الحالة العلمية و الدينية لتلك القرون الطويلة المتأخرة بقوله :

" و لما انقرضت دولة العرب من بلاد السند ، و تغلبت عليها ملوك الغزنوية و الغورية ، و تتابع الناس من خراسان و ماوراء النهر صار الحديث فيها غريبا كالكبريت الأحمر، و عديما كعنقاء مغرب و غلب على الناس الشعر و النجوم و الفنون الرياضية ، وفى العلوم الدينية الفقه و الأصول . و مضت على ذلك قرون متطاولة حتى صارت صناعة اهل الهند حكمة اليونان و الإضراب عن علوم السنة و القران الا ما يذكر من الفقه على القلة . و كان قصارى نظرهم فى الحديث مشارق الانوار للصغانى، فان ترفع أحد الى مصابيح السنة للبغوى أو إلى مشكاة المصابيح ، ظن انه وصل الى درجة المحدثين و ما ذلك الابجهلهم بالحديث ، ولذلك تراهم لايذكرون هذا العلم و لايقرأونه و لايحثون عليه و لايجذبون إليه و لا يعرفون كتبه و لايعلمون أهله . و القليل منهم كانوا يقرأون المشكاة لاغير و هذا على طريقة البركة لا العمل به و الفهم له . وعمدة بضاعتهم الفقه على طريقة التقليد لا التحقيق الا ما شاء الله تعالى فى أفراد منهم ، ولذلك كثرت فيهم الفتاوى و الروايات و تركت النصوص المحكمات و رفض عرض الفقه على الحديث و تطبيق المجتهدات بالسنن الماثورة عن النبى المعصوم المامون صلى الله عليه وسلم ." (الثقافة الاسلامية في الهند ص ١٣٥)

كانت هذه حالة العلماء و الفقهاء و المشايخ على قلة عددهم . و كذلك قلت وخفت آثار الدعوة الاصلاحية التى قام بها المجدد الشيخ احمد بن عبد الأحد السرهندى رحمه الله فى بداية القرن الحادى عشر الهجرى . و كان عامة المسلمين قليلى الفهم لعقيدة الاسلام و أحكام الشريعة . كانوا يعيشون وسط اكثرية المشركين من البوذيين و الهندوس فكانوا يقتدون بهم طوعا او كرها فى كثير من العادات و التقاليد المنافية لدين الاسلام ، و هم يحسبونها دينا و اسلاما .

فاستغل المتصوفة الجهلاء و المحترفون هذا الاتجاه لأكل أموال الناس و حرمانهم من فهم عقيدة الاسلام الصحيحة .

هذه هى حالة البيئة التى ولد و نشأ فيها المحدث الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى ، و إليها يشير بقوله :

" اما هذا الوصى فانه وجد فى زمان شاع فيهم ثلاثة أشياء :

(١) البرهان و ذلك لاختلاط علوم اليونانيين و اشتغال القوم بالكلام حتى لايكاد يوجد كلام فى العقائد الا ممزوجا بمناظرات برهانية .

(٢) و الوجدان و ذلك لاجتماع الناس شرقا و غربا على قبوله الصوفية و انقيادهم لهم حتى كأن أقوالهم و أحوالهم أعلق بقلوبهم من الكتاب و السنة ، وكل شئ ، و حتى دخل رموزهم و اشاراتهم فى الناس . فمن أنكر رموزهم و اشاراتهم أو كان منهم على جانب فانه لايقبل و لايعدّ من الصالحين . و ما من واعظ على رؤوس المنابر الا و كلامه ممزوج باشارات الصوفية . وما من عالم يعلّم الناس الا وهو يعتقد كلامهم و يتأمل فيه ، أو هو من أصحاب الطبيعة كالبهائم . و ما من ناد من أندية الأمراء و غيرهم الا و عرضة ألسنتهم و بذلة أيديهم و فكاهة محافلهم أشعار الصوفية و نكاتهم .

(٣) و السمع و ذلك لدخولهم فى الملة الاسلامية

و نشأ فى زمان اتبع فيه كل ذى رأى رأيه ، و لن تر فيه أحدا يقف على المتشابهات و ما اشكل عليه من العلم ، ولن تر احدا الا و يخوض فى فهم معانى الاحكام و أسرارها ، و يميل فى ذلك الى المعقول ، و صار لكل رجل مذهب حسب ما فهمه . و تجادلوا و تناظروا و تباحثوا و لم يمكن الاتفاق و الاصطلاح أصلا .

و اختلفوا فى انواع الفقه منهم الحنفى و منهم الشافعى وكل يتعصب لاصحابه و ينكر على الآخرين و كثرت التخريجات فى كل مذهب و خفى الحق " (التفهيمات الالهية ج١ ص ٨٢ - ٨٣)

دعوة التوحيد السلفية

أول ما يميز دعوة الإمام الشاه ولى الله الدهلوى ، و أهم ما تعرف به حركته الاصلاحية هو الاهتمام بنشر عقيدة التوحيد مستمدة من القرآن الكريم و السنة الشريفة. لأن الاعتقاد بالتوحيد أصل أصول البر و عمدة أنواعه ، و هو حق الله تعالى على عبيده ، و لتبليغه بعث جميع الرسل و الأنبياء ، و تتوقف عليه السعادة فى الدنيا و النجاة فى الآخرة . و المراد من التوحيد الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه و تعالى هو الخالق و المدبر لهذا الكون من السماوات و الأرض و ما فيها ، و أنه لا اله غيره ، ولاشريك له ، و لا مثل له ، و هو القادر على كل شئ و لايعجزه شيء ، مع إخلاص العبادة له من غير أن يشرك به شئ أو أحد من نبىّ أو وليّ أو ملك - حيّا كان أم ميّتا - فى أى نوع من أنواع العبادة من السجود و الدعاء و الاستغاثة فى الحوائج و النذر والحج له و الحلف بأسمائه و عدم التسمى بأسماء شركية و غير ذلك مما ورد فى القرآن و السنة . ثم الايمان بأسماء الله الحسنى و صفاته الكاملة التى وردت فى الكتاب و السنة من غير تشبيه و لاتحريف و لاتعطيل و لاتكييف لأنها توقيفية و ذلك مع تنزيهه تعالى عما لايليق بذاته كما قال جلّ و علا: لَيسَ كَمِثلِهِ شَىءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ .

و أن الواجب فى هذا الاعتقاد ، الايمان بما ورد فى القرآن الكريم و السنة من الأوامر و الأسماء و الصفات و الاكتفاء به ، و لزوم منهج السلف الصالحين من الصحابة و التابعين أتباعهم و أئمة الاسلام من أهل السنة و الجماعة ، ومجانبة الهوى و البدعة ، و ترك خوض المتكلمين و

وساوسهم .

هذه هى عقيدة التوحيد السلفية التى قام بنشرها و دعوة الناس اليها هذا الامام العظيم و تلامذته المخلصون و أتباعهم ، و لنشرها و تطبيقها قامت حركة الاصلاح و الجهاد التى قادها الامام المجاهد العارف السيد احمد بن عرفان الشهيد و وزيره الامام المجدد المجاهد الشاه محمد اسماعيل الشهيد و انصارهما من العلماء و المحدثين و الفقهاء و المجاهدين و الشهداء جزاهم الله خيرا و غفر لهم جميعا .

فأصل دعوتهم نشر عقيدة التوحيد السلفية ، و أساسها العلمى و الفكرى التمسك بالقرآن و السنة ، و العناية باحياء شعائر الإسلام و سنن الدين الحنيف ، و السعى لتطهير العقائد من الرسوم الشركية و البدع و العادات الفاسدة .

ثم انهم بذلوا جهدهم و استنفدوا قواهم و وسائلهم من دعوة و ارشاد و تدريس و تأليف و جهاد فى نشر هذه العقيدة الاسلامية و ترويجها و رفعوا صوتها بكل قوة و نشاط حتى ارتجت به السهول و الوديان والجبال ، و هدى الله سبحانه و تعالى بهم خلقا كثيرا لايحصون من الكفار و المشركين الذين أسلموا ، و من المنتسبين الى الاسلام الذين كانوا غارقين فى أنواع الشرك و ظلمات الجهل و الخرافات . فأبصروا شناعتها و أوساخها فتابوا منها و نبذوها ، و اهتدوا الى عقيدة التوحيد الصافية ، و تمسّكوا بالقرآن الكريم و السنة و ذاقوا طعم الايمان بالله و حلاوة الإخلاص له .

فتمسك هؤلاء السادة المجاهدين بهذه العقيدة الصافية واخلاصهم و

اجتهادهم فى نشرها و ترويجها حقيقة معروفة يعلمها القاصى والدانى، و يعترف بها لهم محبهم و مبغضهم حتى أعدى أعداءهم الانجليز المستعمرون الذين استعملوا كل وسائل القمع و البطش و التعذيب و التشريد للقضاء على خطتهم و منع انتشار عقيدتهم حتى أطلقوا عليها اسم الوهابية لالتقاء أصولها بدعوة شيخ الاسلام الامام محمد بن عبد الوهاب و أنصاره رحمهم الله و غفر لهم جميعا .

و قد شرح و فصّل الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله عقيدة التوحيد الصافية و ما يضادها من انواع الشرك و الالحاد ، بأسلوب مشرق شائق يمتاز بالتركيز فى البحث و الاستقصاء مستدلا من آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و آثار السلف الصالحين مع بيان ما فيها من الحكم و المصالح العظيمة النافعة لخلق الله ، فى اكثر مؤلفاته و خاصة حجة الله البالغة و ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء و الفوز الكبير فى أصول التفسير و التفهيمات الالهية ، و عقد لبيانها أبوابا مفصلة . و اكتفى هنا بنقل بعض أقواله حتى يطلع القارئ الكريم على نماذج من أسلوبه و أفكاره .

١- يشرح عقيدة التوحيد و منزلته فى الاسلام و أقسامه بقوله:

"أصل أصول البر و عمدة أنواعه هو التوحيد. و ذلك لانه يتوقف عليه الاخيات لرب العالمين الذى هو أعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة ، و هو أصل التدبير العلمى الذى هو أفيد التدبيرين ، و به يحصل للانسان التوجه التام تلقاء الغيب و يستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس . و قد نبه النبى صلى الله عليه وسلم على عظم أمره و كونه من أنواع البر بمنزلة القلب الذى اذا صلح صلح الجميع و اذا فسد فسد الجميع، حيث

أطلق القول فيمن مات لايشرك بالله شيئا أنه دخل الجنة أو حرمه الله على النار او لايحجب من الجنة و نحو ذلك من العبارات . و حكى عن ربه تبارك و تعالى: من لقينى بقراب الأرض خطيئة لايشرك بالله شيئا لقيته بمثلها مغفرة ".

و اعلم ان للتوحيد أربع مراتب:

إحداها: حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجبا.

الثانية: حصر خلق العرش و السموات و الارض و سائر الجواهر فيه تعالى .

و هاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما و لم يخالف فيهما مشركو العرب و لا اليهود و لا النصارى، بل القرآن العظيم ناصٌ على أنهما من المقدمات المسلمة عندهم.

الثالثة : حصر تدبير السموات و الارض و ما بينهما ، فيه تعالى.

الرابعة : انه لايستحق غيره العبادة

و هما متشابكتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما .

و قد اختلف فيهما طوائف من الناس معظمهم ثلاث فرق : النجامون .... و المشركون .... و النصارى .... و هذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة و خرافات كثيرة لاتخفى على المتتبع . و عن هاتين المرتبتين بحث القرآن الكريم ، و ردَّ على الكافرين ردا مشبعا . (باب التوحيد ص ٥٩ ج١ حجة الله البالغة)

٢- و يشرح فى موضع آخر منزلة التوحيد فى مقامات الاخلاص و الإحسان بقوله:

" و منها التوحيد و له ثلاث مراتب :

إحداها : توحيد العبادة فلايعبد الطواغيت و يكره عبادتها كما يكره أن يقذف فى النار .

و الثانية : أن لايرى الحول و القوة الا لله ، و يرى أن لامؤثر فى العالم الاالقوة الوجوبية بلا واسطة ، و يرى الأسباب عادية انما تنسب المسببات اليها مجازا ، و يرى القدر غالبا على إرادة الخلق .

و الثالثة : ان يعتقد تنزيه الحق عن مشاكلة المحدثين ، ويرى أوصافه لاتماثل أوصاف الخلق و يصير الخبر فى ذلك كالعيان ، و يطمئن قلبه بأن ليس كمثله شئ من جذر قلبه ، و يتلقى أخبار الشرع بذلك على بينة من ربه ناشئة من ذاته على ذاته ."

(مبحث فى المقامات و الأحوال ص٩٣ج ٢ حجة الله البالغة)

٣ - و يشرح فى محل آخر أنواع المشركين بقوله :

" و المرضى بهذا المرض على أصناف منهم من نسى جلال الله بالكلية فجعل لايعبد الا الشركاء و لايرفع حاجته الا اليهم . لا يلتفت الى الله أصلا ، و إن كان يعلم بالنظر البرهانى أن سلسلة الوجود تنصرم إلى الله. و منهم من اعتقد أن الله هو السيد و هو المدبر ، لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف و التأله و يجعله متصرفا فى بعض الامور الخاصة و يقبل شفاعته فى عباده ، بمنزلة ملك الملوك يبعث

على كل قطر ملكا و يقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الأمور العظام. فيتلجلج لسانه ان يسميهم عباد الله فيسوّيهم و غيرهم ، فعدل عن ذلك إلى تسميتهم أبناء الله و محبوبى الله ، و سمى نفسه عبدا لأولئك كعبد المسيح وعبد العزى و هذا مرض جمهور اليهود و النصارى و المشركين و بعض الغلاة من منافقى دين محمد صلى الله عليه وسلم يومنا هذا " (باب فى بيان حقيقة الشرك ص ٦١ ج١ حجة الله البالغة)

الايمان باسماء الله الحسنى و صفاته الجليلة

٤ - و يدعو الى الايمان بأسماء الله تعالى و صفاته على طريقة السلف الصالحين بقوله :

" اعلم أن من أعظم أنواع البر الايمان بصفات الله تعالى و اعتقاد اتصافه بها . فانه يفتح بابا بين هذا العبد و بينه تعالى ، و يعده لانكشاف ما هنالك من المجد و الكبرياء . و اعلم ان الحق تعالى أجل من ان يقاس بمعقول أو محسوس او يحل فيه صفات كحلول الأعراض فى محالها أو تعالجه العقول العامية أو تتناوله الالفاظ العرفية. و لابد من تعريفه إلى الناس ليكملوا كمالهم الممكن لهم . فوجب أن تستعمل الصفات بمعنى وجود غاياتها لا بمعنى وجود مباديها ، و ان يسلب عنه كل ما لايليق به لاسيما ما لهج به الظالمون فى حقه، مثل لم يلد و لم يولد.

و قد أجمعت الملل السماوية قاطبتها على بيان الصفات على هذا الوجه و على أن تستعمل تلك العبارات على وجهها و لايبحث عنها أكثر من استعمالها. و على هذا مضت القرون المشهود لها بالخير ثم خاض طائفة من المسلمين فى البحث عنها و تحقيق معانيها من غير نص و

لابرهان قاطع. قال النبى صلى الله عليه وسلم : " تفكروا في الخلق و لاتفكروا فى الخالق " و قال فى قوله تعالى : (و أن الى ربك المنتهى)" "لا فكرة فى الرب" و الصفات ليست بمخلوقات محدثات . والتفكر فيها انما هو أن الحق كيف اتصف بها فكان تفكرا فى الخالق . قال الترمذى فى حديث " يد الله ملأى" و هذا الحديث قال الائمة نؤمن كما جاء من غير ان يفسر و يتوهم. هكذا قال غير واحد من الائمة منهم سفيان الثورى ، و مالك بن أنس، و ابن عيينة ، و ابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء و يؤمن بها و لايقال كيف . و قال فى موضع آخر: إن إجراء هذه الصفات كما هى ليس بتشبيه ، و انما التشبيه أن يقال سمع كسمع و بصر كبصر. و قال الحافظ ابن حجر : لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم و لا عن أحد من الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شئ من ذلك يعنى المتشابهات و لا المنع من ذكره . و من المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل اليه من ربه و ينزل عليه (اليوم أكملت لكم دينكم)، ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته اليه تعالى مما لايجوز ، مع حثه على التبليغ عنه بقوله : " ليبلغ الشاهد الغائب " حتى نقلوا أقواله و أفعاله و أحواله و ما فعل بحضرته . فدل على أنهم اتفقوا على الايمان به على الوجه الذى اراد الله تعالى منها و أوجب تنزيهه عن مشابهات المخلوقات بقوله: (ليس كمثله شئ). فمن أوجب ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم، انتهى. . .. .

و استطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث و سموهم مجسمة و مشبهة ، و قالوا هم المتسترون بالبلكفة . و قد وضح على وضوحا بينا أن استطالتهم هذه ليست بشئ و انهم مخطئون فى مقالتهم رواية و دراية و خاطئون فى طعنهم أئمة الهدى . "

(باب الايمان بصفات الله تعالى ص ٦٣ - ٦٤ ج١ حجة الله البالغة)

٥- و كذلك يؤكد فى موضع آخر انه يتبع منهج الحديث و آثار الصحابة و التابعين فى تفسير القرآن و تأويل المتشابهات و الإيمان باسماء الله الحسنى و صفاته الكاملة ، و يقول:

"و ما يفعله المتكلمون من الغلو فى تأويل المتشابهات و بيان حقيقة الصفات فهو بعيد عن مذهبى ، فان مذهبى مذهب مالك و الثورى و ابن المبارك و سائر القدماء ، و ذلك هو الإمرار من المتشابهات على الظواهر ، و ترك الخوض فى التأويل . و النزاع فى الأحكام المستنبطة ، و إحكام مذهب مخصوص ، و طرح غير ذلك من الأوضاع ، و الإحتيال لدفع الدلائل القرآنية غير صحيح عندى . و أخاف أن يكون ذلك من قبيل التدارؤ بالقرآن . و إنما اللازم أن يطلب مدلول الآيات، و يتخذ مدلول الآية مذهباً أى ذاهب ذهب إليه ، موافقاً كان أو مخالفاً . و أما لغة القرآن فينبغى أخذها من استعمال العرب الأول ، وليكن الاعتماد الكلى على آثار الصحابة والتابعين . ...

" و أما المعانى و البيان فهو علم حادث بعد انقراض الصحابة و التابعين ، فما يفهم منه فى عرف جمهور العرب فهو على الرأس و العين ، و ما كان من أمر خفى لايدركه إلا المتعمقون من أهل الفن فلانسلّم أن يكون مطلوباً فى القرآن .

و أما إشارات الصوفية و اعتباراتهم فليست فى الحقيقة من فن التفسير ، (الباب الرابع من الفوز الكبير فى أصول التفسير)

حقيقة الشرك و أنواعه

٦ – و يشرح حقيقة الشرك و أقسامه بالتفصيل بقوله:

" حقيقة الشرك أن يعتقد انسان فى بعض المعظمين من الناس أن الآثار العجيبة الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفا من صفات الكمال مما لم يعهد فى جنس الانسان ، بل يختص بالواجب جل مجده، لايوجد فى غيره. الا أن يخلع هو خلعة الالوهية على غيره فى ذاته و يبقى بذاته أو نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من أنواع الخرافات. كما ورد فى الحديث " ان المشركين كانوا يلبون بهذه الصيغة : لبيك لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك " فيتذلل عنده أقصى التذلل و يعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى.

وهذا المعنى له أشباح و قوالب . و الشرع لايبحث الا عن أشباحه و قوالبه التى باشرها الناس بنية الشرك حتى صارت مظنة للشرك و لازما له فى العادة كسنة الشرع فى اقامة العلل المتلازمة للمصالح و المفاسد مقامها . و نحن نريد أن ننبهك على أمور جعلها الله تعالى فى الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوات و التسليمات مظنات للشرك ، فنهى عنها .

(١) فمنها أنهم كانوا يسجدون للأصنام و النجوم فجاء النهى عن السجدة لغير الله . قال الله تعالى : (لاتسجدوا للشمس و لا للقمر و اسجدوا لله الذى خلقهن). و الاشراك فى السجدة كان متلازما للاشراك فى التدبير كما أومأنا اليه .

و ليس الامر كما يظن بعض المتكلمين من أن توحيد العبادة حكم من احكام الله تعالى مما يختلف باختلاف الاديان لا يطلب

بدليل برهاني. كيف و لو كان كذلك لم يلزمهم الله تعالى بتفرده بالتخليق و التدبير كما قال عز من قائل (قل الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى آ لله خير) الى آخر خمس آيات. بل الحق أنهم اعترفوا بتوحيد الخلق و بتوحيد التدبير فى الامور العظام وسلموا أن العبادة متلازمة معهما لما اشرنا اليه فى تحقيق معنى التوحيد . فلذلك ألزمهم الله بما ألزمهم ، و لله الحجة البالغة .

(٢) و منها أنهم كانوا يستعينون بغير الله فى حوائجهم من شفاء المريض و غناء الفقير ، و ينذرون لهم يتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور ، و يتلون أسماءهم رجاء بركتها . فأوجب الله تعالى عليهم أن يقولوا فى صلاتهم " اياك نعبد و إياك نستعين" ، و قال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا). و ليس المراد من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين ، بل هو الاستعانة لقوله تعالى : (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون).

(٣) و منها أنهم كانوا يسمون بعض شركاءهم بنات الله و أبناء الله ، فنهوا عن ذلك أشد النهى . و قد شرحنا سره من قبل.

(٤) و منها أنهم كانوا يتخذون أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله تعالى بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن ما أحله هؤلاء حلال لاباس به فى نفس الامر ، و أن ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به فى نفس الامر. و لما نزل قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله) الآية ، سأل عدى بن حاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. فقال : « كانوا

يحلون لهم أشياء فيستحلونها و يحرمون عليهم أشياء فيحرمونها » . و سرّ ذلك أن التحليل و التحريم عبارة عن تكوين نافذ فى الملكوت أن الشىء الفلانى يؤاخذ به أو لايؤاخذ به ، فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة و تركها و هذا من صفات الله تعالى . و أما نسبة التحليل و التحريم الى النبى صلى الله عليه وسلم فبمعنى أن قوله أمارة قطعية لتحليل الله و تحريمه ، و أما نسبتها إلى المجتهدين من أمته فبمعنى روايتهم ذلك عن الشرع من نص الشارع أو استنباط معنى من كلامه .

(٥) ومنها أنهم كانوا يتقربون الى الاصنام و النجوم بالذبح لأجلهم إما بالاهلال عند الذبائح باسمائهم و إما بالذبح على الأنصاب المخصوصة لهم ، فنهوا عن ذلك .

(٦) و منها أنهم كانوا يسيبون السوائب و البحائر تقربا إلى شركائهم ، فقال الله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة و لاسائبة) الآية.

(٧) و منها انهم كانوا يعتقدون فى أناس ان أسماءهم مباركة معظمة، و كانوا يعتقدون أن الحلف باسمائهم على الكذب يستوجب حرما فى ماله و أهله فلا يقدمون على ذلك . و لذلك كانوا يستحلفون الخصوم بأسماء الشركاء بزعمهم، فنهوا عن ذلك. و قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من حلف بغير الله فقد أشرك). و قد فسره بعض المحدثين على معنى التغليظ و التهديد ، و لا أقول بذلك . و انما المراد عندى اليمين المنعقدة واليمين الغموس باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا

(٨) و منها الحج لغير الله تعالى و ذلك ان يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء، فنهى الشرع عن ذلك . قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد).

(٩) و منها انهم كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى و عبد شمس و نحو ذلك، فقال الله : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها) الاية ، و جاء فى الحديث ان حواء سمت ولدها عبدالحارث ، و كان ذلك من وحي الشيطان . و قد ثبت فى أحاديث لاتحصى ان النبى صلى الله عليه وسلم غير أسماء اصحابه عبد العزى و عبد شمس و نحوهما إلى عبد الله و عبد الرحمن و ما أشبههما.

فهذه أشباح و قوالب للشرك نهى الشارع عنها لكونها قوالب له ، و الله أعلم. " (باب أقسام الشرك ص ٦١-٦٢ ج١حجة الله البالغة).

٧- و كذلك يوضح فى محل آخر بعض انواع الشرك بقوله:

" ثم ان الشرك بالله سبحانه فى العبادة حدّه تعظيم لغير الله يقصد به الزلفى من الله تعالى او النجاة فى الدار الآخرة . و من أعظم الأمراض فى زماننا هذا عبادتهم لشيوخهم أحياء ، و لقبورهم أمواتا . و الجهلة يقتدون بكَفَرة الهند فى عبادة أصنامهم و فى أفعالهم .

و اما الإشراك بالله استعانة فحدّه أن يطلب من أحد حاجته عالما بان فيه قدرة إنجاحها من صرف الإ رادة النافذة كالشفاء في المرض و الإحياء و الإماتة و الرزق و خلق الولد و غيرها مما يتضمنه أسماء الله تعالى .

و اما الإشراك بالله دعاء ، فحدّه أن يذكر غير الله سبحانه و تعالى عالما بأن فعله ذلك نافع له فى معاده أو قربه الى الله كما يذكرون شيوخهم اذا أصبحوا .

و الإشراك بالله ذبحا فحدّه أن يذبح او يسيب حيوانا أحد بحيث اذا لم يذبح هذا الحيوان لم يكشف الحاجة التى فى صدره

و الإشراك بالله فى النذور و الأيمان فحدّه أن يجد وجوبا بشرف اسمه و تألّه ذاته .

و البدعات أمور كانت من تحاريف الناس بعد الأنبياء حسبوها عبادة او اتخذوها عادة مسلوكة . و من أعظم البدع ما اخترعوه فى أمر القبور و اتخذوها عيدا و فى العبادات الموقتة التى حواها أوراد المشايخ " (التفهيمات الالهية ج٢ ص٦٤)

العناية بنشر علوم القرآن

لما عاد الامام الشاه ولى الله الدهلوى من الحجاز متشبعا بروح جديد و مصمما على القيام بنشر دعوة الاسلام الصحيحة و تطهير المسلمين من العقائد الضالة و العادات الفاسدة التى تسربت اليهم لاختلاطهم بغير المسلمين و جهلهم بالعقيدة الاسلامية الصحيحة ، رأى بثاقب نظره ان إصلاحهم لايمكن دون ان يفهموا القران الكريم و يعلموا أوامره ومناهيه . فكان القران الكريم أول ما عنى به . فركز اهتمامه بتدريسه إقراء و تفهيما و تفسيرا . ولكن اكثر المسلمين ماكانوا يعرفون اللغة العربية ، فشعر بالحاجة الى نشر ترجمة القرآن الكريم بالفارسية التى كانت اللغة الرسمية والعلمية فى عصره . ولم تكن آنذاك بالهند ترجمة صحيحة كاملة للقران الكريم . فتولي بنفسه ترجمة القران الكريم بالفارسية و أتمّها فى رمضان المبارك سنة ١١٥١هـ و سماها فتح الرحمن فى ترجمة القران.

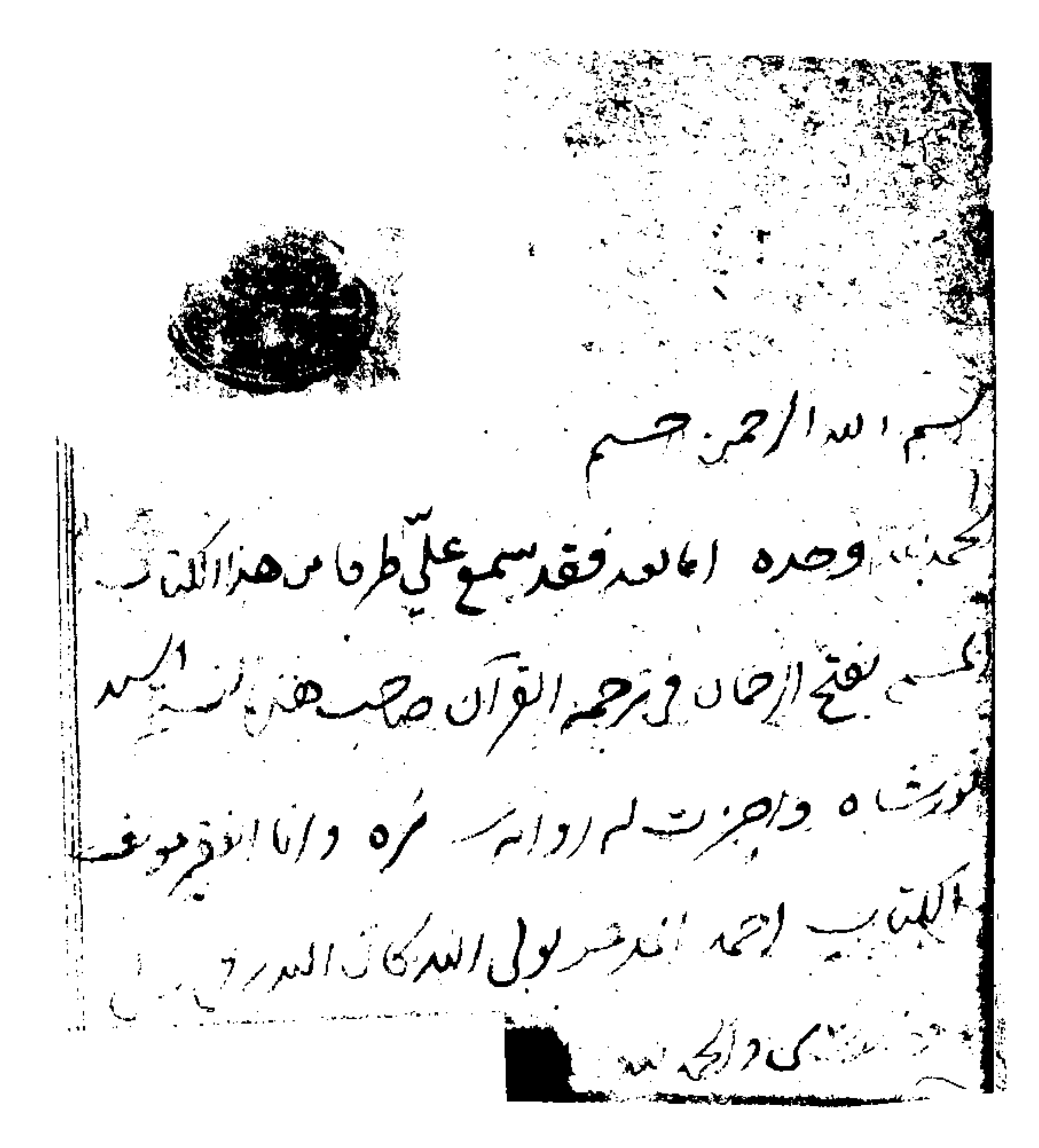
ولما علم بترجمته العلماء المحترفون و الصوفية الجاهلون الخرافيون الذين كانوا يصرون على إخفاء تعاليم الاسلام الصحيحة عن العامة لتضليلهم و اكل اموالهم بالباطل ، خافوا على رياستهم و مكانتهم و اشتد غضبهم عليه ، فحرضوا عليه الاوباش و اتباعهم الجاهلين الذين اجمعوا امرهم على قتله . و اجتمعوا يوما على باب الجامع الفتح بورى بمدينة دلهى الذي كان يصلى فيه العصر ليثبوا عليه عند خروجه و كانوا يزيدون على مئة و لم يكن معه الا عدد قليل . فخرج مكبرا و بشجاعة نادرة أدهشتهم . فبهتوا و لم يستطيعوا شيئا . فكفاه الله شرهم . ويقال ان بعض أمراء الشيعة ايضا تورطوا فى هذه المؤامره الفاشلة . ثم ترك السكنى بدهلى مدة لتهدئة الوضع . و واصل جهوده و نشر الترجمة

التى تلقاها الاوساط العلمية بالرضى و القبول و اقتنع العامة و الخاصة بصحتها و نفعها . و لاتزال هذه الترجمة تنشر حتى اليوم .

وكانت هذه الترجمة فاتحة باب عظيم لنشر علوم القران الكريم و تراجمه و تفاسيره بمختلف اللغات المحلية . فاقتدى به بعده ابنه الشيخ الجليل الشاه رفيع الدين فترجم القران الكريم الى اللغة الاردية التى كانت في بداية نشأتها ، كماقام ابنه الشيخ الفاضل الشاه عبدالقادر بترجمة اردية اخرى سماها موضح القران . وألف ابنه العلامة المحدث الشاه عبدالعزيز الدهلوى تفسير فتح العزيز بالفارسية . كما ألف تلميذه القاضى ثناء الله البانى بتى التفسير المظهرى فى عشرة مجلدات . و كان الامام الشاه ولى الله الدهلوي بالاضافة الى ترجمة القران ، الف رسالتين مهمتين فى علوم التفسير هما الفوز الكبير فى أصول التفسير و تاويل الاحاديث . و لاتزال هذه التراجم والتفاسير منشورة مقبولة فى الاوساط العلمية و الثقافية حتي الان .

هذه قصّة بداية الجهود المباركة فى خدمة القران الكريم بنشر علومه تدريسا و تاليفا . ثم تنوعت و تتابعت ولاتزال مستمرة بفضل الله و توفيقه .

صورة من خط الامام الشاه ولى الله الدهلوى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده اما بعد فقد سمع علی طرفا من هذا الكتاب

المسمى بفتح الرحمن في ترجمة القرآن صاحب هذه النسخة السيد

نور شاه واجزت له روايته ... وانا الفقير موقع

الكتاب احمد المدعو بولي الله ...

... ذي الحجة ...

و هذه صورة من خط الامام الشاه ولى الله الدهلوى فى إجازة منحها تلميذا له سمع منه طرفا من ترجمة القرآن المسماة بفتح الرحمن فى ترجمة القرآن. وهى مكتوبة بيد الإمام على غلاف النسخة الخطية لهذه الترجمة التى توجد برقم ٩٥ فى قسم المخطوطات بمكتبة الدكتور حميد الله بمجمع البحوث الاسلامية (بالجامعة الاسلامية العالمية) باسلام اباد - باكستان

الدعــوة الى اتباع السـنة
و الاهتمام بنشر علومها

والميزة الثالثة التى تميز هذه الحركة الاسلامية هى حبها للسنة المحمدية والحرص على اتباعها فى العقيدة, والعمل و عرض المسائل الفقهية عليها ليؤخذ ما وافقها و يترك ما خالفها ، والعناية بنشر علومها تدريسا وتاليفا . و قد توارث هذا البيت الشريف هذه الطريقة السنية من الشيخ المحدث الشاه عبدالرحيم الدهلوى والد الامام الشاه ولى الله الدهلوي و مؤسس المدرسة الرحيمية بدلهى الذى جعل السنة نصب عينيه و كان يحث العلماء والطلاب على اجادة علوم الحديث و نشرها .

ثم جاء الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى الذى جمع الله له من علوم القرآن والحديث و الفقه ما جعله سيد علماء الهند غير منازع . و بلغ من حفظ متون الحديث و ضبط الاسانيد و الاطلاع على دواوين الحديث مرتبة لم تتفق لأحد قبله من أهل بلده مع ما أوتى من علم أسرار الحديث و معرفة وجوه الاستنباط و أصول الفقه . فصار رئيس المحدثين، و مؤسس مدرسة اهل الحديث و سيد الفقهاء . كان درسه مجمعا للعلماء و الفقهاء و أهل الفكر و العرفان و كان يدرس الحديث علي نهج المحدثين الأولين رواية و دراية و قضى فى تدريسه و نشره نحو ٤٥ سنة من حياته. فتخرج عليه خلق لايحصى . و اليه ترجع و تنتهى اسانيد رواية الحديث لجميع المحدثين و العلماء فى هذه البلاد ، فعنه يروون و اليه يستندون ، جزاه الله خيرا .

فأسس منهجا جديدا للعناية بعلم الحديث الذى كان حظه فى مناهج

التدريس ضعيفا كالمعدوم بجانب العلوم العقلية من المنطق والفلسفة التى كانت مسيطرة، اذ كانوا يعتبرونها حكما و ميزانا فى العقائد والمسائل . فثار على هذا الوضع الشائن و اثبت ان مصدر العقائد والحقائق والمسائل انما هو الكتاب والسنة . واعطى علم الحديث حقه فى التدريس و قضى حياته فى خدمته تدريسا وتاليفا و نشرا. فأنتج ذلك نهجا فكريا اساسه الكتاب والسنة .

سعدت شبه القارة الهندية فى هذه العصور ايضاً بوجود علماء أجلاء آخرين خدموا القرآن و الحديث و الدعوة الإسلامية تدريسا و تأليفا و فى مقدمتهم :

١) الإمام المحدث اللغوى ابو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى اللاهورى (ت ٦٥٠هـ) صاحب العباب الزاخر و مشارق الأنوار النبويّة من صحاح الأخبار المصطفوية ،

٢) و الإمام المحدث على بن حسام الدين المتقى الهندى (ت ٩٨٦هـ) صاحب كنز العمال فى سنن الأقوال و الأفعال ، و هو أول موسوعة فى علم الحديث ،

٣) و الشيخ المحدث محمد بن طاهر البتنى الكجراتى (ت٩١٣هـ) صاحب مجمع بحار الانوار فى غرائب التنزيل و لطائف الأخبار،

٤) و الامام المصلح المجدد احمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندى (ت١٠٣٤ هـ) صاحب المكاتيب المعروفة ،

٥) و المحدث الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى (ت ١٠٥٢هـ) صاحب لمعات التنقيح فى شرح مشكاة المصابيح و غيره .

فكان لهؤلاء الفحول و لأصحابهم مآثر محمودة و خدمات جليلة فى نشر علوم القرآن و السنة . و لكنها لم تلق استجابة و اقبالا عاما من اهل

البلاد . لأن تعصّب عامة العلماء و الفقهاء للفقه و جمودهم عليه و افتتانهم بالمعقولات اليونانية و طغيان التصوف الهندى والايرانى على عقولهم صرفتهم عن دراسة القرآن و الاشتغال بعلوم الحديث النبوى الشريف .

بينما تتميز المساعى الحميدة التى بذلها الإمام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى لنشر علوم الحديث فى الهند عن جهود من سبقه من العلماء و المحدثين كمّاً و كيفًا ، و من نواح عديدة ، أهمها :

(١) انه لم يكتف بالتدريس و التأليف فحسب ، بل دعا الى إعطاء السنة النبوية مكانها اللائق بها فى العقيدة و العمل و مناهج التعليم ، و اتخاذها أساسا و ميزانا فى تفسير القرآن و استنباط الأحكام الشرعية و أخذ التزكية و الاحسان ، و أنه لابد لذلك من درس القرآن و الحديث و تدريسهما ابتداء و أساسا لاتبعا للفقه و تأييدا له ، او التبرك فقط . يقول فى نصيحته للعلماء و الطلاب :

"و أقول لطلبة العلم : أيها السفهاء المسمون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين و بالصرف و النحو و المعانى . و ظننتم أن هذا هو العلم . و انما العلم آية محكمة من كتاب الله، أن تتعلموها بتفسير غريبها و سبب نزولها و تأويل معضلها، أو سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفظوا كيف صلى النبى صلى الله عليه وسلم وكيف توضأ ؟ و كيف كان يذهب لحاجة وكيف يصوم كيف يحج ؟ و كيف يجاهد ؟ كيف كان كلامه و حفظه للسانه وكيف كان أخلاقه ؟ فاتبعوا هديه واعملوا بسنته على أنه هدى و سنة ، لا على أنه فرض

ومكتوب عليكم، أو فريضة عادلة أن تتعلموا ما كان أركان الوضوء ؟ و ما أركان الصلاة ؟ وما نصاب الزكاة ؟ وما قدر الواجب ؟ وما سهام فرائض الميت ؟ امّا السير وما يرغب فى الآخرة من حكايات الصحابة والتابعين فهو فضل . أما تعرفون أن الحكم ما حكمه الله و رسوله .

و ربّ إنسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيّكم فلايعمل به و يقول إنما عملى على مذهب فلان لا على الحديث . ثم احتال بأن فهم الحديث و القضاء به من شان الكُمَّل المَهَرة ، وإن أئمة لم يكونوا ممن يخفى عليهم هذا الحديث . فما تركوه إلا لوجه ظهر لهم فى الدين من نسخ أو مرجوحية .

اعلموا انه ليس هذا من الدين فى شئ . إن آمنتم بنبيّكم فاتّبعوه خالف مذهبا أو وافقه . كان مرضى الحق أن تشتغلوا بكتاب الله و سنة رسوله ابتداء . فان سهل عليكم الأخذ بهما فبها و نعمت ، و إن قصرت أفهامكم فاستعينوا برأى من مضى من العلماء ما ترونه أحق و أصرح و أوفق بالسنة ، و أن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة ، لا بأنها أمور مستقلة . أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الاسلام فى بلاد المسلمين . فلم تظهروا الشعائر و أمرتم الناس بالزوائد و استكثرتم فى أعينهم طلب الحق والدين . أما ترون البلاد العظام تخلو عن العلماء ، و ان كانوا ، فهم دون ظهور الشعائر ." (التفهيمات الالهية ج١ ص٢١٥)

فوضع بذلك الأساس الفكرى الصحيح للعناية بعلوم القرآن و الحديث على طريقة السلف .

(٢) انه لم يكتف بتدريس الحديث بالقدر المقرر المعروف فى الأوساط العلمية آنذاك ، و هو لايزيد عن كتاب أو كتابين ، هما مشارق الأنوار للشيخ الحسن الصغانى اللاهورى و مشكاة المصابيح للإمام ولى الدين محمد الخطيب التبريزى . بل اهتم بتدريس كتب الحديث المدوّنة كلها و فى مقدمتها موطأ الامام مالك و صحيح الإمام البخارى و صحيح الإمام مسلم و غيرها ، و أوصى بتدريسها و العناية بها .

(٣) انه اختار طريقة تدريس الحديث على منهج المحدثين الأوائل رواية و دراية ، و أنكر طريقة الفقهاء الجامدين و المتعصبين الذين عادتهم تأويل الحديث و تحريفه لتأييد مذاهبهم و أهوائهم.

(٤) انه أوتى حظا وافرا من علم أسرار الحديث و مصالح الأحكام و الجمع بين الفقه و الحديث . فشرح الأسرار و المصالح التى اشتملت عليها السنن النبوية فى جميع الأبواب من عقيدة و إحسان و معاملات و سياسة و اجتماع و جهاد و إصلاح المجتمعات البشرية ، و أثبت فضل السنة السنية و الهدى النبوى على سائر العلوم و المعارف ، و أنزل علم الحديث منزلته السامية بأسلوب شائق يمتاز بالتركيز فى البحث و الاستقصاء و الاستشهاد بشواهد المنقول و المعقول . من أراد تفصيل ذلك فليراجع كتابه حجة الله البالغة الذى لايوجد له نظير فى شرح

أسرار الحديث و مصالح الأحكام ، فى الآداب الإسلامية .

و الجدير بالذكر ان الامام الشاه ولي الله الدهلوى كان معجبا جدا بموطأ الإمام مالك وكان يعتبره اصل علم الحديث و اساسه، و كان يقدمه على صحيح البخارى من بعض الوجوه. و اوصى بدرسه وتدريسه فى المناهج الدينية . ومما يدل على شدة اعجابه به انه ألف شرحين له : الاول بالعربية وسماه المسوى فى شرح الموطأ ، والثانى بالفارسية و سماه المصفى فى شرح الموطأ .

فأثمرت هذه الجهود التى بذلها الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى و خلفاؤه فى نشر علوم الحديث و نشطت فى الهند فى القرنين الثالث عشر و الرابع عشر من الهجرة حركة علمية كانت العناية بعلوم الحديث نصب عينيها . فزاد الاقبال عليها و نبغ علماء و محدثون تناولوا كتب السنة و أسفارها بالشرح والتحقيق و الترجمة والتعليق عليها . فأحيوا بجهودهم مآثر المحدثين القدامى و ذلك فى الوقت الذى ضعف فيه الاهتمام بهذه العلوم الشريفة فى اقطار العالم الاسلامى الاخرى .

و أبرز أعلام هذه النهضة العلمية بعد الامام الشاه ولى الله الدهلوى :

١ . ابنه وخلفه العلامة الشاه عبدالعزيز الدهلوى الذى درس علوم القرآن و الحديث مدة طويلة و تخرج عليه جمع عظيم من العلماء والفقهاء منهم امام جماعة المجاهدين السيد احمد بن عرفان الشهيد و الشيخ المجاهد الشاه محمد اسماعيل الشهيد، و سبطه المحدث الشاه محمد اسحاق، و ختنه الشيخ المجاهد عبد الحى البدهانوى و الشيخ المجاهد خرم علي البلهورى و الداعية الشيخ اولاد حسن بن على القنوجى (والد العلامة الاديب نواب صديق حسن البوفالى).

و هو الذى كان أصدر الفتوى بعد استيلاء الاستعمار الانجليزى و السيخ على الهند في منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، بأنها صارت دار حرب و وجب الجهاد الشرعى على المسلمين لتخليصها من أيدى المحتلين ، و بارشاده و تعليماته نظمت حركة الجهاد بقيادة السيد احمد بن عرفان الشهيد و الشاه محمد اسماعيل الشهيد.

٢ . المفسر العلامة القاضى ثناء الله البانى بتى صاحب التفسير المظهرى و السيف المسلول فى رد الروافض و غيرهما من المؤلفات القيمة فى الحديث و الفقه و الاصلاح الدينى .

٣ . المحدث الشاه محمد اسحاق الدهلوى الذى تولى التدريس بمسند الشاه عبد العزيز الدهلوى بعد وفاته و تخرج عليه جماعة عظيمة من العلماء منهم :

(١) الشيخ المحدث عبد الغنى المجددى الذى تلقى منه علماء كثيرون أشهرهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس جامعة دارالعلوم فى ديوبند بالهند ، و الشيخ الفاضل رشيد احمد الكنكوهى.

(٢) و الشيخ الحاج امداد الله المهاجر الى مكة المكرمة انتفع به خلق عظيم لايحصون .

(٣) الشيخ المحدث احمد على السهارنفورى صاحب الحواشى على صحيح البخارى و جامع الترمذى و مشكاة المصابيح، قضى حياته فى تدريس الحديث ونشركتبه.

٤ . المحدث الشيخ السيد نذير حسين الدهلوى الذى استخلفه شيخه الشاه محمد اسحاق الدهلوى بمسنده عند هجرته سنة ١٢٥٨ هـ الى مكة المكرمة . فدرس الحديث و غيره من العلوم مدة تزيد على ٦٠ سنة

و تخرج عليه خلق كثير من العلماء و المحدثين و الفقهاء يعدون بالآلاف ، منهم

(١) المحدث الحافظ عبد المنان بن شرف الدين الوزيرآبادى ، درس الحديث مدة تزيد على ٣٠ سنة.

(٢) الشيخ الفاضل محمد بشير بن بدر الدين السهسوانى مؤلف صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان

(٣) المحدث الشيخ محمد شمس الحق بن امير على العظيم آبادى صاحب عون المعبود على سنن ابى داود و مؤلفات أخرى فى علوم السنة.

(٤) الشيخ احمد حسن الدهلوى مؤلف تنقيح الرواة فى تخريج احاديث المشكاة

(٥) الشيخ الداعية محمد بن بارك الله اللكوى نشر العلم و العقيدة الصحيحة، و أسس الجامعة المحمدية .

(٦) العارف الشيخ المصلح عبد الله الغزنوى نشر العلوم و السنة مدة طويلة .

(٧) المحدث الشيخ عبد الرحمن المباركفورى مؤلف تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى و مؤلفات أخرى فى السنة .

(٨) الشيخ الفاضل عبد الحى بن فخر الدين الحسنى مؤلف نزهة الخواطر فى تراجم أعيان الهند.

(٩) الشيخ المحدث وحيد الزمان اللكنوى مؤلف تراجم كتب الحديث و شروحها باللغة الأردية

(١٠) و الشيخ محمد ابراهيم الآروى مؤسس المدرسة الاحمدية فى آره باقليم بهار بالهند.

(١١) و الشيخ الحافظ عبد الله الغازى فورى ، درس الحديث مدة

طويلة .

(١٢) العلامة الشيخ عبد السلام المباركفورى، درس الحديث زمانا.

٥ . المحدث الأديب العلامة نواب صديق حسن خان البوفالى تلقى العلم عن المحدث الشاه محمد يعقوب الدهلوى صنو المحدث الشاه محمد اسحاق الدهلوى و المحدث عبد الحق البنارسى تلميذ الامام محمد بن على الشوكانى اليمنى . خدم القرآن و السنة و الفقه و الأدب و التاريخ بمؤلفاته القيمة الفريدة التى تعد بالمئات و اكثرها مطبوعة معتمدة لدى العلماء و المحدثين و هو الذى طبع و نشر كثيرا من كتب الحديث فى الهند.

٦ . المحدث الشيخ حسين بن محسن الأنصارى اليمنى الذى استوطن بأهله بلدة بوفال بدعوة من العلامة نواب صديق حسن خان البوفالى ، فاستفاد منه العلماء و تخرج عليه جماعة منهم أعلام المحدثين أمثال الشيخ شمس الحق العظيم آبادى مؤلف عون المعبود على سنن ابى داود ، والشيخ عبد الرحمن المباركفورى مؤلف تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى و الشيخ وحيد الزمان و صنوه الشيخ بديع الزمان و غيرهم .

٧ . العلامة المحدث ابوالحسنات عبدالحى اللكنوى مؤلف كتب قيمة فى الحديث و الفقه، تخرج عليه جمع عظيم من العلماء والفقهاء .

٨ . الشيخ المحدث خليل احمد بن مجيدعلى السهارنفورى تليمذ الشيخ رشيد احمد الكنكوهى و هو صاحب بذل المجهود في حلّ سنن ابى داود فى خمسة مجلات . قضى حياته فى خدمة السنة تدريسا و تأليفا.

فبجهود هؤلاء الأعلام و أصحابهم و تلاميذهم الذين يضيق هذا

المقام عن ذكرهم و تفصيل خدماتهم و تتصل سلسلتهم الذهبية بشيخ الاسلام الامام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى ، ازدهرت علوم القرآن والسنة فى الهند ، و قدموا خدمات عظيمة انتفعت بها الهند و غيرها من بلدان العالم الاسلامى . و هذه مفخرة من مفاخر العلماء الهنود التى يشهد بها كل من له معرفة بتاريخ العلوم الدينية . و نكتفى هنا بذكر بعض هذه الشهادات .

(١) يقول العلامة الاديب المحدث النواب صديق حسن خان البوفالى :

" ثم جاء الله سبحانه و تعالى من بعدهم بالشيخ الاجل والمحدث الاكمل ناطق هذه الدورة و حكيمها و فائق تلك الطبقة و زعيمها الشيخ ولى الله بن عبدالرحيم المتوفى سنة ست و سبعين ومائة والف ، وكذا بأولاده الأمجاد و أولاد اولاده أولى الارشاد المشمرين لنشر هذا العلم عن ساق الجد و الاجتهاد . و قد نفع الله بهم و بعلومهم كثيرا من عباده المؤمنين ونفى بسعيهم المشكور من فتن الاشراك و البدع و محدثات الأمور فى الدين ما ليس بخاف على احد من العالمين . فهؤلاء الكرام رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم و جعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم ، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه اهل الرواية و يبغيه اهل الدراية . شهدت بذلك كتبهم و فتاواهم و نطقت به زبرهم و وصاياهم."

(الحطة فى ذكر الصحاح الستة ص١٦١)

(٢) يقول العلامة السيد محمد رشيد رضا المصرى رحمه الله :

" ولو لا عناية اخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر ، لقضى عليها بالزوال من امصار الشرق . فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت

منتهى الضعف فى اوائل هذا القرن الرابع عشر الهجرى "
(مقدمة مفتاح كنوز السنة ص و) .

(٣) و يقول الأستاذ عبد العزيز الخولى :

" و لايوجد فى الشعوب الاسلامية على كثرتها و اختلاف أجناسها من وفّى الحديث قسطه من العناية فى هذا العصر مثل إخواننا مسلمى الهند أولائك الذين وجد بينهم حفاظ للسنة ، دارسون لها على نحو ما كانت تدرس فى القرن الثالث، حرية فى الفهم و نظر فى الأسانيد .

و ان أساس تلك النهضة فى البلاد الهندية أفذاذ أجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة ، انتهجوا في تحصيل العلوم نهج السلف . فنبه شأنهم و علا أمرهم و ذاع صيتهم ، و تكونت جمعيات سلكت سبيلهم و عملت على نشر مبادئهم . فكان لها ذلك الأثر الصالح و السبق الواضح . و من أشهر هؤلاء الأعلام ولى الله الدهلوى صاحب التصانيف فى اللغتين العربية و الفارسية و أشهرها حجة الله البالغة ، و السيد صديق خان ملك بهوفال صاحب التصانيف الكثيرة ايضا ....

و فى الهند الآن طائفة كبيرة تهتدى بالسنة فى كل أمور الدين و لاتقلد أحدا من الفقهاء و لا المتكلمين و هى طائفة المحدثين."
(مفتاح السنة صفحه ١٦٥ - ١٦٦)

ابطال العقائد الشركية و البدع و المنكرات

كانت العقائد الوثنية والتقاليد الفاسدة وجدت رواجا كبيرا بين عامة المسلمين فى الهند لاختلاطهم بغير المسلمين من الهندوس والسيخ وغيرها ولنفوذ أمراء الشيعة و تاثيرهم فى الحكومة وانتشار الخرافات والاوهام التى كان جهال الصوفية يروّجونها . فصار اكثر المسلمين يعتقدون فى أئمتهم ومشايخهم والاولياء و الصالحين من اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم مثل اعتقاد اليهود والنصارى فى عزير وعيسى بن مريم عليهم السلام و أحبارهم و رهبانهم . فنفقت سوق الشرك و البدع والمنكرات من تقديس القبور و المشاهد و زيارتها والحج اليها و طوافها و صرف النذور و القرابين لها و الاستغاثة بها لقضاء الحاجات وطلب الشفاء وغيرها التى كان الناس يحسبونها عبادة و دينا !

وكان اكثر العلماء مغترين بأقوال الصوفية الجاهلين و مفتونين بالاشاعات والدعاوى الكاذبة التى تتناقلها العامة كابرا عن كابر ، و كانوا يهابون سخط العامة اذا أنكروها ، ولكن الامام الربانى الشاه ولى الله الدهلوى الذى أعطاه الله الرسوخ فى الدين مع قوة الايمان واليقين لم يكن ليرضى بهذا الوضع المنافى لاصول الاسلام . فبدأ يستنكرها غير مبال بسخط العامة او عتاب الخاصة و يبين للناس انها منافية لعقيدة التوحيد التى عليها مدار النجاة و لاتقرّه اوامر الكتاب والسنة . واقدم هنا مقتطفات من مؤلفاته رد فيها على

هذه الضلالات بصراحة تامة .

١. يشرح فى كتابه الفوز الكبير فى أصول التفسير ، أسلوب القرآن الكريم فى مخاصمة أعداء دعوة الاسلام من الطوائف الضالة الأربع : المشركين واليهود و النصارى و المنافقين ، مع بيان ما كانوا عليه من أنواع التحريف و الفساد و الضلال فى العقائد و الأعمال ، و ذكر أسبابها و دوافعها مفصلة ، فيذكر بعد ذكر كل طائفة منها ، من يتبع ضلالاتها من أهل هذا العصر ، من عبّاد المشاهد و القبور و الصوفية الضالين المضلين و علماء السوء المتعصبين المعرضين عن نصوص الكتاب و السنة و الحكام المنافقين و يؤكد ان كفر هؤلاء و ضلالهم لايقلّ عن كفر أولائك . و القرآن لم يخاصم طوائف بادت و انقرضت قديما ، بل لاتزال الجاهلية بجميع صور الكفر و الاشراك و الانحراف موجودة فى طوائف من المنتسبين إلى الاسلام حتى اليوم . و يقول :

" و إن كنت متوقفاً فى تصوير حال المشركين و عقائدهم و أعمالهم فانظر إلى حال العوام و الجهلة من أهل الزمان ، خصوصاً من سكن منهم بأطراف دارالاسلام ، كيف يظنون الولاية ، و ماذا يخيل إليهم منها ، و مع أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين يعدون وجود الأولياء فى هذا الزمان من قبيل المحال و يذهبون إلى القبور و الآثار ، و يرتكبون أنواعاً من الشرك ، و كيف تطرق إليهم التشبيه و التحريف ؟ ففى الحديث الصحيح : «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل » و ما من آفة من هذه الآفات إلا و قوم من أهل هذا الزمان واقعون فى ارتكابها معتقدون مثلها ، عافانا الله سبحانه من ذلك . " . . .

....

"و بالجملة فإن شئت أن ترى أنموذج اليهود فانظر إلى

علماء السوء من الذين يطلبون الدنيا، و قد اعتادوا تقليد السلف ، و أعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة ، و تمسكوا بأحاديث موضوعة و تأويلات فاسدة كانت سبب هلاكهم . ...

"و إن شئت أن ترى أنموذجاً لهذا الفريق (النصارى) فانظر اليوم إلى أولاد المشايخ الأولياء ، ماذا يظنون بآبائهم ؟ فتجدهم قد أفرطوا فى إجلالهم كل الإفراط: (و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون). " ....

" و إن شئت أن ترى نموذجاً من المنافقين فانطلق إلى مجلس الأمراء ، و انظر إلى مصاحبيهم ، يرجحون مرضيهم على مرضى الشارع . لا فرق عند الانصاف بين من سمع كلامه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة و سلك مسلك النفاق ، و بين من حدثوا فى هذا الزمن و علموا حكم الشارع بطريق اليقين ، ثم آثروا خلاف ذلك ، و أقدموا على مخالفته. و على هذا القياس جماعة من المعقوليين ، تمكنت فى خاطرهم شكوك و شبهات ،حتى جعلوا المعاد نسياً منسياً ، فهؤلاء أنموذج المنافقين . بالجملة إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا و هو موجود اليوم بطريق الأنموذج بحكم الحديث : «لتتبعن سنن من قبلكم». لأن المقصود الأصلى بيان كليات تلك المفاسد، لاخصوص تلك الحكايات." .... (الباب الاول – الفوز الكبير فى اصول التفسير)

٢. " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلكم

شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم . قلنا يا رسول الله : اليهود و النصارى ؟ قال: فمن ؟ أخرجه البخارى و مسلم.

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رأينا رجالا من ضعيفى المسلمين يتخذون الصلحاء أربابا من دون الله و يجعلون قبورهم مساجد كما كان اليهود والنصارى يفعلون ذلك. وقد رأينا رجالا منهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون الصالحون لله والطالحون لى ، كما قال الذين من قبلهم : لن تمسنا النار الا اياما معدودة . و ان سألت الحق فقد فشا التحريف فى كل طائفة . فالصوفية أظهرت أقاويل لايدرى لها توفيق بالكتاب و السنة لاسيما فى مسألة التوحيد . و كاد ان لايكون الشرع عندهم ببال. وكم فى فقه الفقهاء من امور لايدرى من اين أخذوا ؟ و ذلك كمسألة عشر فى عشر و مسألة الابار و غيرهما . و اما اصحاب المعقول و الشعراء و أصحاب الثروة من الناس و العامة الذين يعبدون الطواغيت ، و يتخذون قبور الصلحاء مساجد او عيدا . الى اين يذكر ما هم فيه من الغواية ؟ "

(التفهيمات الالهية ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥)

٣ . و اما الجهال من الصوفية والمجاهدون للتصوف فأولائك قطاع الطرق ولصوص الدين ، فاياك و اياهم . جعلنا الله سبحانه ممن يطيعه ويتبع رضوانه و لايشرك به شيئا فانما نحن به و له والسلام .

(التفهيمات الالهية ج ٢ ص ٢٠٢) .

٤ . " ومنها انى اقول فى نفسي ان هؤلاء المتصوفة الضالة المضلة فى زماننا هذا ، أشهد بالله عليهم انهم فرقة نابتة فى الاسلام ليست من اصل الاسلام . كما ان الزارع يزرع الحبوب الغاذية النافعة ثم يسقيه الماء . فينبت من غزارة الماء وسهولة الارض انواع من الكلأ و العشب الذى لايتم امر الزارع الا بقطعها و اتلافها ، و كذلك الله زرع زرعا و هو محمد صلى الله عليه وسلم و حاملو علومه ثم سقاه بالقران والحكم . فاصاب ذلك الارض ، فنبت الزرع المطلوب و نبت معه فرقة ضالة كانت ذات فهم و ذكاء و ميل الى بعض ما يقتضيه نفوسهم من امور هذا العالم . فلما اصابها ماء العلوم اغتذى اهواءهم به . فنبت فى قلوبهم مذاهب ما هى مطلوبة عند الله و عند رسوله ، و تظن لاستمدادها من الكتاب والسنة وفطانة اصحابها و تمكنهم فى القول والعمل انها حقة " .

(التفهيمات الالهية ج ١ ص ٢٠٥)

٥ . " فاقول لاولاد المشايخ المترسمين برسم آباءهم من غير استحقاق : يايها الناس ما لكم تحزبتم أحزابا و اتبع كل ذى رأى رأيه ، و تركتم الطريقة التى انزلها الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة بالناس و لطفا بهم و هدى لهم . فانتصب كل واحد منكم اماما ودعا الناس اليه و زعم نفسه هاديا مهديا وهو ضال مضل . نحن لانرضي بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا او ليشوبوا اغراض الدنيا بتعلم علم اذ لاتحصل الدنيا الا بالتشبه باهل الهداية ، ولا بالذين يدعون الى انفسهم و يامرون بحب انفسهم . هؤلاء قطاع الطرق دجّالون كذابون مفتونون فتانون ، اياكم و اياهم . ولا تتبعوا الا من دعا الى كتاب الله و سنة رسوله ، ولم يدع الى نفسه . و لانرضى باشاعة

الاشارات الصوفية فى المجالس والمحافل . انما المرضىّ الاحسان . اما لكم عبرة بقول الله تبارك وتعالى : و ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ".(التفهيمات الالهية ج١ ص٢١٤) .

٦. و يقول فى شرح هذا الحديث الذى رواه الامام مالك و الشيخان عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام و المسجد الأقصى و مسجدى هذا .

"مدلول هذا الحديث أن يكون شد الرحال الى غيرها لمعنى القربة و تخصيص المكان منهيا عنه " (المسوى على الموطأ)

" أقول كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها و يتبركون بها ، و فيه من التحريف و الفساد ما لايخفى . فسدّ النبى صلى الله عليه و سلم باب الفساد ، لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر ، و لئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله . و الحق عندى أن القبر و محل عبادة ولىّ من أولياء الله و الطور كل ذلك سواء فى النهى ، و الله أعلم." (حجة الله البالغة ج١ ص ١٩٢)

٧ . " كل من ذهب الى بلدة اجمير او الى قبر سالار مسعود او ما ضاهاها لاجل حاجة يطلبها فانه آثم اثما اكبر من القتل والزنا ، ليس مثله الا مثل من كان يعبد المصنوعات او مثل من كان يدعو اللات و العزى ". (التفهيمات الالهية ج١ ص ٤٥) .

هذه مقتطفات و أمثلة من مؤلفاته العديدة التى شرح فيها مباحث التوحيد و الشرك واقسام الشرك بغاية من الدقة و التفصيل فاحاط بأصولها و فروعها، و حارب هذه الجاهلية والتقاليد والمنكرات الفاسدة بصراحة و عنف ، وضرب على جذورها واحدا واحدا . كما تناولها فى كتابه حجة الله البالغة فى أبواب التوحيد وحقيقة الشرك و اقسام الشرك بالدقة والتحقيق ، واستعرض هذه الفتنة بجميع أشكالها و أسبابها و دوافعها . اما رسالته البلاغ المبين فخصص معظمها لانكار الافعال والعادات المنكرة التى يرتكبها عباد القبور و مجاوروها .

جهود خلفائه و اتباعهم

فى انكار الرسوم الشركية

ثم تبعه على هذه الطريقة خلفاؤه و أتباعهم ، فرفعوا راية الجهاد ضد هذه الجاهلية والتقاليد الفاسدة والمنكرات بكل جراءة وصراحة حتى تنورت بمساعيهم القلوب و ذاق العباد طعم الايمان والتوحيد. و أشهرهم:

(١) ابنه و خليفته المحدث العلامة **الشاه عبد العزيز الدهلوى** صاحب التفسير العزيزى و تحفة الاثنى عشرية

(٢) و تلميذه العلامة المحدث **القاضى ثناء الله البانى بتى** صاحب التفسير المظهرى و السيف المسلول فى بيان السنة و الرد على مطاعن الروافض و شبهاتهم .

(٣) الامام الربانى المجاهد السيد **احمد بن عرفان الحسنى**

الشهيد أمير جماعة المجاهدين و قائد الموحدين الذى ردّ على البدع و المنكرات الشنيعة المنتشرة فى هذه الديار فى كتابه الصراط المستقيم، حيث بدأ ذكر شناعتها بقوله :

" الفصل الاول فى ذكر البدع التى انتشرت فى عامة المسلمين لاختلاطهم بالمتصوفة الملحدين المشركين الذين يتشبهون بكبار الصوفية، قدس الله أسرارهم.

من كبار المضلين عن سبيل الحق المتصوفة الملحدون الذين لايتورّعون عن مخالفة الشرع بل يتخذون التزام مخالفته طريقتهم و يسعون فى درس الأشغال القبيحة المبتدعة و الشركية و تعليمها للناس، فينشرون فيهم الغيّ و الالحاد. فهؤلاء ينبغى معاملتهم بحسب أقوالهم و أعمالهم، فيقتل من يستحق القتل ، ويؤدب و يعزر من استحق ذلك . و من عجز عن تنفيذ العقوبة الشرعية فيهم يتبرأ منهم بشدة، و لايزورهم أبدا بل يكره مواجهتهم و مشافهتهم لأنها من المعاصى المنكرة الا من ظن فيه الرجوع الى الحق، فيكتفى بزيارته مرة أو مرتين فان اهتدى فهو من نعم الله، و الا يترك صحبته و يحذر لقاءه. لأن الحذر من صحبة الملحدين من آداب طالب الحق جل شانه."

ثم ذكر شناعتها مستدلا من القرآن و الحديث و قسمها الى ثلاثة أقسام، أكتفى بذكر خلاصتها:

(١) من بدع المتصوفة الملحدين و المشركين اطلاق كلمات مسيئة الى ذات الله سبحانه و تعالى وشعائره ، و القول بالتوحيد الوجودى الالحادى ، و الخوض فى مسألة القدر و القضاء ، والمغالاة فى تعظيم

الأولياء و المشايخ الى حد يرفعهم الى مراتب النبوة و الألوهية، و شد الرحال لزيارة القبور و المزارات و اتخاذ الزائر لباسا كالاحرام ، و التزامه آدابا و خرافات مثل الحاج و كذلك التزام أهله بها، و طواف القبور و ايقاد السرج عليها و الاستعانة باهلها و تقديم النذور و القرابين لها.

(٢) و من البدع الشنيعة التى انتشرت فى المسلمين لاختلاطهم بالروافض تفضيل سيدنا عليّ على الشيخين ابى بكر و عمر رضى الله عنهم جميعا ، و اقامة التعازى و المآتم فى المحرم و صنع التماثيل المشابهة للقبور و الأضرحة و الأعلام و النياحة من ضرب الخدود و شقّ الجيوب و الملابس و البكاء و الاحداد بترك الأمور المباحة و الاهتمام بعقد مجالس خاصة بذكر قصص شهادة سيدنا الحسين و اهل البيت رضى الله عنهم فى تلك الأيام.

(٣) و من البدع الشنيعة التى نشأت بالتزام رسوم فاسدة فى الأفراح و المآتم فى بلاد السند و الهند و خراسان، الاحتفال بالاختتان و دعوة المغنين و المغنيات فى الافراح، والنياحة على الميت و فاتحة اليوم الثالث و فاتحة اليوم الأربعين و منع الأيامى من النكاح و الفخر بالآباء والاتكال على شفاعة الأكابر.

(الفصل الاول من الباب الثانى - الصراط المستقيم)

رد شغل تصوّر الشيخ

و ما أروع قول السيد احمد امام جماعة المجاهدين فى رد شغل تصوّر الشيخ عند الصوفية:

"و من جملة أشغال المتصوفة المبتدعة شغل البرزخ الذى شاع و اشتهر فى المتأخرين من اكثر الطرق ، بل يوجد فى كلام بعض العظماء أيضا.

و صورته أنهم يتخيلون صورة الشيخ بتعيينه و تشخيصه، رغبة فى دفع الخواطر و تركيز الهمة، و يتوجهون اليها في غاية الأدب و التعظيم كأنهم جالسون أمام الشيخ متأدبين ، و يوجهون اليه القلب كليا.

و يعرف حكم هذا الشغل من أحوال الصورة التى حرمها الشرع و اعتبرها كبيرة، و حرم النظر اليها خصوصا مع الأدب و التعظيم. وهو داخل تحت عموم قول ابراهيم عليه و على نبينا الصلاة و السلام لقومه:

ما هذه التّماثيل التى انتم لها عاكفون (سورة الأنبياء : ٥٢)

فانه يدل على منع العكوف للتماثيل ، و العكوف التزام الحضور حال القيام او الجلوس مع التعظيم و الأدب و المحبة . و لاشك أن الذى يعمل هذا العمل فى صورته الظاهرة عاص و آثم . و لافرق بينه وبين شغل هذا السالك المتصوف سوى أن الصورة فى الأول تكون ملونة على ورق او مثله بينما تنقش الصورة الكاملة فى الثانى بهيئتها و لون جلدها و شعرها و ملامحها على صفحة الخيال . فهذا و ان لم يكن فى الظاهر عبادة الصورة لكنه فى الباطن عبادة صريحة . لأن الصورة الخيالية أشد من الصورة الورقية. لانها تفوقها فى تصوير دقائق الصورة و ابراز ملامحها. و تستويان فى عدم الروح فى كلتيهما. فلم يبق الفرق بينهما الا بأن الصورة الظاهرة تخالف القاعدة الشرعية ظاهرا بينما لاتخالفها الصورة الثانية فى الظاهر. ولكن القبح الذى ينشأ من تأثير هذا العمل فى نفس فاعله أشد فى الصورة الثانية منه فى الصورة الأولى. فمن هذا الوجه ينبغى تحريمه.

و لو صرفنا النظر عن هذا المعنى نرى أن شغل البرزخ يجر

الناقصين الى الصورة الأولي . فيصنعون صورا ظاهرة و يعملون لها جميع أنواع التعظيم التى يقومون بها امام أصحابها. فيصيرون من عبّاد الأصنام بصراحة. فهذا الشغل الذى يجرّ الى فعل ما هو محرّم ، يجب تحريمه أيضا. و قد حرمت الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة و السلام صنع الصورة سداً للذريعة المفضية الى عبادة الأصنام، رغم جوازها فى الشرائع الأخرى لبعض الأغراض الصحيحة من معرفة شكل الحى أو الميت او شمائله أو غير ذلك . فان كان الشرع راعى هذا القدر من الاحتياط فى باب الصورة ، فالواجب على أتباعه الاقتداء به ، و اعتبار شغل البرزخ قبيحا و محرما . و لايخفى على من يتتبع سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم أنه لو كان سئل عن هذا الشغل فى زمانه الميمون لنهى عنه و ثبت حرمته . "

(الفصل الثالث - الباب الثالث ص ١١٨ - ١١٩ الصراط المستقيم للامام السيد احمد بن عرفان الشهيد)

(٤) الامام المجدد المجاهد **الشاه محمد اسماعيل الشهيد** ابن الشيخ الشاه عبدالغنى ابن الامام الشاه ولى الله الدهلوى الذى كان قائد جيش الموحدين فى حركة الجهاد و الاصلاح بقيادة أميرها الامام السيد احمد بن عرفان الحسنى الشهيد . له مؤلفات عديدة أشهرها رسالة تقوية الايمان التى هى ترجمة و شرح باللغة الاردية للباب الاول من كتابه ردّ الاشراك الذى كان ألفه باللغة العربية ، مشتملا على بابين ، الاول فى شرح التوحيد و بيان فضله و منزلته، و ذم الشرك بأنواعه الأربعة : الاشراك فى العلم، و الاشراك فى التصرف ، و الاشراك فى العبادة ، و الاشراك فى العادات . و الباب الثانى فى الاعتصام بالسنة فى العقيدة و العمل و المعاملات، ثم ذكر الرسوم الشركية والعادات الجاهلية و البدع الشنيعة المنتشرة فى المسلمين . و شرح شناعتها

مستدلا من الآيات و الأحاديث الشريفة . و هذا الكتاب أى رد الاشراك مطبوع بالعربية .

أما تقوية الايمان فهى أحسن رسالة فى شرح التوحيد و ذم الشرك و رسومه. و لقيت من الرواج و القبول فى الناطقين باللغة الأردية ما لم يكتب لأى كتاب آخر منذ تأليفها فى عصر كانت اللغة الاردية فى بداية نشأتها. و يقدر عدد طبعاتها بالمئات . و تمتاز بجزالة الاسلوب و قوة الاستدلال مع الاحاطة و الشمول . فقد استقصى مؤلفها الجليل فيها الحقائق و الدقائق و أحاط بالاصول و الفروع، رغم اختصارها إذ لايزيد عدد صفحاتها فى اكثر الطبعات عن مئة .

فصارت كما سماها المؤلف مصدر تقوية أصول الايمان و التوحيد و قوضت دعائم الكفر و الشرك و بددت غيوم الباطل والخرافات . و هى سيف الله المسلول على رؤوس المبتدعين و الملحدين و القبوريين من المتصوفة الجاهلين الذين ياكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله، و نفع الله بها خلقا كثيرا يقدرون بمئات الألوف من المسلمين و الكفار الذين تابوا من الكفر و الشرك و تمسكوا بالقرآن والسنة و سعدوا فى الدارين.

و قد ترجم هذه الرسالة القيمة الى العربية العلامة الشيخ السيد ابوالحسن على الندوى . و لها ترجمة عربية أخرى كتبها الدكتور مقتدى حسن الازهرى من الجامعة السلفية فى بنارس بالهند .

ردّ شبهات المشركين و المبتدعين

قوبلت دعوة التوحيد و التمسك بالسنة التى دعا اليها الامام الشاه ولى الله الدهلوى و خلفاءه و أتباعهم المجاهدون فى هذه البلاد بالانكار و المعارضة من قبل المتصوفة الملحدين و الشيوخ القبوريين المتكسبين و الروافض . و كان لهذه الرسالة الفريدة - تقوية الايمان- و لمؤلفها العلامة المجاهد الشهيد أكبر نصيب من إنكارهم و معارضاتهم و افتراء تهم . فألفوا كتبا و رسائل كثيرة فى معارضتها و تمسكوا فيها بشبهات واهية و حجج باطلة، و أصروا على الالحاد و الخرافات التى ورثوها كابرا عن كابر، و أرادوا قلب الحقائق . ثم اختلقوا عليه الأكاذيب و استفرغوا ما فى جعابهم و رموه بتهم و ذنوب هو منها برئ، حتى وشوا به الى الحاكم الانجليزى ليمنعه من إلقاء الخطب و نشر مؤلفاته. و لكنه بحمد الله و توفيقه نقض حججهم و أبطل شبهاتهم واحدة واحدة . و بقى يواصل جهده و جهاده فى سبيل الله و اهتدى بمساعيه و مساعى أصحابه ملايين من الناس الى الدين الخالص، و انضموا الى حركتهم. و كان عدد كبير منهم هاجروا معهم الى منطقة الحدود الشمالية الحرة فى حركة الجهاد - التى سنوجز ذكرها فى آخر الكتاب - و جاهدوا الكفار من السِّيخ و المستعمرين الانجليز و أكرمهم الله بالشهادة فى سبيله. جزاهم الله خيرا و رفع درجاتهم .

و قد رأيت أن أنقل هنا رسالة كتبها باللغة العربية رداً على بعض الشبهات التى أبداها أحد العلماء العرب السيد عبدالله البغدادى الذى كان نازلا بمدينة دلهى، ليطلع القارئ الكريم على نموذج من أسلوبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

" نحمد من تفرد بالقدم، فكل شئ ما سواه مسبوق بالعدم ، لاشريك له فى الخلق و التدبير و لا اختيار لاحد فى ملكه من النقير و القطمير، حتى لايشفع الانبياء الا بعد اذنه . ولانجاة لاحد الا بلطفه ومنّه. و نصلى على أفضل البرايا شفيع الأمم الذى لولاه ما اخرجت الدنيا من العدم ، و الذى علمنا براهين التوحيد و الاسلام و اخرجنا من ظلمات الاشراك و عبادة الاصنام ، و على اله و اصحابه و على ناصر دينه و محبه. اما بعد فيخص بالتحية و السلام ذات من ترقى على مدارج الاسلام سلالة السيد المحبوب الجيلانى السيد عبد الله البغدادى العالم الربانى . لايخفى عليكم انى لمارأيت عوام مسلمى الهند قد انهمكوا بجهلهم فى الاشراك و البدعات و تمسكوا بالشبهات الواهيات ، و جعلوا يعبدون القبور و أهلها، و سألوا بهم حاجاتهم قلها وجلها، ألفت رسالة فى رد الاشراك بالله و استدللت فيها بست وعشرين آية من كلام الله و ترجمتها بالهندى (اللغة الاردية) تسهيلا لاستفاداتهم و كشفا للغطاء عن قبح متمسكاتهم و استدلالاتهم. فنحمد الله قد هدى ألوفا من النساء والرجال، فما تردد فيها الابعض المعاندين الجهال . و بلغنى ان رسالتى هذه قد قرأت بين يديكم فقلتم : حق، الا أن تساوى الأصنام و جميع الناس و الأنبياء فى باب المخلوقية و عدم الاختيار و ان كان حقا داخلا فى العقيدة لكنه نوع من سوء الادب لابد له من سند و دليل . لان الصنم نجس فكيف يذكر مع سيد الطاهرين صلى الله عليه وسلم ؟

أقول و بالله التوفيق: هذه العبارة قد وقعت فى رسالتى ردا لسؤال العوام حيث يقولون الاستعانة و العبادة و السجدة انما هى ممنوعة للاصنام لا للانبياء الكرام والاولياء العظام . فقلت : الاستعانة

الحقيقية لا تجوز عند العقل الا من الذى له اختيار فى تدبير العالم. و قد ثبت من النصوص القطعية القرآنية ان لا اختيار لغير الله . فليس للانبياء و الاولياء فى هذا الامر الخاص اعنى استحقاق السجدة و انزال المطر و اعطاء الاولاد، على الاصنام و جميع الناس ترجيح . أما قرب الانبياء عند الله تعالى و كمالاتهم و فضائلهم التى لا يصل دون سرادقاتها غيرهم فمسلم . و هو امر اخر لادخل له فى الربوبية و الالوهية انتهى. و العجب كل العجب من جنابكم انكم أقررتم ان هذا الامر حق داخل فى العقيدة ، ثم قلتم انه سوء الادب. ليت شعري ذا كان ثابتا من البراهين داخلا فى العقيدة كيف يتصور انه سوء الادب؟ فكلامكم يشير الى اجتماع الضدين . و السند يطلب لما ثبت بالدليل و هذا الامر ثابت اجمالا فى القران . فما الجرم فى تفصيل الاجمال . و مع ذلك فقد قال الله تعالى لنبيه فى القران: قل انما انا بشر مثلكم يوحى إلى انما الهكم اله واحد . و لايخفى ان المخاطبين بقوله انما انا بشرمثلكم، هم المشركون. فكيف مثل الله تعالى فى البشرية نبيّه بالمشركين الذين ثبت نجاستهم فى القران حيث قال الله تعالى: انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ، و الاصنام من حيث أنها احجار و جمادات لانجاسة فيها و الا يلزم أن يكون كل حجرٍ نجسا. انما النجاسة فيها بسبب المشركين الذين صوروها و جعلوها معبودين. فالمشركون اشد نجاسة من الاصنام ، فافهم و تامل . ان قيل و ان كان هذا الامر ثابتا ولكن ما الضرورة فى ذكره ؟ قلت الضرورة ذكره لرد شبهة العوام حيث يزعمون ان الانبياء و الاولياء يتصرفون فى العالم يفعلون مايشاءون. هذا و قد تحقق عندى ان الرجل الفنجابى يوسوسكم فياشيخ ! انك لست تعلم حاله ، فانه رجل مخبط العقل مختل الحواس غبى جاهل ، و يزعم لنفسه انه نحرير فاضل . لايدرى

اليمين عن الشمال . فانه في الحقيقة نائب الدجال لانه يقول تارة أنا عبد المحبوب السبحانى وتارة يقول ان عبدالقادر هو الرزاق . معاذ الله من هذه الكلمات الكفرية التى لايجوزها الجهلاء فضلا عن العلماء .

فالمسئول من جنابكم ان لاتصدقوا كلامه فى امرى لانه رجل سامرى ، هداه الله الصراط المستقيم ، و ثبتنا و اياكم على دينه القويم. و صلى الله عليه سيدنا و مطاعنا و شفيعنا محمد المصطفى و على آله شموس الهدى و اصحابه بدور الدجى .

تم هذا المكتوب حين كنت نزيلا فى كانفور سنة الف و مائتين و اربعين الى السيد البغدادى حين وسوسه الجهال . فبعد قراءة كتابى هذا جاءنى معتذرا و قال: لقد صدقت فيما ألفت فى رسالتك ، و ما قلت فيك كان من عدم دراية كلامك. لان كلامك فى رسالتك كان هنديا ، و انا رجل عربى لا افهم الهندى و الرجل الفنجابى قد افترى عليك واغلط فى الترجمة كثيرا فلاتغضب" (تذكير الاخوان ص ٢٣٠ - ٢٣٢)

السعى لاصلاح التصوف

لم يزل مجتمع المسلمين فى الهند متأثرا بالتصوف منذ فتحها الغزنويون ، ثم لم يزل يزداد نفوذه و يقوى سلطانه حتى لاتكاد تجد عالما أو مصلحا يعتدّ به فى تاريخها الا و هو متمسك به الا من شاء الله من أفراد منهم . و كان تمسك العلماء و الفقهاء الاوائل به لحبّهم للإسلام و حرصهم على الإخلاص فى العبادة و الاتصاف بالخصال الحميدة و الأخلاق الحسنة ، و كانوا يعتبرونه نوعا من الإحسان و التزكية التى وردت بها نصوص القرآن و السنة ، و وسيلة لتربية المسلمين بث التوعية الاسلامية فيهم. و لم يكونوا يخلطونه بفلسفة او عقيدة فاسدة . ثم خلفهم خلف أحدثوا أمورا و اتخذوا عقائد و أفكارا فاسدة من وحدة الوجود و الحلول و أفكار الباطنية و الرافضة و الفلسفة اليونانية التى وجدت من الوثنية و الفلسفة الهندوسية المحلية سندا و قوة لها . فاختلط الحق بالباطل ، و صار التصوف حتى القرن العاشر من الهجرة مرتعا خصبا لترويج الأفكار المنافية لعقيدة التوحيد و ممزوجا بأنواع من الرسوم و البدع و العادات الفاسدة. و استولى على عقول المسلمين بجميع فئاتهم من العلماء والفقهاء و الشعراء و الملوك و الأمراء ، و صار الزى المألوف السائد الذى لايتصورون الصلاح و العلم فيمن لم يتصبغ بصبغته .

و أنكرالشيخ المجدد العارف احمد بن عبد الأحد الفاروقى نسبا و السرهندى موطنا ، فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، هذه الضلالات و المنكرات و سعى لإزالتها من المسلمين ، و شدد نكيره على فكرة وحدة الوجود و كشف ما فيها من انحراف و ضلال و زندقة . و دعا الى أخذ العقيدة و العمل من الكتاب والسنة فنفع الله بدعوته خلقا كثيرا و أنقذهم

من هذه الجاهلية . و يعتبر قائد المصلحين والمجددين فى هذه الديار. ثم خفيت آثار دعوته مع مرور الأيام.

فى هذه الخلفية ولد الشاه ولى الله الدهلوى ، و نشأ نشأة صوفية على عادة أسلافه و تلقن أشغال التصوف و أتقن طرقه الأربع المعروفة فى هذه البلاد . و تبحر فيه فأحاط بأصوله و فروعه و وقف على أسراره ، و انتهت اليه الرئاسة فى علم السلوك و الإحسان ، شأنه فيه كشأنه فى علوم القرآن و الحديث و الفقه التى بلغ فيها مرتبة التحقيق والاجتهاد. و رأى انحرافات الصوفية و رسوم الشرك و البدع التى روجوها فى المسلمين و هاله حالهم . فعزم على اصلاحهم و صرف همته لانقاذهم من هذه الجاهلية التى لاتقل عن جاهلية ماقبل الاسلام سفاهة و ضلالا وكفرا. و استعمل ما لديه من وسائل التدريس و التاليف و الإرشاد و مكانه فى العلم و الدين فى إصلاح هذه الأوضاع . و ناقش خرافات الصوفية و وساوسهم فى العقيدة و العمل مناقشة العارف بأسرارهم و الخبير بدخائلهم . فذكر مرجعهم ومرماهم فى الجهل و الزيغ الذى هم فيه غارقون.

و قد ناقشنا فى الفصول الماضية أن الأساس الفكرى الذى بنى عليه الإمام الشاه ولى الله الدهلوى مساعيه الإصلاحية فى العقيدة و الفقه و التعليم و التصوف و إصلاح المجتمع، هو الدعوة الى العناية بدراسة القرآن والسنة والتمسك بهما دائما ، كما مضى ذكر مساعيه و دعوته فى هذا المجال .

و قد لخص هو نفسه أساس منهجه الدينى و الفكرى و الفرق بينه و بين مناهج المتصوفين و الفقهاء الجامدين و المتكلمين العقلانيين فى

وصاياه و خاصة الوصية الأولى و الثالثة و الرابعة فى الرسالة الوضيئة فى النصيحة و الوصية التى كان ألفها بالفارسية. و قد ترجمتها بالعربية و ألحقتها بآخر هذا الكتاب حتى يتيسر للقارئ الكريم الاطلاع عليها. و يمكن تلخيص دعوته و أفكاره لاصلاح التصوف بالنقاط الآتية :

أولاً : فهو يدعو كل مسلم و مسلمة أولا الى التزام قراءة جزء من القران و الحديث كل يوم مع فهم المعنى و تدبره ، و اتباعهما فى العقيدة و العمل لانهما الميزان فى معرفة الخير و الشر، و الحذر من التاويلات البعيدة التى يتكلفها المتكلفون من الصوفية و المتكلمين و الفقهاء فى شرح آيات الله، فيقعون فى تحريفها و صرفها عن مراد الله.

ثانيا : إنه يحذر المسلمين من الانخداع بالصوفية الجهال و مشايخ الطرق و عدم الانخداع بالكرامات المنسوبة اليهم، لأنهم يخدعون الناس بالطلاسم و النيرنجات و أعمال الجوك التى لا دخل لها فى صلاح أحد أو قربه من الله ، فيظنونها كرامات حقيقية جهلا منهم. يقول فى وصيته :

" أن لايضعوا أيديهم فى مشايخ اليوم و لايبايعوهم و لايغتروا بغلوّ عامة الناس فى حبهم و لابالكرامات المنسوبة اليهم. فان ذلك أمر يتوارثونه و لاأساس له و لاعبرة به . و أكثر باعة الكرامات اليوم يظنون الطلاسم و النيرنجات كرامات الا من عصمه الله " .... (الوصية الثالثة)

ثالثا : انه ينكر نشر التصوف و أشغاله و اشاراته فى عامة المسلمين و يدعو الى الاكتفاء بما ورد به الكتاب و السنة من الاحسان والاخلاص فى العقيدة و العمل ، و يحث على تطهير المجتمع

الاسلامى من داء التصوف و مفاسده بقوله:

" و بالجملة فان الافراط فى مقامات الانسلاخ و الاستهلاك و اشتغال كل من هب و دبّ فى طلبها داء عضال أصاب الملة المصطفوية. و رحم الله امرءا سعى فى القضاء عليه حتى و لو كان متحليا ببعض الاستعدادات الأصلية لها . و على كل حال سيشق قولى هذا على كثير من متصوفى زماننا و لكننى أمرت بأمر لابد من قوله ، و لاأبالى بزيد أو عمرو."
(الوصية الرابعة)

رابعا: إنه شرح مراتب الاحسان و الاخلاص و التزكية فى العقيدة و العمل فى ضوء القران و الحديث و السيرة النبوية بالتفصيل الكافى فى مباحث الاحسان و الأذكار و المقامات و الأحوال و النوافل و الاقتصاد فى العمل و غيرها في. كتابه حجة الله البالغة ، و غيره و أيد بشواهد المنقول و المعقول أن هذا المنهج النبوى الوسط يضمن مصالح البشرية فى الدنيا و فوزهم فى الآخرة ، و أن التشدد فى العبادات والتبتل و الانقطاع عن أمور المعاش يسببان التحريف فى الدين و يعوقان الانسانية عن الصراط المستقيم الذى تدعو اليه شريعة الاسلام.

و على هذه الطريقة بذل جهده لاصلاح التصوف و ازالة انحرافاته الفكرية و العملية و نكتفى هنا بذكر بعض أقواله التى توضح خطته الاصلاحية فى هذا المجال .

(١) يذكر نشأة التصوف و طوائفه الضالة والمضلة بقوله :

"و منها أنى أقول فى نفسى أن هؤلاء المتصوفة الضالة المضلة فى زماننا هذا أشهد لله با لله عليهم أنهم فرقة نابتة

فى الاسلام ، ليست من أصل الاسلام كما أن الزارع يزرع الحبوب الغاذية النافعة ، ثم يسقيه الماء فينبت من غزارة الماء و سهولة الأرض أنواع من الكلأ و العشب و لايتم أمر الزارع الا بقطعها و إتلافها . و كذلك الله زرع زرعا ، و هو محمد صلى الله عليه وسلم وحاملو علومه ، ثم سقاه بالقرآن والحكم. فأصاب ذلك الأرض فنبت الزرع المطلوب و نبت معه فرقة ضالة كانت ذات فهم و ذكاء و ميل إلى بعض ما يقتضيه نفوسهم من أمور هذا العالم فلما أصابها ماء العلوم اغتذت أهواءهم به ، فنبت فى قلوبهم مذاهب ما هى مطلوبة عند الله و عند رسوله ، و تظن لاستمدادها من الكتاب و السنة و فطانة أصحابها و تمكنهم فى القول و العمل أنها حقة .

(١) فأول فرقة نبتت فى الإسلام فرقة بدت فى قلوبهم داعية الرياسة و كان فيهم تعزز النسب و الحسب وكان فيهم علو همة و طلب رياسة . فلما رأوا أن الأنبياء انما جاؤوا برياسة عامة و دلالة على الخير و خلافة من الله ظنوا أن السعادة كل السعادة ان يكون الانسان فاطميا عالما ، ثم يخرج بسيفه فيقهر الناس ، و يسير فيهم بالسيرة الحسنة ويأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر. فأعقب ظنهم ذلك بلاء مستطيرا و اختلافا و فرقة . و انما المطلوب عند الله ترك الاختلاف و الفرقة . و قد وعد الله الخلافة للمؤمنين ولم يخص الفاطميين من غيرهم كما قال :

وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا منكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَستَخلِفَنَّهُم فِى الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ

الَّذِى ارتَضَى لَهُم وَ لَيَبَدلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أمنًا . (النور : ٥٥)

(٢) و فرقة أخرى من المتقشفين تجردوا لله و تركوا ابتغاء المعيشة و باينوا الناس و اكتفوا بأقل ما يمكنهم . و لم يأتمروا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عهد إلى أمته أن يقتصدوا فى العمل فاختاروا دوام الصيام و دوام القيام فأعقب اجتهادهم ذلك نورانية فى لطائفهم الظاهرة الثلاث و فيهم حق و باطل . و اما الحق فنورانيتهم تلك ، و أما الباطل فبعض ما اعتادوه خلاف السنة مما وصفنا ....

(٣) ثم نبت فرقة خبيثة و هى الفرقة التى تزعم أن الله عين العالم ، و العالم عين الله و أنه ليس هناك حساب و لا عذاب . و الذى هو متحقق عندنا أن الحكم بان الله تعالى فرد واحد موجود يرضى ويسخط و يعفو و يؤاخذ واجب يقتضيه جبلة الانسان و فطرته فمن قصر فى هذه العقيدة فهو زنديق كافر (التفهيمات الالهية ج١ ص٢٠٥ - ٢٠٦)

(٢) و يشرح منهجه فى المعيشة و العمل فى الفروع بأن أساسه اتباع الكتاب و السنة و يحذر المسلمين من الانخذاع بالصوفية الجهال الضالين المضلين بقوله:

" و اعلم أن أولياء الله لهم طرق كثيرة فى معاشهم و فى تعلق قلوبهم بالله تعالى و قد كان منهم من يكتسب ، و منهم من لا يكتسب . و نحن نكتسب ، ولكن مع إجمال فى

الطلب ، و لا كل كسب بل ما هو عبادة من وجه كالغزو و التدريس. فإن بسط الله علينا أيدي عباده استغنينا عن الكسب . و كان منهم من يكثر نوافل الطاعات ، و منهم من يقتصر على الفرائض و الرواتب و يشغل عامة أوقاته فى تعلق القلب بالله . و نحن ننقل على قدر ما صح الحديث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتب المشهورة المعتمدة و نقتصر عليها . و منهم من كان اكثر همه تهذيب قلبه بانوار الطاعات و محاسن الاخلاق و الآداب . و منهم من كان أكثر همه تهذيب سره بالتوحيد و شهود الحق فى مظاهره. و منهم من كان أكثر همه الاضمحلال فى الاجمال و التعلق البسيط. و نحن لانترك حظا من أنوار الطاعات و حسن الواقعات و ذلك الحظ الذى ورثناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و اما الزائد فتركه والاجمال والتفصيل عندنا سواء. هذا طورا و وراء ذلك طورا. و نحن لانشتغل بالقاء الشبهات أكثر مما يأمره الشريعة على وجه العزيمة دون الرخصة فكل ما أباحه الشريعة فهو الحلال الطيب ، وليس بعده الا الوسواس .

و نحن نأخذ من الفروع ما اتفق عليه العلماء لاسيما هاتان الفرقتان العظيمتان الحنفية و الشافعية و خصوصا فى الطهارة و الصلوة. فان لم يتيسر الاتفاق و اختلفوا فنأخذ بما يشهد له ظاهر الحديث و معروفه .

و نحن لانزدرى أحدا من العلماء فالكل طالبو الحق

و لا نعتقد العصمة في أحد غير النبى صلى الله عليه وسلم ، و الميزان فى معرفة الخير و الشر الكتاب على تأويله الصريح ومعروف السنة ، لا اجتهاد العلماء و لا أقوال الصوفية ، ليس منا من لم يتدبر كتاب الله و لم يتفهم حديث نبيّه صلى الله عليه وسلم . ليس منا من ترك ملازمة العلماء أعنى الصوفية الذين لهم حظ من الكتاب والسنة ، أو الراسخين فى العلم الذين لهم حظ من الصوفية ، أو المحدثين الذين لهم حظ من الفقه أو الفقهاء الذين لهم حظ من الحديث.

و اما الجهال من الصوفية و المجاهدون للتصوف فأولئك قطاع الطريق و لصوص الدين فإياك و إياهم ، جعلنا الله سبحانه ممن يطيعه ويتبع رضوانه و لايشرك به شيئا . فانما نحن به وله و السلام (التفهيمات الالهية ج٢ ص ٢٠١ - ٢٠٢)

(٣) و فى موضع آخر يشرح منهج الاسلام الصحيح فى العقيدة والعمل و ينهى عن نشر التصوف و علم الكلام فى عامة المسلمين ، و يوصيهم باتباع ظاهر الكتاب والسنة بقوله :

"و أشهد لله بالله أن الشريعة على مرتبتين: إحداهما الاخذ باصل الفرائض و اجتناب المحرمات القطعية و إقامة شعائر الاسلام . وهذه المرتبة محتومة على طوائف الناس أدانيهم و اقاصيهم ، ملوكهم و أمراءهم و مجاهديهم و فلاحيهم و محترفيهم و تجارهم و عبيدهم و أحرارهم. و هذه المرتبة سهلة سمحة ليس فيها شدة .

و الثانية مرتبة من أخذها كان سنيأ و كان عابدا محسنا. و فى هذه المرتبة سنن و آداب و تورعات مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم و عن أوائل الامة أو مقيسة على المأثور . و بين المرتبتين فرق عظيم، و اهمال الفرق خسران و جهل . ومن إهمال الفرق بينهما ينشأ غالب اختلاف العلماء و نبين ذلك فى أمثلة . ليس فى المرتبة الاولى التنزيه الشديد ، بل التنزيه المتوسط فينزه عما يوجب مساواة الحق بالعباد ظاهرا عند الأمة الأمية التى نزل القرآن بلغتها و ينزه عن تشبيهات استعملها طوائف و اكثروا فيها و توارثوها طبقة بعد طبقة، حتى نشأت فرقة باطلة ذات طول و عرض، و لا يمكن ان تكبت تلك الفرقة الا بالسد عن ذلك التشبيه رأسا بحيث لا يرخص أصلا و يترك ماسوى ذلك من غير تعرض، و يعالج التشبيه بكلمة اجمالية يعتقدها كل مؤمن و هى أنه ليس كمثله شئ ، و هو السميع العليم و لايشتغل باكثر من ذلك . و قد ادغمنا فى هذه القيود علما كثيرا إن كنت من أهله .

و لهذه الأسرار وجب ان تكون أسماء الله تعالى و صفاته توقيفية ، لايرخص لأحد أن يتكلم فيها الا بقدر ما ذكره الشارع . و ذلك لان مراعاة هذه المصالح لايتأتى منهم. فتكفل الشرع منهم و سد باب الفساد فسمى الله نفسه سميعا وبصيرا وعليما ، و لم يسم ذائقا و شاما. و جوز إطلاق الضحك و الكلام والنزول ولم يجوز اطلاق المشي والجوع و الحزن و النوم ، و نهى عن اثبات الولد و الند، مع أنه ان اريد حقائق هذه الامور المفهومة عند المخاطب فسيان

الفريقان في انه ليس بثابت شئ منها . و ان اريد غير حقائقها فلكل وجه . و لكن لله أسرار في كل ما اباح و نهى ، وكل شئ عنده بمقدار .

و يجب في المرتبة الاولى ان يكون الامر بالمعروف و النهى عن المنكر بالشدة . وليس في المرتبة الاولى الاحتياط و التورع. انما فيها أن يجتنب ما ثبت حرمته . ومن هذا الوجه اختلف عمل الصحابة فمنهم الغزاة و المحترفة و التجار يشتغلون بامر المعاش يضربون في الارض و اكتفوا باصل الشريعة و منهم المتفرغون العُبّاد الزهاد اخذوا بالمرتبة الثانية و راعوا الآداب بكمالها و منهم بين بين .

و لا ينبغي أن يؤمر المشتغلون بمعاشهم لاسيما العبيد و الإماء و الفلاحون والمحترفون بأكثر من المرتبة الأولى و الا كانت الشريعة شاقة عليهم ، و أفضى الأمر الى تركها و التنفر منها وكان الأمر داخلا في حديث " ان منكم منفرين." و قد روعى حال هؤلاء العامة أكثر من أمر الخاصة في القرآن و حديث النبي صلى الله عليه وسلم. و لا ينبغي لهؤلاء العامة ان يخلطوا علومهم بعلوم الصوفية و المتكلمين، بل الواجب عليهم ان يكتفوا بما يفهم من ظاهر الكتاب و السنة ". (التفهيمات الالهية ج١ ص ٢١٢ - ٢١٣)

إصلاح الجمود الفقهى و التعصب المذهبى

و هذا مجال اخر يتجلى فيه امامة المحدث الشاه ولى الله الدهلوى و نبوغه الفكرى فهو الرائد الاول الذى فتح لاهل هذه المنطقة آفاق الفكر الاسلامى الصحيح و دعاهم الى الاعتصام بالكتاب و السنة باعتبارهما مصدر العقائد و الحقائق و المسائل ، و حثهم على ترك الجمود الفقهى و التعصب المذهبى .

كانت عناية الاوساط العلمية بعلوم القران والسنة فى عصره قليلة . وكان اعتمادهم فى دراسة الفقه على كتب المتاخرين من فقهاء الحنفية و شروحها وحواشيها و بلغ تمسكهم بفروع المذهب الحنفى و استحسانات علمائه حدا لايرون الخروج عنها فى شىء . ولم تكن عنايتهم بتلاوة القران الكريم الا للبركة و السعادة . وكان اهتمامهم بالحديث النبوى نادرا كالمعدوم، و كان الراى السائد أن الائمة و الفقهاء السابقين قد كفوهم حاجة الرجوع الى الكتاب و السنة لاستنباط المسائل و فهم الاحكام والعبادات منهما ، فهم مكلفون باتباع هؤلاء الفقهاء و تقليدهم فقط .

فى هذه البيئة تلقى الامام الشاه ولى الله الدهلوى الفقه الحنفى فى بادئ نشاته عن والده ثم تولى التدريس بعد وفاته بمسنده . فساعده ذلك على إتقان العلوم والتعمق فيها . و كان الله سبحانه وتعالى اعطاه من الذكاء المفرط و الاستقلال الفكرى ما هداه الى دراسة

المذاهب الاربعة و النظر في اصولها و مناهجها . فلم يقتنع بالتقيد بواحد معين منها ، بل اختار طريقة الفقهاء المحدثين التى اساسها التمسك بمنصوصات الكتاب و السنة و التوفيق بين الحديث والفقه و جعل الفروع و الآراء تابعة للاحاديث الصحيحة والاجتهاد فى المسائل والمقتضيات الجديدة و استنباط احكامها من الكتاب و السنة. ولم تزده رحلته الحجازية التى استفاد خلالها من كبار علماء الحرمين الشريفين، و درس مؤلفات شيخ الاسلام الامام احمد بن تيمية و تلميذه الامام محمد ابن قيم الجوزية وغيرهما، الا تمسكا بهذه الطريقة السنية .

تناول الامام الشاه ولى الله الدهلوى مباحث الاجتهاد والتقليد وأصول التشريع الاسلامى وتاريخه فى عدد من مؤلفاته مثل حجة الله البالغة ، و التفهيمات الالهية ، و الانصاف فى سبب الاختلاف ، و عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد والتقليد و المسوى و المصفى شرحى الموطا ، بغاية من التفصيل، و استعرض تطورها من العصر الاول حتى عهده بالدقة و التحليل العلمى الرصين ، و دعا الى انتهاج نهج علمى وسط أساسه التمسك بالكتاب و السنة و يخلو من ظاهرية ابن حزم الاندلسى رحمه الله، لانها تسلب النصوص الشرعية بلاغتها و فصاحتها ، كما يخلو من الغلو فى القياس و الرأى الذى يتحكم فى النصوص و يصرفها عن معانيها الحقيقية . و انتقد القواعد الفقهية التى تؤدى الى اهمال العمل بالاحاديث الصحيحة . كما شدد نكيره على الفقهاء الجامدين والمقلدين المتعصبين وغلاة اهل الحديث على السواء . و أكد الحاجة الى التوفيق بين الحديث والفقه و التلفيق بين المذاهب الأربعة و توحيد الفقه الاسلامى كله على أساس التمسك بالقرآن و السنة . و أيد نهجه هذا بالحجج الدامغة و الأدلة القاطعة من القران والسنة و اقوال ائمة

المذاهب الاربعة وغيرهم من أعلام المحدثين والفقهاء .

و انه يدعو المسلمين الى ترك الفرقة والعصبية المذهبية بسبب تقليدهم لمذهب فقهى دون آخر او لاختلافات العلماء و الفقهاء فى المسائل الاجتهادية . لأن اختلافهم فى اكثر هذه المسائل ليس فى اصل مشروعيتها، و انما هو فى ترجيح أحد القولين او أفضلية أحد الأمرين . و قد وجد هذا الاختلاف فى السلف الصالحين من الصحابة و التابعين و الأئمة الأعلام رضى الله عنهم اجمعين ، فلم يتخذوه سببا للفرقة و القطيعة بينهم . بل كان بعضهم يصلون خلف بعض و يتوسعون فى هذه الأمور فيجوّزون العمل بأحد القولين ، و يتسامحون فيها إلى حد أنهم كانوا فى بعض الأحيان يعملون بخلاف مذهبهم و ذكر لذلك أمثلة كثيرة من سيرة السلف الصالحين رضى الله عنهم .

انه لم يكتف بالدعوة الى هذه الطريقة فحسب ، بل عمل وأفتى بها فترك كثيرا من آراء المذهب الحنفى إتباعا لنصوص الحديث النبوى و آثار الصحابة و التابعين رضى الله عنهم . و انقل هنا مقتطفات من مؤلفاته ناقش فيها هذه المسائل باسلوبه الذى يتسم بالعمق و الشمول .

١. حدث التقليد و التقيد بمذهب واحد بعد القرن الرابع الهجرى :

" ان اهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد و التفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع. بل كان فيهم العلماء والعامة ، وكان من خبر العامة انهم

كانوا فى المسائل الاجتماعية التى لا اختلاف فيها بين المسلمين او جمهور المجتهدين لا يقلدون الا صاحب الشرع. وكانوا يتعلمون صفة الوضوء و الغسل و الصلاة و الزكاة و نحو ذلك من آبائهم او معلمى بلدانهم فيمشون حسب ذلك . و اذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها اى مفت وجدوا من غير تعيين مذهب . وكان من خبر الخاصة انه كان أهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث ، فيخلص اليهم من احاديث النبى صلى الله عليه وسلم و آثار الصحابة ما لايحتاجون معه الى شئ اخر فى المسئلة من حديث مستفيض او صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ، و لاعذر لتارك العمل به او اقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتها . فان لم يجد فى المسألة ما يطمئن به قلبه لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح و نحو ذلك ، رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء . فان وجد قولين اختار أوثقهما سواء كان من أهل المدينة أو من اهل الكوفة . و كان اهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مصرحا و يجتهدون فى المذهب وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب أصحابهم ، فيقال :فلان شافعى و فلان حنفى . وكان صاحب الحديث ايضا قد ينسب الى أحد المذاهب لكثرة موافقته له، كالنسائى والبيهقى ينسبان الى الشافعى . فكان لايتولى القضاء و الافتاء الا مجتهد ولايسمى الفقيه الا مجتهدا ثم بعد هذه القرون كان أناس آخرون ذهبوا يمينا و شمالا وحدث فيهم أمور". (حجةالبالغة ج١ ص ١٥٢ و ١٥٣)

ثم عدّد الأسباب التى أفضت بالقرون المتأخّرة الى الضعف العلمى والاتكال على التقليد فذكر منها:

(١) الجدل والخلاف فى علم الفقه
(٢) الاطمينان بالتقليد
(٣) جور القضاة
(٤) جهل رؤوس الناس و استفتاء الناس من لا علم له بالحديث ولا بطريق التخريج
(٥) إقبال اكثر الفقهاء على التعمقات فى العلوم و تكلفهم لها
(٦) كثرة القيل والقال فى أصول الفقه و استنباط قواعد جدلية
(٧) الاشتغال بفرض الصور المستبعدة

ثم يقول:

"فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف؛ لا يميزون الحق من الباطل و لا الجدل عن الاستنباط. فالفقيه يومئذ هو الثرثار المتشدق الذى حفظ أقوال الفقهاء قويها و ضعيفها من غير تمييز، و سردها بشقشقة شدقيه، والمحدث من عدّ الأحاديث صحيحها و سقيمها و هذّها كهذّ الأسمار بقوة لحييه. ولا أقول ذلك كليا مطردا، فان لله طائفة من عباده لا يضرهم من خذلهم، و هم حجّة الله فى أرضه، و إن قلّوا.

ولم يأت قرن بعد ذلك إلا و هو أكثر فتنة و أوفر تقليدا و أشد انتزاعا للأمانة من صدور الرجال، حتى اطمانوا بترك الخوض فى أمر الدين، و بأن يقولوا "إنّا وجدنا آباءنا على امّة و انّا على آثارهم مقتدون. و الى الله المشتكى و هو المستعان و به الثقة و عليه التكلان". (حجة الله البالغة ج١ ص ١٥٣-١٥٤)

٢- جواز التقليد للمذاهب الأربعة المدونة

و فى هذه المناسبة يذكر جواز تقليد المذاهب المدوّنة بقوله:

"و مما يناسب هذا المقام التنبيه على مسائل ضلت فى بواديها الأفهام ، و زلت الأقدام و طغت الأقلام، منها أن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة-- أو من يعتد به منها- على جواز تقليدها إلى يومنا هذا و فى ذلك من المصالح ما لايخفى لا سيما فى هذه الأيام التى قصرت فيها الهمم جدا و أشربت النفوس الهوى و أعجب كل ذى رأى برأيه". (حجة الله البالغة ج ١ ص ١٥٤)

٣- حالات يحرم فيها التقليد على العلماء و العامة

ثم يؤكد أن هذا الجواز ليس لكل أحد و ليس بدون قيود. بل هناك حالات يحرم فيها التقليد و التعصّب لقول المقلّد كائنا من كان، و فصّل ذلك مستدلامن القرآن و السنّة و اجماع الأمة، و بأقوال غيره من الفقهاء و الأئمة مثل الامام ابن حزم، و الشيخ عز الدين بن عبد السلام و الامام ابى شامة و الامام الشافعى رحمهم الله جميعا. و استنكر هذا النوع من التقليد الاعمى و التعصب البغيض أشد الاستنكار و يقول:

"فما ذهب اليه ابن حزم حيث قال :

"التقليد حرام ولا يحل لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا برهان لقوله تعالى:
و اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء.

و قوله تعالى:

و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

و قال مادحا لمن لم يقلد:

فبشّر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولوا الألباب.

و قال تعالى:

فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.

فلم يبح الله تعالى الرد عند التنازع إلى أحد دون القرآن و السنة، و حرم بذلك الرد عند التنازع إلى قول قائل لأنه غير القرآن و السنة. و قد صح إجماع الصحابة كلهم أولهم عن آخرهم و إجماع التابعين أولهم عن آخرهم و إجماع تابعى التابعين أولهم عن آخرهم على الامتناع، و المنع من أن يقصد منهم أحد إلى قول إنسان منهم أو ممن قبلهم فيأخذه كله. فليعلم من أخذ بجميع أقوال أبى حنيفة أو جميع أقوال مالك أو جميع أقوال الشافعى أو جميع أقوال احمد رضى الله عنهم ولم يترك قول من اتبع منهم أو من غيرهم إلى قول غيره، ولم يعتمد على ما جاء فى القرآن و السنة غير صارف ذلك إلى قول إنسان بعينه، أنه قد خالف إجماع الأمة كلها أولها عن آخرها بيقين لا إشكال فيه و أنه لا يجد لنفسه سلفا ولا إنسانا فى جميع الأعصار المحمودة الثلاثة. فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، نعوذ بالله من هذه المنزلة. و أيضا فان هؤلاء الفقهاء كلهم قد نهوا عن تقليد غيرهم. فقد خالفهم من قلدهم، و أيضا فما الذى جعل رجلا من هؤلاء أو من غيرهم أولى أن يقلد من عمر بن الخطاب، أو على بن أبى طالب، أو ابن مسعود، أو ابن عمر، أو ابن عباس، أو عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهم؟!! فلو ساغ التقليد لكان كل واحد من هؤلاء أحق بأن يتبع من غيره، انتهى".

انما يتم (اى قول الامام ابن حزم)

(١) فيمن له ضرب من الإجتهاد و لو فى مسألة واحدة،

(٢) و فيمن ظهر عليه ظهورا بينا أن النبى صلى الله عليه

وسلم أمر بكذا و نهى عن كذا، و انه ليس بمنسوخ،

(أ) إما بأن يتتبع الأحاديث و أقوال المخالف و الموافق في المسألة فلا يجد لها نسخا

(ب) أو بأن يرى جما غفيرا من المتبحرين فى العلم يذهبون إليه و يرى المخالف له لايحتج الا بقياس او استنباط، او نحو ذلك.

فحينئذ لا سبب لمخالفة حديث النبى صلى الله عليه وسلم إلا نفاق خفى او حمق جلى.

و هذا هو الذى أشار إليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام حيث قال:

" و من العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا و هو مع ذلك يقلده فيه و يترك من شهد الكتاب و السنة و الأقيسة الصحيحة لمذهبهم جمودا على تقليد إمامه بل يتحيل لدفع ظاهر الكتاب والسنة و يتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلّده.

و قال:

" لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد لمذهب و لا إنكار على أحد من السائلين إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين فان أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الادلة مقلّدا له فيما قال كأنه نبى أرسل ، و هذا، نأى عن الحق و بعد عن الصواب لايرضى به أحد من أولى الالباب ".

و قال الامام أبو شامة:

" ينبغى لمن اشتغل بالفقه أن لايقتصر علي مذهب إمام و يعتقد فى كل مسألة صحة ما كان أقرب إلى دلالة الكتاب والسنة المحكمة و ذلك سهل عليه إذا كان أتقن معظم العلوم المتقدمة و ليجتنب التعصب و النظر فى طرائق الخلاف المتأخرة ، فإنها مضيعة للزمان ولصفوه مكدرة فقد صح عن الشافعى أنه نهى عن تقليده و تقليد غيره قال صاحبه المزنى فى

اول مختصره : اختصرت هذا من علم الشافعي و من معنى قوله لأقربه على أراد مع اعلامه نهيه عن تقليده و تقليد غيره لينظر فيه لدينه و يحتاط لنفسه ، أي مع إعلامي من أراد علم الشافعي نهى الشافعي عن تقليده وتقليد غيره .

(٣) و فيمن يكون عاميا و يقلد رجلا من الفقهاء بعينه يرى انه يمتنع من مثله الخطأ و أن ما قاله الصواب البتة، و اضمر فى قلبه ان لايترك تقليده و إن ظهر الدليل على خلافه.

و ذلك ما رواه الترمذى عن عدى بن حاتم انه قال :

" سمعته - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله - قال « إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه و إذا حرموا عليهم شيئا حرموه »

(٤) و فيمن لا يجوّز أن يستفتى الحنفى مثلا فقيها شافعيا و بالعكس ، و لايجوّز أن يقتدى الحنفى بامام شافعي مثلا. فان هذا قد خالف إجماع القرون الأولى و ناقض الصحابة و التابعين".(حجة الله البالغة ج١ ص١٥٥)

٤. الفرق بين التقليد المحرم و التقليد الجائز

و هنا يعود فيوضح الفرق بين التقليد المحرم و التقليد الجائز بقوله:

١. " و ليس محلّه (اى محل قول الامام ابن حزم الذى مضى ذكره فى حرمة التقليد) فيمن لا يدين إلا بقول النبى صلى الله عليه وسلم و لايعتقد حلالا إلا ما حرمه الله و رسوله . لكن لما لم يكن له علم بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم و لا بطريق الجمع بين المختلفات من كلامه و لابطريق الاستنباط من كلامه اتبع عالما راشدا على انه

مصيب فيما يقول و يفتي ظاهراً متبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان خالف ما يظنه أقلع من ساعته من غير جدال و لا إصرار ، فهذا كيف ينكره أحد مع أن الاستفتاء و الافتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ و لا فرق بين أن يستفتى هذا دائما أو يستفتى هذا حينا و ذاك حينا، بعد أن يكون مجمعا على ما ذكرناه . كيف لا ولم نؤمن بفقيه أيا كان أنه أوحى الله إليه الفقه ، و فرض علينا طاعته و انه معصوم .

فان اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلمنا بأنه عالم بكتاب الله و سنة رسوله . فلا يخلو قوله إما أن يكون من صريح الكتاب و السنة أو مستنبطا عنهما بنحو من الاستنباط ، أو عرف بالقرائن ان الحكم فى صورة ما منوط بعلة كذا و اطمأن قلبه بتلك المعرفة، فقاس غير المنصوص على المنصوص، فكأنه يقول : ظننت أن رسو ل الله صلى الله عليه وسلم قال : - كلما وجدت هذه العلة فالحكم ثمة هكذا - و المقيس مندرج فى هذا العموم. فهذا أيضا معزىّ إلى النبى صلى الله عليه وسلم و لكن فى طريقه ظنون ، ولو لا ذلك لما قلد مؤمن بمجتهد .

فان بلغنا حديث من الرسول المعصوم الذى فرض الله علينا طاعته بسند صالح يدل على خلاف مذهبه و تركنا حديثه و اتبعنا ذلك التخمين فمن أظلم منا؟ و ما عذرنا يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟ !! " (حجة الله البالغة ج١ ص ١٥٥ - ١٥٦)

٢. " و اشهد لله بالله انه كفر بالله أن يعتقد فى رجل من الأمة ممن يخطئ و يصيب ، أن الله كتب عليّ اتباعه حتما ، وأن الواجب عليّ هو الذى يوجبه هذا الرجل عليّ ولكن الشريعة الحقة قد ثبتت قبل هذا الرجل بزمان ، قد وعاها العلماء و أداها الرواة وحكم بها الفقهاء. و انما اتفق الناس على تقليد العلماء على معنى أنهم رواة الشريعة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، و انهم علموا ما لم نعلم ، و انهم اشتغلوا بالعلم ما لم نشتغل . لذلك قلدوا العلماء . فلو ان حديثا صح و شهد بصحته المحدثون و عمل به طوائف ، فظهر فيه الأمر ، ثم لم يعمل به هو لانّ متبوعه لم يقل به ، فهذا هو الضلال البعيد " . (التفهيمات الالهية ج١ ص ٢١١).

٣. و فى موضع آخر يفصّل الأسباب التى تؤدى الى التحريف فى الأديان و يعدّدها واحدا واحدا ، و يقرّر أن التقليد أحد الاسباب التى يدخل منها الفساد و الضلال فى الدين ، و يقول :

"و منها تقليد غير المعصوم أعنى غير النبى الذى ثبتت عصمته و حقيقته أن يجتهد واحد من علماء الأمة فى مسألة فيظنّ متبعوه أنه على الاصابة قطعا او غالبا، فيردوا به حديثا صحيحا . و هذا التقليد غير ما اتفق عليه الأمة المرحومة . فانهم اتفقوا على جواز التقليد للمجتهدين مع العلم بأن المجتهد يخطئ و يصيب و مع الاستشراف لنص النبى صلى الله عليه وسلم فى المسألة ، و العزم انه اذا ظهر حديث صحيح خلاف ما قلد فيه ترك التقليد و اتبع الحديث . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله

تعالى :

اتَّخَذُوا اَحبَارَهُم وَ رُهبَانَهُم اَربَاباً مِن دُونِ اللهِ

انهم لم يكونوا يعبدونهم ، و لكنهم كانوا اذا احلّو لهم شيئا استحلوه ، و إذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه." (حجة الله البالغة - باب احكام الدين من التحريف ج١ ص١٢١)

٥ - رد بعض القواعد المخرجة على كلام الائمة

و هنا يرد بعض الأصول الفقهية و التخريجات الجدلية التى يتمسك بها المتعصبون من اهل بلده الأحناف ، فيتركون العمل ببعض الأحاديث ، و يظنون خطأ و جهلا أن بناء المذهب الحنفى عليها ، و يشرح أنها ليست مذهب الامام ابى حنيفة ، و لا مذهب صاحبيه الامام ابى يوسف و الامام محمد رحمهم الله جميعا و إنما هى من تخريجات المتأخرين ، و أن أول من أظهرها هم المعتزلة الذين لم يعرفوا القرآن والسنة حق المعرفة . و يقول :

(١) و من كان من أهل التخريج ينبغى له أن يجعل من السنن ما يحترز به من مخالفة الصريح الصحيح و من القول برأيه فيما فيه حديث أو أثر بقدر الطاقة ، و لاينبغى لمحدث أن يتعمق بالقواعد التى أحكمها اصحابه و ليست مما نص عليه الشارع فيرد به حديثا أو قياسا صحيحا"..........

(٢) " و لاينبغى أن يرد حديثا أو أثرا تطابق عليه القوم لقاعدة استخرجها هو أو أصحابه كرد حديث المصراة و كاسقاط سهم ذوى القربى . فان رعاية الحديث أوجب من

رعاية تلك القاعدة المخرجة و الى هذا المعنى أشار الشافعى حيث قال :

مهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قاله صلى الله عليه وسلم .

(حجة الله البالغة ج١ ص١٥٩)

(٣) " ومنها اني وجدت بعضهم يزعم أن جميع مايوجد فى هذه الشروح الطويلة و كتب الفتاوى الضخمة هو قول أبى حنيفة و صاحبيه ، و لايفرق بين القول المخرج و بين ما هو قول فى الحقيقة ، ولايحصل معنى قولهم على تخريج الكرخى كذا ، و على تخريج الطحاوى كذا ، ولايميز بين قولهم : قال أبوحنيفة: كذا ، و بين قولهم : جواب المسألة على مذهب أبى حنيفة أو على أصل أبى حنيفة كذا ، و لايصغى إلى ما قاله المحققون من الحنفيين كابن الهمام و ابن النجيم فى مسألة العشر فى العشر ، و مثله مسألة اشتراط البعد من الماء ميلا فى التيمم ، و أمثالهما أن ذلك من تخريجات الأصحاب و ليس مذهباً فى الحقيقة ، وبعضهم يزعم أن بناء المذهب على هذه المحاورات الجدلية المذكورة فى مبسوط السرخسى و الهداية و التبيين و نحو ذلك ، ولايعلم أن أول من أظهر ذلك فيهم المعتزلة ، و ليس عليه بناء مذهبهم ، ثم استطاب ذلك المتأخرون توسعاً و تشحيذاً لأذهان الطالبين و لولغير ذلك و الله أعلم . و هذه الشبهات و الشكوك يحل كثير منها مما

مهدناه فی هذا الباب .

و منها أنی وجدت بعضهم يزعم أن بناء الخلاف بين أبی حنيفة و الشافعی رحمهما الله على هذه الأصول المذكورة فی كتاب البزدوی و نحوه ، و إنما الحق أن أكثرها أصول مخرجة على قولهم . و عندی أن المسألة القائلة بأن الخاص مبين لايلحقه البيان، و أن الزيادة نسخ و أن العام قطعی كالخاص ، و أن لاترجيح بكثرة الرواة وأنه لايجب العمل بحديث غير الفقيه إذا انسد باب الرأي ، و أن لاعبرة بمفهوم الشرط و الوصف أصلا و أن موجب الأمر هو الوجوب البتة ، و أمثال ذلك أصول مخرجة على كلام الأئمة، و أنه لاتصح بها رواية عن أبی حنيفة و صاحبيه ، و أنه ليست المحافظة عليها و التكلف فی جواب ما يرد عليها من صنائع المتقدمين فی استنباطاتهم كما يفعله البزدوی وغيره أحق من المحافظة على خلافها والجواب عما يرد عليه." (حجة الله البالغة ج١ ص١٦٠)

و الحق أنه بدعوته هذه يهدم أساس التعصب المذهبی بين الحنفية والشافعية و بين الحنفية و أهل الحديث ، و يرشدهم الى طريق وسط يليق بكل مسلم صادق الايمان، و كان عليه السلف و الأئمة كلهم و يخلو من الإفراط و التفريط و يجمع الأمة على الحق و الهدى . و الله ولی التوفيق.

٦ - الدعوة الى التسامح فى المسائل الاجتهادية

و يدعو الى التسامح فى المسائل الاجتهادية التى اختلف فيها العلماء والفقهاء و الى عدم اتخاذها سببا للفرقة و القطيعة بين المسلمين بقوله:

(١) "و منها ان اكثر صور الاختلاف بين الفقهاء لاسيما فى المسائل التى ظهر فيها أقوال الصحابة فى الجانبين كتكبيرات التشريق ، و تكبيرات العيدين ، و نكاح المحرم، و تشهد ابن عباس و ابن مسعود ، و الإخفاء بالبسملة و بآمين و الاشفاع و الايتار فى الاقامة و نحو ذلك إنما هو فى ترجيح أحد القولين . و كان السلف لايختلفون فى أصل المشروعية ، و إنما كان خلافهم فى أولى الأمرين ، و نظيره اختلاف القراء فى وجوه القراءة. و قد عللوا كثيراً من هذا الباب بأن الصحابة مختلفون و أنهم جميعا على الهدى. و لذلك لم يزل العلماء يجوزون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية و يسلمون قضاء القضاة و يعملون فى بعض الأحيان بخلاف مذهبهم. ولاترى أئمة المذاهب فى هذه المواضع إلا و هم يضجعون القول و يبينون الخلاف ، يقول أحدهم : هذا أحوط ، و هذا هو المختار ، و هذا أحبّ إلىّ ، و يقول : ما بلغنا إلا ذلك ، و هذا كثير فى المبسوط ، و آثار محمد رحمه الله، و كلام الشافعى رحمه الله . ثم خلف من بعدهم خلف اختصروا كلام القوم فقووا الخلاف و ثبتوا على مختار أئمتهم ، والذى يروى من السلف من تأكيد الأخذ بمذهب أصحابهم و أن لايخرج منها بحال ، فان ذلك إما لأمر

جبلى، فان كل إنسان يحب ما هو مختار أصحابه و قومه حتى فى الزى و المطاعم أو لصولة ناشئة من ملاحظة الدليل أو لنحو ذلك من الاسباب ، فظنه البعض تعصبا دينيا، حاشاهم من ذلك . و قد كان فى الصحابة و التابعين و من بعدهم من يقرأ البسملة و منهم من لايقرؤها ، و منهم من يجهر بها و منهم من لايجهر بها، و كان منهم من يقنت فى الفجر و منهم من لايقنت فى الفجر، و منهم من يتوضأ من الحجامة و الرعاف و القيء و منهم من لايتوضأ من ذلك ، و منهم من يتوضأ مما مسته النار، و منهم من لايتوضأ من ذلك، و منهم من يتوضأ من أكل لحم الابل و منهم من لايتوضأ من ذلك .

و مع هذا فكان بعضهم يصلى خلف بعض مثل ما كان أبوحنيفة و أصحابه و الشافعى و غيرهم رضى الله عنهم يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية و غيرهم و إن كانوا لا يقرؤون البسملة لا سراً و لا جهراً . (حجة الله البالغة ج١ ص ١٥٨ - ١٥٩) .

و فى موضع آخر يذكر رفع اليدين فى الصلاة قبل الركوع و بعده، فيذكر اختلاف الفقهاء فى ذلك و يدعو المسلمين الى التسامح فى امثال هذه الأمور و عدم إثارة الفُرقة و الفتنة بسببها و يقول :

(٢) "فاذا أراد (المصلى) أن يركع رفع يديه حذو منكبيه أو أذنيه ، و كذلك إذا رفع رأسه من الركوع ، و لا يفعل ذلك

فى السجود .

أقول : السرّ فى ذلك أن رفع اليدين فعل تعظيمى ينبه النفس على ترك الاشغال المنافية للصلاة والدخول فى حيز المناجاة فشرع ابتداء كل فعل من التعظيمات الثلاث به لتتنبه النفس لثمرة ذلك الفعل مستأنفاً ، و هو من الهيآت ، فعله النبى صلى الله عليه وسلم مرة و تركه مرة . و الكل سنة ، و أخذ بكل واحد جماعة من الصحابة و التابعين و من بعدهم. و هذا أحد المواضع التى اختلف فيها الفريقان: أهل المدينة والكوفة ، ولكل واحد أصل أصيل. و الحق عندى فى مثل ذلك أن الكل سنة و نظيره الوتر بركعة واحدة أو بثلاث. و الذى يرفع أحب إلى ممن لايرفع ، فان أحاديث الرفع أكثر و أثبت . غير أنه لاينبغى لإنسان فى مثل هذه الصور أن يثير على نفسه فتنة عوام بلده ، و هو قوله صلى الله عليه وسلم : «لو لا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة». و لايبعد أن يكون ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ظنّ أنّ السنة المتقررة آخراً هو تركه لما تلقن من أن مبنى الصلاة على سكون الأطراف ، و لم يظهر له أنّ الرفع فعل تعظيمى ، و لذلك ابتدأ به فى الصلاة . أو لما تلقن من أنه فعل ينبئ عن الترك فلا يناسب كونه فى أثناء الصلاة. و لم يظهر له أن تجديد التنبه لترك ماسوى الله عند كل فعل ، أصل من الصلاة مطلوب و الله أعلم ".

٧ . ويقول فى ذم التعصب المذهبى

(١) " وترى العامة سيما اليوم فى كل قطر يتقيدون بمذهب من مذاهب المتقدمين يرون خروج الانسان من مذهب من قلده ولو فى مسئلة كالخروج من الملة كأنه نبى بعث اليه ، وافترضت طاعته عليه . و كان أوائل المائة الرابعة غير متقيدين بمذهب واحد " . (التفهيمات الالهية ج ١ ص ١٥١).

(٢) " ومنها أنى أقول لهؤلاء المسمين أنفسهم بالفقهاء الجامدين على التقليد يبلغهم الحديث من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح و قد ذهب اليه جمع عظيم من الفقهاء المتقدمين ، و لا يمنعهم من اتباعه الا التقليد لمن لم يذهب اليه و لهؤلاء الظاهرية المنكرين للفقهاء الذين هم طراز حملة العلم و ائمة أهل الدين : أنهم جميعا على سفاهة و سخافة رأى و ضلالة . وان الحق بين بين .

و اشهد لله بالله ان الله تبارك و تعالى أجل و أعدل من أن يكلف الناس بشريعة أن يعملوا بها إلى يوم القيامة ، ثم يجعلها عليهم عمى لايميزون بين الحق و الباطل . بل الله تبارك وتعالى أبلج الحق و أظهره حتى لايهلك على الله الا كل مارد متمرد . فانزل كتابا محكما لايلتبس به كلام الناس ، و حفظه من ان يتطرق اليه تحريف ، و جعله متواترا لا يختلف فيه رجلان و

انطق رسوله صلوات الله عليه " . (التفهيمات الالهية ج١
ص ٢٠٩ و٢١٠)

(٣) " من كان مقلدا لواحد من الأئمة و بلغه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يخالف قوله فى مسألة و
غلب على ظنه أن ذلك نقل صحيح فليس له عذر فى أن
يترك حديثه عليه السلام إلى قول غيره و ما ذلك شان
المسلمين ، و يخشى عليه النفاق ان فعل ذلك "
(التفهيمات الالهية ج٢ صفحة ١٣٤)

و خلاصة قوله أنه من استبان له صحة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم - عالما كان أوعاميا - يجب عليه العمل به ، و لايجوز له أن يدع الحديث لقول أحد من الناس. فان السلف و الأئمة كلهم متفقون على ذمّه و تحريمه . لأن ذلك يجعل كل إمام فى أتباعه بمنزلة النبى فى أمته و هو ما ذمّه القران و السنة، وهو يفضى الى هجران القران والسنة و الاعراض عن تدبرهما .

و انما صورة جواز التقليد للمسلم العامى أن يقلد اهل العلم عند العجز عن معرفة الدليل. فاذا حدث له أمر استفتى أي عالم راشد.

٨ . و دعا الى التوفيق بين المذهبين الحنفى والشافعى على اساس التمسك بالسنة بقوله :

(١) " و نحن نأخذ من الفروع ما اتفق عليه العلماء لاسيما هاتان
الفرقتان العظيمتان الحنفية والشافعية وخصوصا فى

الطهارة والصلاة . فان لم يتيسر الاتفاق ، و اختلفوا فنأخذ بما يشهد له ظاهر الحديث ومعروفه .

و نحن لانزدرى أحدا من العلماء فالكل طالبو الحق . ولا نعتقد العصمة فى أحد غير النبى صلى الله عليه وسلم . والميزان فى معرفة الخير والشر الكتاب على تأويله الصريح و معروف السنة، لا اجتهاد العلماء و لا أقوال الصوفية . ليس منا من لم يتدبر كتاب الله ولم يتفهم حديث نبيه صلى الله عليه وسلم . ليس منا من ترك ملازمة العلماء أعنى الصوفية الذين لهم حظ من الكتاب و السنة ، او الراسخين فى العلم الذين لهم حظ من الصوفية ، او المحدثين الذين لهم حظ من الفقه ، او الفقهاء الذين لهم حظ من الحديث .

و اما الجهال من الصوفية والمجاهدون للتصوف فأولائك قطاع الطرق ولصوص الدين فإياك و إياهم " .

(التفهيمات الالهية ج٢ ص ٢٠٢) .

(٢) " و نشأ فى قلبى داعية من جهة الملإ الأعلى ، تفصيلها أن مذهبى أبى حنيفة والشافعى هما مشهوران فى الأمة المرحومة ، و هما اكثر المذاهب تابعا و تصنيفا . و كان جمهور الفقهاء و المحدثين والمفسرين و المتكلمين والصوفية متمذهبين بمذهب الشافعى و جمهور الملوك وعامة المسلمين متمذهبين بمذهب ابى حنيفة . و ان الحق الموافق لعلوم الملا

الأعلى اليوم أن يجعلا كمذهب واحد . يعرضان على الكتب المدونة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من الفريقين . فما كان موافقا بها يبقى ، و ما لم يوجد له أصل يسقط " . (التفهيمات الالهية ج ١ ص ٢١١ و ٢١٢)

شعر الامام الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله بخطر الفرقة والاختلاف و ما ادى اليه من عصبية وفساد و انحراف ، كما لاحظ ان العالم مقبل على تطور جديد تواجه فيه الامة ثورة و تحديات فكرية عارمة لايمكن علاجها الا بالعقيدة الاسلامية الصافية و الفكر الاسلامي الرصين . فرأى بثاقب نظره ضرورة جمع المسلمين على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . و دعا بقوة الى تحرير الفقه الاسلامي من الجمود والتقليد الاعمى . فأثار بدعوته هذه روحا دينيا و نشاطا فكريا جديدا في الاوساط العلمية في الهند و ازداد الاقبال على دراسة العلوم الاسلامية من مصادرها الاولى من كتاب الله و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم و سيرة الخلفاء الراشدين و آثار الصحابة و التابعين رضي الله عنهم . وسار بعده خلفاؤه و اتباعه على هذا النهج السلفي المستقيم ، فنشأ بذلك اتجاه عام بمعرفة علوم الكتاب و السنة و اتخاذهما مصدرا للعقائد والحقائق و الاحكام و اساسا للفكر الاسلامي .

الخلافة الإسلامية

و هذا مجال آخر تتجلى فيه عبقرية الإمام المحدث الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله. فهو أول من اهتم بهذا الموضوع من علماء الهند، و أعطاه من العناية و الدراسة والبحث ما يستحقه. و قبل ان نذكر اعماله فى هذا المجال لابد من إشارة عابرة إلى الخلفية التاريخية لوجود فرقة الشيعة فى الهند، لأنه هو الباعث الأساسى لاهتمامه بهذا الموضوع.

كان ملوك الهند المسلمون كلهم من عصر الغوريين حتى عصر اللوديين من أهل السنة. و كان الملك المغولى الثانى همابون بن بابر (المتوفى فى١٥ ربيع الاول ٩٦٢هـ) عندما هزمه خصومه من أسرة السوريين، لجأ الى الملك الايرانى طهماسب الصفوى و استرد ملكه منهم بعد ١٥ سنة بنصرته و مساعدته العسكرية. فزاد فى تكريم الإيرانيين و تقريب الامراء و العلماء الشيعيين اليه، و فسح لهم المجال لنشر عقائدهم و أطلق لهم العنان. فأدى ذلك الى قيام منافسة بينهم و بين الأمراء السنيين فى البلاط الملكى. و لم يزل نفوذ الشيعة يزداد يوما فيوما حتى عصر الامبراطور الصالح أورنك زيب عالمكير الذى كان ابنه و خلفه الملك بهادر شاه الأول (المتوفى سنة١١٢٤هـ) قبل المذهب الشيعى بصراحة، وبدأ يدعو الناس اليه. و أمر العلماء بزيادة الكلمات (على ولىّ الله و وصىّ رسول الله) فى خطب الجمعة و العيدين. فاستغرب العلماء والفقهاء و عامة الناس أمره هذا، و استنكروه فى أنحاء البلاد و حدثت احتجاجات و اضطرابات فى كثير من المدن. و فى احمداباد قتل الناس خطيبا سنيا نطق بهذه الكلمات اتباعا لأمر الملك. و كان ابن الملك عظيم الشان سنيا و كان يعارض أباه بصراحة و طلب منه ان يسحب أمره.

و كان علماء لاهور أشدّ الناس إنكارا لهذا الأمر فرفضوه رفضا باتا. وكان فی مقدمتهم الشيخ محمد مراد اللاهوری و الشيخ يارمحمد اللاهوری الذی ذهب الی قاضی مدينة لاهور و شرح له موقفهم و طلب منه ان يقنع الملك بسحب أمره. و لكن الملك أصرّ على تنفيذ أمره. و اشتد النزاع. و استدعى الملك العلماء و الفقهاء الی مجلسه و جعل يناظرهم و يستدل على صحة أمره بأقوال بعض الفقهاء. و أراد تخويفهم بطشه و إجبارهم على الانقياد لأمره.

و كان الشيخ يار محمد اللاهوری يتولى بيان موقف العلماء فردّ على أدلة الملك ردا شافيا و شرح موقف أهل السنة دونما وجل أو خوف. فقال له الملك: كيف تغلظ لدينا القول؟ أ لاتخاف غضب الملوك و بطشهم؟ فرد عليه الشيخ يار محمد اللاهوری بقوله:

لقد كنت سألت الله أربعا: طلب العلم، و حفظ القران الكريم، و حجّ بيت الله الحرام، و الشهادة فی سبيله. و قد منّ الله علیّ بفضله بثلاث، و أرجو أن أفوز بالشهادة على يديك.

و لما رأى الملك هذه الصلابة و الاستقامة فی موقف العلماء تراجع عن رأيه و اضطر إلى سحب أمره.

و كان موقف العلماء هذا عبرة لمن جاء بعده من الملوك و الامراء، فلم يجرؤ أحد منهم على فرض عقائد الشيعة و دعوة الناس اليها علنا.

رغم ذلك لم يزل نفوذ الشيعة يقوى حتى اشتد النزاع والمنافسة بين الامراء التورانيين من أهل السنة و أمراء الشيعة. و عجز الملوك عن

التغلب على هذه المشكلة التى كانت في بداية أمرها محدودة ثم اشتدت و توسعت في عصر الملك فرخ سير الذى لم يبق بيده من السلطة الا اسمها و صار ألعوبة بأيدى الأميرين الشيعيين الشقيقين السيدين حسن علي خان و حسين على خان ابنى السيد عبدالله خان من أسرة سادات باره المعروفة و غيرهما. فكانوا هم المسيطرين على الملك يتصرفون في أمور الدولة كما يشاءون، و يعبثون بالملوك و يبثون لهم الغوائل و ينسجون لهم المكائد و يضربون بعضهم ببعض. و استمر الأمر على ذلك قرابة ربع قرن.

وقد أجمع المؤرخون على أن المؤامرات و الدسائس التى دبرها هؤلاء الأمراء قضت على استقرار الدولة و شوكتها، و كانت من أهم الأسباب المؤدية الى ضعفها و سقوطها.

عاصر الإمام المجدد الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله هذه الأوضاع، و شاهد انتشار فتنة الشيعة و ازدياد نفوذهم السياسى و الاجتماعي فى عامة الناس و خاصتهم. فشعر بالحاجة الى معالجة هذا الموقف و التصدى للرد على الشبهات و الشكوك التى يثيرونها للتشكيك فى خلافة الخلفاء الثلاثة أبى بكر الصديق و عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم و النيل من غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فألف كتابين عن هذا الموضوع باللغة الفارسية هما:
(١) قرّة العينين فى تفضيل الشيخين (٢) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء
و تناول فيهما جميع المسائل والمباحث الخاصة بهذا الموضوع بالعمق و الشمول و باسلوب يفيض علما و حكمة و إخلاصا، و ذكر مآثر الخلفاء الراشدين و مناقبهم و أعمالهم و مكانتهم فى الاسلام .كما تناول بعض هذه المباحث و خاصة موقفه من الشيعة في عدد من مؤلفاته الأخري، و

ترجم رسالة رد الروافض للامام المجدد احمد السرهندى إلى اللغة العربية باسم المقدمة السنية في الانتصار للفرقة السنية.

"قرة العينين فى تفضيل الشيخين" كتاب موجز ذكر فيه مآثر الخليفتين أبى بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضى الله عنهما باختصار.

اما كتابه "إزالةَ الخفاء عن خلافة الخلفاء" فسفر علمي عظيم و عديم النظير في شرح المباحث والمسائل الخاصة بالخلافة الاسلامية و السياسة الشرعية و مكانة الخلفاء الراشدين الأربعة و غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، و فريد فى أسلوب عرضه الذي يمتاز باستقامة الفكر و غزارة المعانى و قوة الحجة و الاستدلال و التحليل العلمى الرصين، و استوعب أصول السياسية الشرعية و الخلافة الاسلامية و فروعها، و حوى نكاتا بديعة و فوائد نادرة مهمة لايستغني عنها عالم أو باحث، و تتبارى فيها الحكمة و البلاغة، كأنّ الله فجّر ينابيع الحكمة و المعرفة علي لسانه و قلمه.

و كذلك اشتمل على دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الاسلامى بجميع عصوره و مراحلها من النواحى الدينية و العلمية و الاجتماعية والسياسية بدءا بعصر النبوة و انتهاء بعصر المؤلف رحمه الله و غفرله. فصار بميّزاته هذه مرجعا مهمّا جدا للعلماء و الباحثين.

و أرى أن هذا الكتاب يحتلّ المرتبة الثانية بعد كتابه "حجة الله البالغة" الذى كان ألفه باللغة العربية، بينما ألّف " إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" باللغة الفارسية لنشره بين أبناء بلده. فلم يشتهر فى العالم العربي الاسلامى رغم شهرته العلمية و رواجه الكبير فى المنطقة المحلية، و

لم يترجم الي اللغة العربية (١). و قد ذكره العلامة عبدالحى الحسنى في كتابه نزهة الخواطر (ج٦ ص٤٠٩) بقوله :

"إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" كتاب عديم النظير فى بابه، لم يؤلف مثله قبله و لا بعده، و يدلّ علي أن صاحبه لبحر زخار لاساحل له."

ذكر الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوى فى الفصول الأولى من كتابه "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" المسائل و الأمور الأساسية الخاصة بموضوع الخلافة. و بدأها بذكر معنى الخلافة و شرح مهامها، و أن نصب الخليفة واجب على المسلمين بالكفاية الى يوم القيامة، و ذكر الشروط و الصفات التى يجب توفرها فى الخليفة، و طرق انعقاد الخلافة، و ما يجب على الخليفة من القيام بمصالح المسلمين، و ما يجب على الرعية من السمع و الطاعة له.

و أنقل فى الصفحات التالية نماذج من آرائه و أفكاره القيمة فى هذا الموضوع حتى يطلع القارئ الكريم على أسلوبه الرائع الذى يمتاز بالأصالة و الابتكار و قوة الحجة و سلامة المنطق، و الجمع بين المنقول و المعقول.

---

(١)راجع مقدمة هذا الكتاب .

معنى الخلافة

ذكر الشاه ولي الله رحمه الله معنى الخلافة كما يلي:
"هى الرياسة العامة في التصدّى لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية و إقامة أركان الاسلام و القيام بالجهاد و ما يتعلق به من ترتيب الجيوش و الفرض للمقاتلة و إعطائهم من الفئ، و القيام بالقضاء و إقامة الحدود و رفع المظالم و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر نيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم."

ثم شرحه مقرونا بالأدلة الشرعية من الكتاب و السنة و الإجماع.

شروط الخليفة

و كذلك ذكر الصفات التى يشترط وجودها في الخليفة مقرونة بأدلتها من القران الكريم و السنة و الاجماع، و خلاصتها:

١. يشترط فى الخليفة أن يكون مسلما.
٢. و أن يكون عاقلا بالغا
٣. و أن يكون ذكرا لا أنثى
٤. و أن يكون حراً
٥. و أن يكون متكلما و سميعا و بصيرا
٦. و أن يكون شجاعا ذا رأى و بصر فى السلم و الحرب، و أن لايكون مولعا بالدعة و الملذات
٧. و أن يكون عدلا أى يجتنب الكبائر و لايصر على الصغائر و متصفا بالمروءة و لايكون مستهترا خليع العذار
٨. و أن يكون مجتهدا
٩. و أن يكون قُرَشيّا

و الخلاصة أنه إذا استوفى شخص هذه الشروط استحق الخلافة. فإذا

ولّوه الخلافة و عقدوا له يصير خليفة راشدا. و إن ولّوا شخصا غير مستجمع لهذه الشروط يعصى الساعون لاستخلافه، و لكن إذا تسلّط ينفذ قوله فيما يوافق الشرع، للضرورة. لأن السعى لخلعه سيؤدى الى اختلاف الأمة و انتشار الهرج و المرج. (المسألة الثالثة فى الفصل الاولّ ج١ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) .

ما يجب على الخليفة من القيام بمصالح المسلمين

و يلخّص الإمام المجدّد الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله ما يجب علي الخليفة من القيام بمصالح المسلمين كما يلى:

١. " القيام بحفظ الدين المحمدى بالصفة التى ثبت عليها بالسنة المستفيضة و انعقد عليها إجماع السلف الصالح و بالإنكار على المخالفين و ذلك بقتل المرتدين و الزنادقة و زجر المبتدعة.

٢. و الاهتمام باقامة أركان الاسلام من الجمعة والجماعات و الزكاة و الحج و الصوم، و أن يتولى اقامتها بنفسه فى محل وجوده، و ينصب أئمة المساجد و المصدّقين فى الأماكن البعيدة و يعيّن أمير الحج.

٣. و يقوم بإحياء علوم الدين بنفسه قدر استطاعته و يعيّن المدرسين فى كل بلد كما كان سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه بعث عبدالله بن مسعود مع جماعة الى الكوفة، و بعث معقل بن يسار و عبدالله بن معقل الى البصرة.

٤. ويقضى بين أهل الخصومات و يحكم في الدعاوى، و ينصب القضاة لها.

٥. و أن يحفظ بلاد الاسلام من شرور الكفار و قطّاع الطرق و المتغلّبين،

و يعبّىء الجيوش و الأسلحة الحربية على ثغور دارالاسلام.

٦. و أن يجاهد أعداء الله ابتداء و رفعا، و يرتّب الجيوش و يفرض أرزاق المقاتلة.

٧. و أن يأخذ الجزية و الخراج و يقوم بقسمتها على الغزاة ويقدّر أعطيات القضاة و المفتين والمدرسين و الواعظين و أئمة المساجد باجتهاده من غير إسراف او تقتير.

٨. و أن يستعمل نوآبا أمناء عدولا ناصحين، وأن يهتم دائما بتفقد أحوال الرعية و مشارفة أمور الجيش والغزاة وأمراء الأمصار و القضاة و غيرهم حتى لايكون فيهم ظلم او خيانة.

و لايصحّ استعمال الكفار على أمور المسلمين أبدا. فقد نهى عمر الفاروق رضى الله عنه عن هذا نهيا شديدا، كما أخرج شيخ الشيوخ العارف السهروردى قدس سره فى العوارف عن و ثيق الرومى قال:

"كنت مملوكا لعمر. فكان يقول لى : أسلم. فانك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين. فانه لاينبغى أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم. قال: فأبيت. فقال عمر: لا إكراه فى الدين. فلمّا حضرته الوفاة أعتقنى ، فقال: اذهب حيث شئت."

"هذا بيان ما يجب على الخليفة بطريق الاختصار و الايجاز."
(المسألة الخامسة فى الفصل الاولّ ج١ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة من أظهر البديهيات

و يقول بعد شرح معنى الخلافة و شروطها و المسائل الأساسية الخاصة بها:

" ثبوت الخلافة العامة للخلفاء الراشدين الأربعة من أجلى البديهيات. فاذا أخذنا معنى الخلافة و شروطها و مقاصدها بعين الاعتبار، و تذكرنا أحوالهم التى وصلت إلينا بطرق مشهورة و مستفيضة، لم يبق لنا مجال الشك فى ثبوت شروط الخلافة فيهم، و نفاذ مقاصد الخلافة على أيديهم بوجه الكمال و التمام. و هذا أمر يعرفه كل عاقل. و أما الخفاء الذى يقولون به فمردّه الى اعتبار معان أخرى غير ما ذكرنا فى مفهوم الخلافة، مثل اشتراط الشيعة العصمة و الوحى الباطنى فى الإمام. و لايتصوّر عاقل أن يشكّ أو يثير شبهة فى ثبوت صفات الاسلام و العقل والبلوغ والحرية والذكورة و سلامة الأعضاء و القرشيّة فى الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم بأتمّ وجه و أكمله، كما لايسعه الإنكار بأن الأعمال العظيمة من مقاتلة المرتدين و فتح بلاد العجم و الروم و مدافعة جيوش كسرى و قيصر، تمّت بتدبيرهم و أمرهم و على أيديهم. وفى هذا كفاية لمن اكتفى.

و الشيعة أنفسهم يقولون ان الشيخين رضى الله عنهما اغتصبا الخلافة من سيدنا على المرتضى رضى الله عنه. و هذا أمره لايتصوّر تحقيقه إلا بكمال الجرأة و التدبير و تأليف

الناس و جمعهم على طاعتهما. فاعترفوا بشجاعتهما و رأيهما و كفايتهما من حيث لم يريدوا." (نهاية الفصل الاوّل ج١ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

شروط خليفة رسول الله

صلى الله عليه و سلم

هذا معنى الخلافة العامة و هذه شروطها التى يجب وجودها فى خليفة المسلمين عامة. أما خلافة النبوّة أو الخلافة الخاصة (كما يسميها الشاه ولى الله عادة) فلا يكتفى فيها بهذه الشروط و الصفات. بل لابد أن يتصف خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم او الخليفة الخاص بشروط و صفات زائدة عليها أيضا. و يرى الشاه ولى الله رحمه الله تعالى أنه يشترط فى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، علاوة على الشروط المعتبرة فى الخلافة العامة:

(١) "أن يكون من المهاجرين الأولين ممن شهد الحديبية و نزول سورة النور وبدرا و تبوك و غيرها من المشاهد العظيمة التى ورد التنويه بها.

(٢) و أن يكون مبشّرا بالجنّة. فإن هذه البشارة قاطعة بنجاته و فوزه.

(٣) و أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نصّ على كونه من الطبقة العليا من الصديقين و الشهداء و الصالحين، إذ لاتليق رياسة هذه الطبقة الأولى الا بمن كان منهم.

(٤) أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم رشّحه للقيام بمهام الخلافة قولا و عملا كأن يكون عامله معاملة الأمير لولىّ عهده

مرارا و تكرارا.

(٥) و أن تظهر على يديه بعض المواعيد التى وعدها الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم. و لا تعرف هذه العلامة إلا بعد انعقاد الخلافة فعلا.

(٦) و أن يكون مّمن يحتج بقوله في الشريعة و يجب على المسلمين طاعته.

(٧) و أن يكون أفضل الأمة فى عصر خلافته عقلا و نقلا حتى يجمع الرياستين الدينية و الدنيوية ظاهرا و باطنا."

استنبط الشاه ولى الله هذه الشروط والصفات من القرآن الكريم والسنة و ذكر أدلتها مؤيدة بأقوال كبار الأمة و عظماء أهل السنة فى الفصل الثانى، كما ذكر الأسباب التى تستلزم اشتراطها. و خلاصتها أن المطلوب ممن يخلف النبى صلى الله عليه وسلم:

(١) " أن يتمّ و ينفذ الأعمال و المصالح الملّية التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم بدأها أو أمر بها أو بُشِّرَ بها أو وُعِدَها، و لكنه انتقل الى الرفيق الأعلى قبل إتمامها، فيتمّ على يدى خليفته إظهار دين الاسلام و تمكين الدين المرضىّ كما ورد فى كثير من الآيات و الأحاديث الصحيحة المشهورة.

(٢) و أن يواصل قيادة الأمة على منهاج النبوة فى السلم و الحرب و يواصل السياسة الشرعية التى أساسها إظهار دين الاسلام و جهاد الكفار و إصلاح للمجتمع الاسلامى و جمع كلمة المسلمين على كتاب الله و سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(٣) و أن يكون متحليا بالتشبه الكامل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرأفة بالأمة و رعايتها، و مقتديا بسيرته و سنته

المرضية فى التعامل و السلوك معهم، حتى تكون خلافته "على منهاج النبوة" و تكون دولته "خلافة و رحمة" بعدما كانت "نبوّة و رحمة" كما وعد الله سبحانه وتعالى، و كان وعده مفعولا.

و لايتصور الاقتداء بأسوة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته فى رياسة الأمة و سياستها بهذا الوجه الاكمل إلا ممن استجمع الصفات السبع التى سلف ذكرها". (الفصل الثانى ج١ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

منزلة خلفاء الأنبياء

يورد الشاه ولى الله الدهلوى فى خاتمة الفصل الثالث نكتة دقيقة خلاصتها أن النبوة عند اهل الحق ليست أمرا مكتسبا يدرك بالرياضة النفسانية و لا أمرا جبليا كأن تكون نفس النبى تخلق قدسية، فيضطر بجبلته القدسية إلى الأفعال التى تلائم قدسيته .... و كذلك الخلافة الخاصة (الخلافة الكاملة أى خلافة الأنبياء) ليست هى الاخرى مكتسبة و لاجبلية. بل الله سبحانه و تعالى يصدر إرادته الشريفة من فوق السماوات السبع لنشر الهدى الذى جاء به النبى فى الناس و إتمام نوره و إظهار دينه و إنجاز الموعود له. فتلقى هذه الداعية الربانية فى قلب الخليفه.

ثم يذكر أوصاف من يتشرف بتلقى هذه الداعية الربانية بقوله:
"ويجوّز الاحتمال العقلى أن يُسلِمَ شخص فى آخر حياة النبى و تتمكّن هذه الداعية فى قلبه و تفيض منه، و لكن هذا الاحتمال غير وارد البتة. فقد جرت سنة الله- ولن تجد لسنّة الله تبديلا- أن لا تلقى هذه الداعية المتحلية بهمم الملأ الأعلى فى قلب أحد إلا إذا كان جوهر نفسه خلق مشابها لجوهر نفس الانبياء، و استودعت أسوة الوحى فى قوته العاقلة. و هذه هى المحدثية، و

استودعت أسوة العصمة فى قوته العاملة. و هذه هى الصديقية التى فرار الشيطان من ظله نتيجة منها. والفرق أن استعداد نفسه نائم ما لم يوقظه النبى و يكون استعداد نفسه بالقوة ما لم يؤيده النبى. و هذا إجمال يطول شرحه.

و لاتوهب هذه المنزلة العالية الا لمن لازم النبى زمانا، و قضى فى ظله سنوات طويلة، و تقلب معه فى السراء و الضراء، و انقلبت حاله معه ظهرا لبطن و تمكّن في قلبه الحب العظيم للنبى كما جاء فى الحديث:

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه و ماله و ولده و الماء الزلال للعطشان (البخارى).

و يكون سبق غيره فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه و ماله، و بلغ مرتبة التحقيق فى التسنن بسنته فى تحمل أعباء الجهاد، و ظل شريكه فى الشدائد و المكاره كأنه ابتلى بهذه الحوادث أصالة، و تجاوز مرتبة أصحاب اليمين فى تهذيب النفس إلى مرتبة السابقين الأولّين، ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم جرّبه فى تمكّن الأعمال المنجية فى جوهر نفسه و الترفع عن الاعمال الخسيسة والاخلاق الرذيلة، و بشّره مرارا بالجنة و الفوز بالدرجات، و أخبر بأحواله السنية و مقاماته العالية، و نوّه بشرفه و عظمته و استحقاقه للخلافة قولا و فعلا. فهذا هو الشخص الذى يقدر أن يحمل فى جوهر نفسه الداعية القوية النازلة من فوق السماوات السبع و المتلونة بألوان الملأ الأعلى و يقوم بإجراء دين النبى و إنجاز موعوده. و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء."
(نكتة بخاتمة الفصل الثالث ج١ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

خلافة الأنبياء ظاهرة و باطنة

و يفصل فى كتابه " التفهيمات الالهية " مقاصد دعوة الأنبياء بأنها تشمل ثلاثة أمور : تصحيح العقائد و تصحيح العمل و تصحيح الاخلاص و الإحسان ، ثم يقسم خلافتهم الى نوعين: خلافة ظاهرة يحمل أعباءها العادلون من ملوك الإسلام ، و خلافة باطنة ينهض بها علماء الأمّة ، و يقول :

" ولما كان رضاء الحق أن يسعى علماء الأمة فى بقاء النور المأخوذ من الأنبياء صلوات الله عليهم و إشاعته و حمل الناس على الاهتداء به ، كما قال :

فَلَوْلا نَفَر مِن كُل فِرقَةٍ مِنهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدينِ وَ لِيُنذِرُوا قَومَهم اِذَا رَجَعُوا اِليهِم لَعَلهُمْ يَحذَرُونَ (التوبة : ١٢٢)

و قال:

ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون (آل عمران : ٧٩)

توارثوا نصب الخلفاء و بعث الدعاة عصرا بعد عصر ، و طبقة بعد طبقة لتكون كلمة الله هى العليا و ليتحقق على أيديهم ما وعد الله فى محكم كتابه حيث قال : و انا له لحافظون .

و الخلافة ظاهرة و باطنة. فالخلافة الظاهرة إقامة الجهاد و القضاء والحدود و جباية العشور والخراج و قسمتها على مستحقيها و قد حمل أعباءها العادلون من ملوك الاسلام .

و الخلافة الباطنة تعليم الكتاب والحكمة و تزكيتهم

بالنور الباطن بقوارع الوعظ وجواذب الصحبة، كما قال عز من قائل :
لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤْمِنِينَ اذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولا مِن أنفُسِهِم يَتلُو عَلَيهِم آياته وَ يُزَكِيهِم وَ يُعلِّمُهُم الكِتَابَ وَ الحِكمَةَ وَ ان كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِين (آل عمران : ١٦٤)
و فيهم قال النبى صلى الله عليه وسلم " العلماء ورثة الانبياء" و قال "فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم"
و لايكون الخليفة الامن جمع المقاصد الثلاثة التى ذكرناها ، وحفظ الكتاب و السنة ، و تدرب فى قوانين السلوك و تربية السالكين .
و اما الدعاة فلا يشترط فيهم الا العدالة و السمت الصالح والوفاء بشرط الخليفة الباعث فيما ائتمنه على تبليغه. وقد جرت السنة عن النبى صلى الله عليه بكل ذلك كما فصلنا ذلك فى موضعه هذا. (التفهيمات الالهية ج١ ص١٣ - ١٤)

وجوه أفضلية الخلفاء الراشدين بعضهم على بعض
رضى الله عنهم

ذكر الشاه ولى الله الدهلوى فى أبواب عديدة من الفصل الثانى لوازم الخلافة الخاصة بالتفصيل مقرونة بأدلتها من القران الكريم والسنة و الآثار، و قرر بأدلة كثيرة و وجوه عديدة انه يجب ان يكون الخليفة في الخلافة الخاصة أفضل الأمة فى أيام خلافته، اذ لاتليق رياسة الخواص (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) الا بمن هو اخصهم و أفضلهم لانها خلافة

خاصة و تقاس بالنبوة و يجب ان تتكافأ فيها الخلافة الظاهرة الخلافة الحقيقية. و لأن استخلاف المفضول خيانة. و كذلك ناقش مدار الأفضلية، و ذكر وجوه أفضلية الخلفاء الراشدين بعضهم على بعض رضى الله عنهم بقوله:

"فاذا تأملنا هذه الامور و رجعنا هذه الصفات المُفَضِّلَة الى كلياتها و رجعنا المقدمات الى مقاصدها ندرك ان مدار أفضليّة الخلفاء (الراشدين) رضى الله عنهم بعضهم على بعض، تشبّههم بالأنبياء فيما لهم بحسب نبوتهم او نقول بحسب قوة اتصافهم بالخصال التى شرحناها فى مبحث الخلافة الخاصة. أيا ما شئت فقل.

ثم ان مقدمات إقامة الخلافة الخاصة و مكمّلاتها كثيرة. و المقصود إنجاز مقاصد الخلافة لا الطرق الموصلة اليها. و اذا حصلت المقاصد، فلا ينبغى الاشتغال بمناقشة المقدمات و المكمّلات. و ذلك مثل عدوّ يجب قتله حتى ينجو الخلق من شرّه العام. فقام شاب و أنجز عليه بأى شكل استطاعه. فقال أحمق: لو كان قتله بالسيف لكان أدلّ على شجاعته من القتل بالرمح، أو أن يقول: لو ان خشب الرمح من شجرة كذا لكان أحسن.فهذا كله سفه و حمق!

(١) فأقوى وجوه الأفضلية كمال التمكين فى الأرض و ظهورالدين المرضىّ على يدى الخليفة لانه أصل الأصول و مدار المسائل الخاصة بالخلافة العامة و الخاصة كلتيهما. و هذه الفضيلة فى الخلفاء الثلاثة أظهر.

(٢) و من أقوى وجوه أفضلية الخلفاء نصّ الشريعة على استخلافهم. و هذا المعنى فى المشايخ الثلاثة أظهر حيث ورد ذكر المشايخ الثلاثة فقط في أكثر أحاديث الخلافة.

(٣) و من أقوى وجوه الأفضلية إتمام المواعيد الربانية التى وُعِدَها الرسول صلى الله عليه وسلم. و ذلك لأن حكمة الله اقتضت أن ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الاعلى قبل أن يتم بعض الأعمال التى كان وَعَدَها إياه. فتمّت و نفذت على أيدى خلفائه. فهى أعمالهم فى الظاهر لأنهم أنجزوها، و لكنها فى الحقيقة أعماله عليه الصلاة و السلام لانه هو السبب فى نفاذها. و كانت أيام الخلافة فى الحقيقة تتمّة ايام النبوة إلا أن الوحى لم ينزل فيها من السماء.

(٤) و من أقوى وجوه الأفضلية نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى تحمل أعباء النبوة و أداء الأمانة مخاصمة و جهادا و إنفاقا. قال الله تعالى:

لَا يَستَوِى مِنكُم مَن أَنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وَ قَاتَلَ ، اولئِكَ اَعظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ اَنفَقُوا مِن بَعدُ وقَاتَلُوا وكُلاً وَّعَدَ اللهُ الحُسنَى وَ اللهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِير (الحديد: ١٠).

والظاهر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وحده. ولما أراد الله تعالى ظهور أمره ألهم اذكياء زمانه أن يقوموا بنصره و تأييده. و النصرة الربانية التى تشرف بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الحال شملت حالهم ايضا.

و وجود هذا الوجه فى الشيخين خاصة قبل الهجرة أظهر.

(٥) و من أقوى وجوه الأفضلية التشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى تأليف قلوب الناس على الاسلام. واتصاف الشيخين بهذه الصفة أظهر.

(٦) و من أقوى وجوه الأفضلية التوسط بين النبى صلى الله

عليه وسلم و بين الأمة فى نشر علوم القران و السنة. و هذا المعنى فى الشيخين أظهر.

(٧) و من أقوى وجوه الافضلية جهاد الكفار من العرب و العجم. و وجود هذه الصفة فى المشايخ الثلاثة أظهر." (الباب السابع من الفصل الثانى- المجلد الأول - ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء).

كان كل من الخلفاء الراشدين أفضل الأمة فى زمان خلافته

ثم قرر بأدلة كثيرة من القرآن الكريم و السنة والآثار المروية من السلف الصالحين ان كلا من الخلفاء الراشدين الأربعة كان أفضل الأمة فى زمان خلافته و لخّصها بقوله:

"(١) حديث ابن عمر رضى الله عنهما كنا نخير فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول: أبوبكر خير هذه الأمة، ثم عمر ثم عثمان.

(٢) و حديث على المرتضى رضى الله عنه: هذان سيدا كهول أهل الجنة.

(٣) و الحديث الذى رواه ابو بكرة الثقفى و عرفجة و غيرهما فى وزن المشايخ الثلاثة و ظهور رجحان ابى بكر الصديق رضى الله عنه.

(٤) ما تواتر عن عمر الفاروق رضى الله عنه أن أبابكر أفضل الأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم.

(٥) قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه: أقول اللّهم انى استخلفت عليهم خير خلقك.

(٦) قول عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الذى قاله عند ما عقدت

بيعة الخلافة لعثمان ذى النورين رضى الله عنه: و الله عليه ان لا يألو عن أفضلهم فى نفسه.

(٧) وقول على المرتضى رضى الله عنه الذى قاله على منبر الكوفة: خير هذه الأمة ابوبكر ثم عمر.

(٨) بناء على هذه الاجماعيات قال سفيان الثورى رحمه الله: من زعم أن عليًا كان أحق بالولاية منهما فقد خطأ أبابكر و عمر و المهاجرين و الأنصار، و ما أراه يرتفع مع هذا له عمل إلى السماء.

(٩) قال الإمام الشافعى رحمه الله: اضطرّ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أبى بكر فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فولّوه رقابهم.

(١٠) و روى عن عدد من الصحابة و التابعين رضى الله عنهم قولهم: ان قتال المرتدين الذى نهض به أبوبكر الصديق رضى الله عنه كان من أعمال الأنبياء." (الباب الحادى عشر بخاتمة الفصل الرابع - المجلد الأوّل من ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

إثبات خلافة الخلفاء الراشدين أصل من أصول الإسلام

و ذكر اهمية اثبات الخلافة الراشدة للخلفاء الراشدين رضى الله عنهم بقوله:

"اما بعد فيقول العبد الفقير الحقير ولي الله عفا الله عنه أن بدعة التشيع قد ظهرت و فشت فى هذا الزمان، و تأثرت قلوب العامة فى هذه البلاد بالشبهات و الشكوك التى تثيرها الشيعة، و صار أكثرهم يشكّون فى صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين. و

قد شرح الله صدر هذا العبد الضعيف بعلمه و نوّره بنور توفيقه حتي عرف بعلم اليقين أن إثبات خلافة هؤلاء الأعلام أصل من اصول الدين و لايستقيم أى مسئلة من مسائل الشريعة ما لم يتمسكوا بهذا الأصل. و ذلك لأن أكثر الأحكام الشرعية التى ذكرت فى القران الكريم وردت بطريق الإجمال. و لايمكن بسطها و معرفة تفصيلاتها دون النظر فى تفسير السلف الصالحين لها و معرفة آثارهم. و كذلك حال اكثر الأحاديث المروية بأخبار الأحاد فى بيانها و تفصيلها. فهى تحتاج الى معرفة آثار السلف الصالحين و رواياتهم و معرفة استنباط المجتهدين منها. و كذلك لايصحّ الجمع و التوفيق بين الأحاديث المتعارضة بغير الاستفادة من جهودهم.و قس على ذلك جميع العلوم و الفنون الشرعية من علم القراءة و التفسير والعقائد والسلوك و غيره. فكلها لاتستقيم بدون معرفة آثار هؤلاء العظماء فيها و النظر فيها.

و كان الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم قدوة السلف الصالحين فى هذه الأمور كلها. فكانوا يقتدون بهم و يتمسّكون بآثارهم فى جمع القران الكريم و معرفة القراءات المتواترة من الشاذة و الأقضية و الحدود و الأحكام الفقهية و غيرها التى جلّ اعتمادها على سعى الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم و تحقيقهم.

فمن أراد هدم هذا الأصل فقد سعى فى هدم هذه العلوم الشرعية كلها" (مقدمة إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء).

خـــيـر الـقـرون

ناقش الامام الشاه ولى الله الدهلوى فى الفصل الخامس من كتابه " إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" صفات الكمال و أسباب القوة و المثل العليا التى اتصف بها المجتمع الاسلامى المثالى فى عصر النبوة و عصر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، ثم حدّد الزمان الذى بدأ فيه انحطاطه و ذكر الأسباب الدينية و العلمية و الاجتماعية و السياسية التى أدت اليه بأسلوب شامل استوعب اصول هذا البحث و احاط بفروعه، و اشتمل على فوائد شتى و نكات علمية مفيدة كشفت عن المعانى الدقيقة و الأسرار الخفية التى اشتملت عليها الآحاديث و الآثار الواردة فى هذه المدة التى تبتدئ بشهادة الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه.

و قد امتد هذا الفصل فى صفحات تزيد على مئة و لا يسعنى الا الاكتفاء بذكر خلاصته .

كان مجتمع المسلمين الأولين الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعا مثاليا شهد من حسن سيرة الراعى و الرعية ما لايلفى له نظير فى حب الله سبحانه و تعالى و طاعته و حب الرسول صلى الله عليه وسلم و اتباعه و الاقتداء بأسوته الحسنة و السعى لنصرة الدين و نشر دعوة الاسلام، و حسن السمع و الطاعة من الرعية الى جانب حسن الحكم و الادارة من الراعى ، و أمانة عمال الدولة ونزاهتهم و صلاح قوادها و شجاعتهم . فهؤلاء السابقون الأولون صدقوا الله عهدهم فصدقهم وعده. فواصلوا الجهاد منذ بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أتموا الأعمال التى كان أمر بها، و نهجوا منهجه فى الدعوة الى الله و اقتدوا به فى

سياسة الأمة و اتبعوا سنته في السلم و الحرب. و تمت على أيديهم المواعيد الربانية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم بشر بها أمته. فتوالت الفتوح و اتسعت رقعة الدولة ، و امتدت حدودها شرقا و غربا و شمالا و انتشر الاسلام في أطراف الأرض و دخل فيه شعوب و أمم كثيرة . و شهدت الدولة من الأمن و الاستقرار و العدل و الاستقامة ما لامثال له في أي مجتمع آخر من المجتمعات البشرية و استحكمت قواعد الدولة في البلاد المفتوحة.

يرى الامام الشاه ولي الله الدهلوي أن المجتمع الاسلامي ظل محافظا على صفاته الكاملة و المثل العليا و متمتعا ببركاتها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم و عصر خلفائه الثلاثة ابي بكر الصديق و عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضي الله عنهم . ثم انتهت صفته هذه و تناقصت حسناته وانقطعت الخلافة الخاصة الكاملة المنتظمة باستشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه و انقطعت بركات أيام النبوة و ابتدأ عصر الفتن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم أنذرها أمته و تتابعت الفتن و النزاعات الداخلية بين المسلمين الى أن صارت الخلافة ملكا بعد سيدنا علي رضي الله عنه .

في ضوء هذه الدراسة يرى الامام الشاه ولي الله أن شهادة سيدنا عثمان رضي الله عنه هي الحد الفاصل بين قرون الخير و بين زمان الفتنة ، و أن المراد من خير القرون التي ذكرت في الحديث المشهور الذي رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم هي المدّة التي قبل شهادته ، كما يقول :

" الأحاديث التي جاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم : خير

الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم ينشأ قوم تسبق أيمانهم شهادتهم و شهادتهم أيمانهم ، برواية جماعة عظيمة منهم عمر و ابن مسعود و عمران و حذيفة و غيرهم رضى الله عنهم.

فالمراد من القرن الاول: عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهجرة حتى وفاته والقرن الثانى : عصر الشيخين، والقرن الثالث: عصر خلافة ذى النورين رضى الله عنه. و بعد ذلك ظهر الاختلاف وقامت الفتن .

و تفصيل هذا الإجمال أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا ذكر الفتنة التى ظهرت بعد مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه فى الاحاديث التى جاءت بطرق كثيرة و بلغت التواتر ، كما سيأتى قريبا ، ذكر المدّة التى قبلها بخصال حميدة عديدة و ذكر المدّة التى بعدها بخصال ذميمة. و إذا لاحظنا جميع هذه الروايات التى هى مختلفة فى أساليب البيان و لكنها متّحدة فى معناها ، يغلب الظنّ ان المراد من القرون الثلاثة تفصيل تلك المدّة .

و أمّا تقسيم تلك المدّة الى قرون ثلاثة و مدح هذه القرون ، فيرجع إلى صفات الكمال التى اتصف بها مدبّرو الدولة الإسلامية و القائمون بأمرها فى تلك المدّة و شيوع أعمال الخير و ظهور الدولة الاسلامية و إنجاز المواعيد الرّبانيّة بتمكين دين الحق و إظهاره فيها.

كذلك الاحاديث التى تدل على أن الملة الإسلامية ستستمر فى الظهور و النموّ و الازدياد ثم تعود إلى التناقص كما جاء فى حديث علقمة بن كرز و كذلك الحديث يكون ثنيًا ثمّ رباعيا ثم سديسا ثم بازلا، الى غير ذلك . و هكذا كان الواقع و المشاهدة أن الاسلام لم يزل يزيد حتى زمان خلافة عثمان رضى الله عنه ثم بدأ فى النقصان . فعلم بذلك ان خلافتهم هى الخلافة الراشدة التى بشّرت بها الأمّة .

خلافة الشيخين

رضى الله عنهما

و يقول عن خلافة الشخين ابى بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضى الله عنهما:

" ورد فى أحاديث عديدة ان عمر رضى الله عنه غلق باب الفتنة. و منها حديث حذيفة : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين. و قد ذكرناه مرارا. (و لم نعتبر وفاة سيدنا ابى بكر الصديق رضى الله عنه التغير الثانى) لتقارب سيرة الشيخين. فان مناقبهما متلاحقة و سوابقهما متعانقة و كذلك تتشابه الغزوات التى وقعت فى ايامهما. فان ابابكر الصديق رضى الله عنه وضع اللبنة الاولى و أتمها عمر رضى الله عنه، و كان المسلمون فى زمانهم متآلفين رحماء بينهم و أشداء على الكفار و متفقين على الجهاد . و لم يقع بينهم اى خلاف. كانت الرعية و الجنود يحبون الخليفة اكثر من انفسهم ،

وكان الخليفة أرحم بهم من والد أحدهم ، و كان أمراء الأمصار و رؤساء الجيوش من المهاجرين الاولين والانصار السابقين. فقد اخرج الترمذى فى كتاب الشمائل عن عتبة بن غزوان فى حديث طويل اخره قال عتبة بن غزوان : لقد رأيتنى و انى لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا. فالتقطت بردة فقسمتها بينى و بين سعد . فما منا من اولائك السبعة الا و هو امير مصر من الامصار و ستجربون الامراء بعدنا .

و كان هذان العظيمان فى العهد النبوى الشريف وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم و مشيريه فكان يأخذ برأيهما فى الأمور العظيمة و التدابير المهمة من شؤون الدولة . ثم كان عمر الفاروق رضى الله عنه فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وزيره و مشيره وناصر خلافته و معينه و ظهيره . و لما اسندت الخلافة اليه قام بخدمات جليلة و أيد الدين بوجوه كثيرة لم تقدر لاحد بعده .

نظرا الى تقاربهما فى السوابق و السيرة و تحمل أعباء المشورة فى امور الملك و شؤون الملة و لما كان قدّر لهما من الفتوح و نشر الدين جمعهما النبى صلى الله عليه وسلم فى احاديث كثيرة مثل توأمين و مثل فرقدين . "

خلافة عثمان بن عفان
رضى الله عنه

و يقول عن خلافة ذى النورين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه :

"و التغير الثالث هو قتل عثمان رضى الله عنه ، و ما ترتب عليه من الآثار و المفاسد . و هو اعظم التغيرات. و قد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حدا يفصل بين زمان الخير و زمان الشر. و هو مطمح اشاراته فى كثير من احاديثه التى تبلغ بجملتها حد التواتر انه بذلك ستنقضى ايام الخلافة الخاصة. و كذلك نص على ذلك فى احاديث كثيرة . و لذلك جمع ذكر الخلفاء الثلاثة فى أحاديث عديدة كما مر فى المقصد الأول .

و اذا نظرت بعين البصيرة تجد أنه كلما ورد ذكر الخلافة الخاصة المنتظمة بالفعل جمع ذكر الخلفاء الثلاثة معا. و حيث ذكرت الخلافة الخاصة بشمول نبينا صلى الله عليه وسلم و اشتراكه فى الامور العظيمة او بعده اكتفى بذكر الشيخين فقط . فبقتل سيدنا عثمان ذى النورين رضى الله عنه انقضت القرون الثلاثة المشهود لها بالخير . و كان القرن الثالث هوخلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه التى تقارب اثنتى عشرة سنة .

و كانت سيرة سيدنا ذى النورين رضى الله عنه تغاير

سيرة الشيخين . فقد كان يتنزل من العزيمة الى الرخصة احيانا. و كذلك لم يكن أمراؤه بمنزلة أمراء الشيخين رضى الله عنهم اجمعين . و لم يكن انقياد الرعية له مثل انقيادهم لابى بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما، ولم تكن الخشونة تحولت من القوة الى الفعل و لم تجاوز القلب و اللسان الى اليد و السلاح الا عند إتمام هذا القرن الثالث. وهذا أمر لايتنازع فيه إلا مكابر. " [٩]

خلافة سيدنا على

رضى الله عنه

و يقول عن خلافة سيدنا على رضى الله عنه :
" كان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر فى الاحاديث المتواترة بالمعنى أن سيدنا عثمان رضى الله عنه سيقتل، و أنه ستقوم عند قتله فتنة عظيمة تغير أوضاع الناس وأحوالهم و يكون شرها مستطيرا و بلاؤها عظيما. و كذلك وصف الزمان الذى قبلها بخلال مدح و ذكر ما بعدها بخلال سوء ، و استقصى فى وصف هذه الفتنة وشرح احوالها شرحا بالغا لم يترك لاحد مجالا للشك فى انطباق الموصوف على الصفة التى وقعت . و كان اخبر ان انتظام الخلافة الخاصة سينتهى بظهورها و تختفى بقية بركات ايام النبوة . و كان صلى الله عليه وسلم شرح ذلك شرحا بالغا كشف النقاب عن الحقيقة و قامت حجة الله على ثبوتها.

و كان تحقق هذا الخبر في الخارج بأن سيدنا عليا رضى الله عنه مع رسوخ قدمه في السوابق الاسلامية ، و على الرغم من اتصافه بصفات الخلافة الخاصة و انعقاد البيعة له و وجوب انقياد الرعية له في احكام الله تعالى، لم يتيسر له التمكن في الخلافة و لم ينفذ أمره في الاقطار و لم يخضع المسلمون كلهم لأمره في الأرض . و توقف الجهاد في عصره توقفا تاما ، و تفرقت كلمة المسلمين و صار بأسهم بينهم و اضطرب حبلهم حتى حاربه اناس حروبا عظيمة، و منعوا يده من التصرف في البلاد و بدأت رقعة حكمه تتقلص يوما بعد يوم ، و خاصة بعد قصة التحكيم حتى لم يصفُ له في آخر الامر الا الكوفة و ما جاورها.

و ان كانت هذه المساوئ لم تؤثر في المحامد و الصفات الشخصية الكاملة التي اتصف بها سيدنا علي رضى الله عنه لكن مقاصد الخلافة لم تتحقق على وجهها .

و لما حصل بعده التمكن لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، اجتمع شمل المسلمين و زالت فرقتهم و اتحدت كلمتهم لكنه لم يكن متصفا بالسوابق الاسلامية و لا جامعا للوازم الخلافة الخاصة . وكان من جاء بعده من الملوك أبعد عن مركز الحق كما لايخفى . و هكذا تحقق ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطاع الخلافة الخاصة المنتظمة النافذة ."

و قد زاد ذلك شرحا فى محل آخر، و أشار الى أن الحكمة الربانية اقتضت أن لاتفاجأ الأمة بحرمانها من بركات الخلافة و أنوار السيرة المحمدية دفعة واحدة، فتم ذلك بالتدريج و على مراحل حتى تستعد الأمة لمواجهة الأوضاع و المشكلات الجديدة استعدادا مناسبا كما أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدد كبير من أحاديثه الخاصة بزمان الفتنة و أحكامه. يقول :

" اما ما ورد فى حديث ابى بكرة الثقفى قوله صلى الله عليه و سلم: الخلافة بعدى ثلاثون سنة، فينبغى فهم حقيقة معناه. الخلافة الخاصة مركبة من وصفين اثنين. الوصف الاول: وجود خليفة خاص «راشد»، والوصف الثانى : نفاذ تصرفه و اجتماع كلمة أهل الاسلام عليه. و ينتفى هذا المجموع بانتفاء أحد هذين الوصفين او انتفاءهما معا. و الحكمة الالهيّة تقتضى التدريج بين كلّ ضدّين. فانتفى هذا المجموع فى الحالة الاولى بعد الخلفاء الثلاثة ، بانعدام الوصف الثانى و هو اجتماع كلمة المسلمين و انتظام الملك . كان سيدنا علي المرتضى رضى الله عنه متصفا بصفات الخلافة الخاصة و انعقدت خلافته شرعا، و لكن حدثت الفرقة بين المسلمين فلم ينفذ تصرفه فى أطراف الارض. مثال ذلك كملك عادل بعث مدرسا ليقوم بالتدريس فى مدرسة و أمر الطلاب بالتعلم منه. و لكنهم لم يتمكنوا من التعلم منه بناء على وجوه عديدة تكون بعضها بارادتهم و اختيارهم و أخرى خارجة من ارادتهم . فلم تتحقق صورة الاستفادة منه عمليا. فيجوز فى هذه الحالة ان نقول: يوجد بهذه المدرسة مدرّس، و لكن الناس لم يجتمعوا اليه و لم يستفيدوا منه علما، كما يجوز ان نقول: لا يوجد بها مدرس أى مدرس يقوم بمهام التدريس عمليا.

فقد وجد فى هذه الحالة خليفة خاص (راشد) متصف بصفات الخلافة الكاملة و لكن لم توجد خلافته عمليا و لم تستقر. و بعده اتحدت كلمة المسلمين و زالت الفرقة من بينهم و لكن لم يوجد خليفة جامع للأوصاف المعتبرة فى الخليفة الخاص ، و هذا الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: هدنة على دخن .
ثم فى الفتنة الثانية انعدم الوصفان معا، فلم يوجد الاتصاف بصفات الخلافة الخاصة و لا اجتمعت كلمة المسلمين. بل تفرقوا شذر مذر و ادعى كل منهم الخلافة لنفسه و أعدّ الجهود المجندة. و الى هؤلاء أشار بقوله: دعاة على أبواب جهنم.

ثم لمّا تسلط عبد الملك و استقرت له الأمور و زالت الفرقة، ظهرت أحكام الخلافة الجابرة التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم شرعها فى أحاديث عديدة. و هذا أمر مقطوع به عند من يحفظ جملة صالحة من الأحاديث و لديه قدرة على التوفيق بينها فيضعها مواضعها. و اما من لم يحظ بملكة تمكنه من استنباط الأحكام من الاحاديث المتفرقة فليجتنب الدخول فى معارك الاستنباط.

و اما الذى يتجاهل الدلائل الواضحة و يتعامى عن الآيات البينات و يعرف الأقوال بالرجال و لايعرف الرجال بالأقوال بسبب داء خفيّ فى نفسه فليس كلامنا معه و لانوجّه اليه خطابنا." (الفصل الخامس-ج١، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

ثم ذكر الأحاديث التى أخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

(١) مقتل عثمان ظلما و أنه سيكون على الحق .

(٢) و تعيين زمان هذه الفتنة

(٣) و تعيين الجهة التى تظهر فيها .

(٤) و ذكر صورتها و صفتها .

(٥) و ذكر الفئة التى تشيرها .

(٦) و وصف الخلفاء الذين تنتظم خلافتهم مع ذكر عددهم و أسماءهم و أن الخلافة ستنقضى بعدهم .

(٧) و الإخبار عن عدم اجتماع الأمة على سيدنا على رضى الله عنه.

(٨) و أمره بالقعود فى هذه الفتنة .

(٩) و ذكر اتصاف مجتمع المسلمين قبلها بخلال حميدة و ذكر ما بعدها بخلال ذميمة .

و لا يتسع هذا المقام لذكر هذه الآحاديث و الآثار و ما استنبطه منها فاكتفى بهذه الاشارة اليها.

أسباب انحطاط المجتمع الاسلامى
بعد عصر الخلافة الراشدة

ثم فصّل الأسباب الدينية و العلمية و الاجتماعية و السياسية التى أفضت بالمجتمع الاسلامى الى الانحطاط و الحرمان من بركات أيام النبوة و خلاصتها :

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : تزول رحى الاسلام لخمس و ثلاثين سنة ، فان يهلكوا فسبيل من قد هلك .

دوران رحى الاسلام عبارة عن وجود الجهاد و غلبة دين الحق على

سائر الأديان بايتلاف النفوس و اجتماع الجموع على الخير، والهلاك كلمة جامعة لجميع أنواع الشر و أصلها انقطاع الجهاد .و وقوع الفرقة بين المسلمين .

٢- حديث ابى هريرة: الخلافة بالمدينة و الملك بالشام .

و هذا دليل قاطع على تباين الحالتين و تغاير المنزلتين. وكذا كان الواقع، أقام الخلفاء الثلاثة بالمدينة و لم يقم بها بعدهم أى ملك .

٣- نزع الامانة من صدور الرجال .

٤- ظهور الكذب و خاصة فى بيان الأحاديث و آثار السلف ....

" و لهذا السبب كان ابو اسحاق السبيعى و أمثاله من علماء الكوفة الذين كانوا يبذلون جهدا بليغا فى حفظ احاديث سيدنا على المرتضى ، لا ياخذون الحديث عن جنود علىّ بل كانوا يأخذون عن اصحاب عبد الله بن مسعود . و لهذا السبب نفسه كان أهل المدينة لا يقبلون الحديث عن أهل العراق . قال مالك : لم يأخذ عنهم أولنا فلا يأخذ عنهم آخرنا . و كان هذا كله لعدم تيسر تمييز الرجال و ضبط أحوال الرواة على ما ينبغى قبل ان تجمع أحاديث الامصار فاتخذوا سبيل الاحتياط و تركوا تلك الأحاديث بالمرة و اكتفوا بأحاديث اهل المدينة و فتاويهم . و لما جاء الامام أحمد و الامام الشافعى جمعت أحاديث البلاد و تيسر البحث فى أحوال الرواة . فاخذوا احاديث الثقات الضابطين بشرط الاتصال و تسمية الرواة و تركوا الأحاديث المرسلة و روايات المتهمين و المبهمين . فانتهج جميع اهل الحديث هذا المنهج. و لهذا السبب نفسه تميز اهل الحديث و اهل الرأى . "

٥- مبالغة الناس فى تجويد القران وتجاوز الحد الجارى على ألسنة

العرب و الاكتفاء بالقراءة و عدم التفقه فيه .

٦- تعمق الناس فى البحث عن تاويل متشابه القرآن الكريم .

٧- تعمق الناس فى المسائل و الفروع الفقهية و الخوض فى الفروع المفروضة التى لم تقع و كان السابقون يكرهون الخوض فيها ، و كذلك إسراع الفقهاء فى اصدار الفتاوى و كان السابقون يهابون الفتيا هيبة شديدة .

٨- كثرة سؤال الناس عن الالهيات حتى يقولوا من خلق الله و تحقق ذلك فى زمان ابى هريرة .

٩- انتشار أخبار بنى اسرائيل فى المسلمين و روايتها عن اهل الكتاب. و هو اول علم غريب اختلط بعلوم الدين .

١٠- حرص الناس على زيادة الأوراد و الأحزاب على السنة الماثورة تقربا الى الله عز و جل، و التزام المستحبات مثل التزام الواجبات و الاهتمام بدعوة الناس الى التزامها .

١١- كان أمر الوعظ و الفتوى موكولا الى رأى الخليفة فلم يكونوا يعظون و لايفتون إلا بأمره ثم صاروا يعظون و يفتون دون أمره، و لكن كانت الفتوى توكل الى رأى الصالحين .. ..

و التحقيق فى ذلك انه لم يقع اختلاف فى المسائل الفقهية حتى زمان عثمان رضى الله عنه . و عند الاختلاف كانوا يرجعون الى الخليفة الذى كان يستشير ثم يختار امرا فيصير مجمعا عليه . و بعد الفتنة صار كل عالم يفتى بنفسه فوقع الاختلاف فى هذا العصر. و اما قول الشهرستانى فى الملل و النحل ان الاختلاف وقع بمحض وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فخطأ . فانه ليس من الاختلاف ظهور الأقوال المتغايرة فى أثناء المشاورة ثم يصيرون الى

امر بعد التنقيح و يجمعون عليه . بل الاختلاف ان يستقر أمران مختلفان و يحاول كل منهما الجذب اليه و يهدم الوضع المخالف .

١٢- وقوع القتال بين المسلمين واشتداده . و هو أوضح من أن يوضّح .

١٣- شيوع سب السلف الصالح . والظاهر أن اهل الشام ابتلوا بسب سيدنا على المرتضى بعد مقتل عثمان رضى الله عنهما . ذكر فى المستدرك أن سب الشيخين ظهر فى جند سيدنا على الذى كان أخرج نفرا من جنوده بسبب هذه الجريمة . و هكذا شاع سب سيدنا عثمان رضى الله عنه فى الناس.

١٤- افتراق المسلمين .

١٥- ظهور الخوارج	وهذه الفرق الاربع الباطلة هى
١٦- ظهور القدرية	منشأ سائر الفرق و المذاهب
١٧- ظهور المرجئة	الباطلة كما تنشأ الأمراض المختلفة
١٨- ظهور الروافض	من الأخلاط الأربعة .

١٩- استحلال المحرمات بالتاويل مثل استحلال الفروج بتاويل المتعة و استحلال الخمور بتاويل كونها نبيذا وكما استحلت المعازف فى هذا العصر.

٢٠- زوال الأمن من مجتمع المسلمين بأن يكون أحد قتل والد مسلم آخر، و غيره قتل أخاه فيختفى بعضهم عن بعض إلى حدّ لايقدرون على الصلاة فى المسجد .

٢١- أن يتولى الخلافة من ليس أهلا لها أو هو مفضول بالنسبة لمن يستحقها .

٢٢- حدوث تهاون شديد فى اقامة اركان الاسلام . .. .

و قد دل التاريخ على انه لم يستطع اى خليفة بعد عثمان رضى

الله عنه ان يتولى اقامة الحج بنفسه و لكنهم كانوا يرسلون نوابهم . و لم يستطع على رضى الله عنه ان يقيم الحج بنفسه وحتى لم يستطع ارسال نوابه ايضا فى بعض السنين كما هو مذكور فى المستدرك . و كان معاوية بن أبى سفيان عين ابان بن عثمان امير الحج زمان خلافته بينما كان الخلفاء السابقون يقيمون الحج بانفسهم الا لعذر . و كان اقامة الحج من مهام الخلافة و خواص الخليفة ، مثلها مثل الجلوس على العرش و وضع التاج على الرأس و الاقامة بقصر الملوك السابقين عند الأكاسرة والقياصرة ، اذ هى من علامات الملك عندهم ... ...

٢٣- اختيار الغلو والتشدد فى العبادات وعدم الرضا بالرخص الشرعية ..

. . ..

ويستفاد من هذه الآثار (التى ذكرها) ان التقاط الرخص من المذاهب الأربعة ما لم يعارضه نص القرآن و الحديث الصحيح و اجماع السلف والقياس الجلى أمر مستحسن خلافا للفقهاء المتأخرين بل نسبه بعضهم الى الفسق.

٢٤- حدوث فتنتين: فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه و ما اسفرت عنه والثانية ما حدث بعد وفاة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه.

٢٥- انقضاء المنهج النبوى لسياسة الأمة و تربيتها والذى بقى مستقرا حتى آخر عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه .

٢٦- حدوث فتن عديدة .

٢٧- حديث معاذ بن جبل : عمران بيت المقدس خراب يثرب الخ

و المراد من بيت المقدس هنا اقليم الشام لانه افضل بقاعها و أقدمها.

٢٨- حديث أبى عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه بدأ هذا الامر نبوّة و رحمة ثم كائن خلافة و رحمة ثم كائن ملكا عضوضا، ثم كائن عتواً و جبرية و فسادا فى الامة يستحلّون الحرير و الخمور والفروج و الفساد فى الامة. ينصرون على ذلك و يرزقون أبدا حتى يلقوا الله .

٢٩- الحديث الذى رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا ، فقال :

"انه لم يكن نبى قبلى الا كان حقا عليه ان يدل امته على ما يعلمه خيرا له و ينذرهم ما يعلمه شراً لهم . و ان أمتكم جعلت عافيتها فى اولها و ان آخرهم يصيبهم بلاء و امور تنكرونها . ثم تجئ فتن يرقّق بعضها بعضا فيقول المؤمن: هذه مهلكتى ثم تنكشف. ثم تجئ فتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ، ثم تنكشف . فمن سرّه ان يزحزح عن النار و يدخل الجنة فلتدركه موتته و هو يؤمن بالله واليوم الاخر ، و ليأت الى الناس الذى يحبّ ان ياتوا اليه و من بايع اماما، فاعطاه صفقة يمينه و ثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع . فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر.

قال: فادخلت راسى بين الناس ، فقلت : أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : فاشار بيده إلى أذنيه فقال : سمعته أذناى و وعاه قلبى. "

٣٠- ما أخرجه البغوى من حديث قيس بن ابى حازم عن مرداس الاسلمى قال النبى صلى الله عليه وسلم: يذهب الصالحون الاول فالاول و يبقى حفالة كحفالة الشعير او التمر لايباليهم الله بالة. و مرّ تفسير هذا الحديث من قول سعيد بن المسيب .

و بهذا الاسلوب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء و امورا كثيرة يمكن الاطلاع عليها فى ابواب الفتن و تغير الناس و الابواب المتفرقة . و لكن نكتفى هنا بهذا القدر. فان الغرقة تنبئ عن الغدير والجفنة تحكى البيدر الكبير.

أحكام مخصوصة بزمان الفتنة

ثم ان الرسول الله صلى الله عليه وسلم وضع و بين أحكاما و مصالح مخصوصة بزمان الفتن التى تظهر فيها الشرور. و هى موجودة فى أحاديث كثيرة جداً أرشد فيها الأمة الى ما يجب عمله فى زمان كذا و صورة كذا نورد فيما يلى خلاصتها:

١) اذا تسلط على الخلافة من لايستحقها يجب طاعته فيما وافق الشرع لا فيما خالفه .

٢) و لايجوز الخروج عليه و لا قتاله إلا إذا ظهر منه كفر صريح.

٣) اذا انعقدت البيعة لشخص و استقر تسلطه ثم أراد غيره الخروج عليه و قتاله فالمناسب قتله و لو كان أفضل او مساويا له او مفضولا .

٤) اذا أخر الخلفاء الصلوات فى زمان الفتنة فماذا يفعلون؟ بين ذلك فى حديث ابى ذر رضى الله عنه الذى رواه مسلم و غبره.

٥) اذا تعدى أمراء زمان الفتنة فى أخذ الزكاة فالواجب إرضاءهم و الصبر على ظلمهم .

٦) منع التخلى للعبادة فى الزمان الأول ثم صار مطلوبا و محبوبا.

٧) جاز لمن كان بايع على الهجرة ان يتعرب فى زمان الفتنة .

٨) كان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من واجبات الاسلام و سقط

في ايام الفتنة .

٩) لايؤخذ من الفئ اذا تنازع قريش الملك .

١٠) كانت صحبة الخلفاء سعادة عظيمة فى الزمان الاول أما فى زمان الفتنة فوجب اجتناب صحبتهم .

١١) كان نفاذ قول الخليفة حجة فى السابق و انقطع هذا المعنى فى زمان الفتنة .

١٢) فى الزمان الأول وجب امتثال أمر الخليفة بالجهاد والقتال و حرّم التخلف عنه بينما فى الحالة الثانية نهى عن القتال و المشاركة فيه و حرّم نصرة المتنازعين .

١٣) مضاعفة الأجور لمن تمسك بالسنة فى زمان الفتنة .

١٤) الموت فى تلك الأيام خير من الحياة .

١٥) يكون قول كلمة حق عند سلطان جابر أفضل من الجهاد .

موقفه من فرقة الشيعة

شرح الامام المجدد الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله موقف الشريعة الاسلامية من فرقة الشيعة فى ضوء القران و السنة و آثار السلف الصالحين في مواضع عديدة فى كتابه إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء و غيره و شرح وضعهم و نوع اختلافهم بالتفصيل. و أكتفى هنا بنقل بعضها:

(١)"تنقسم أحكام الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة و السلام إلي نوعين:

النوع الأول: الأحكام التى كشفت الشريعة النقاب عن حقيقتها و بيّنها بيانا شافيا و تمّت حجة الله علي عباده بتكليفه إياهم بها. و هذا النوع من الأحكام مأخوذ من صريح القران الكريم و صريح السنة الصحيحة المشهورة أو إجماع الطبقة الأولي او القياس الجلى على الكتاب و السنة.

الحق أن مدار الشريعة الاسلامية على هذه الأحكام الصريحة، و علي أساس قبولها او ردّها يتوقف التسنّن او الابتداع.

و اذا ثبت حكم من الأحكام بهذا الوجه الذى يصدق عليه انه عندكم من الله فيه برهان، لايبقى أيّ مجال لمخالفته او ردّه. و من خالفه او ردّه متمسّكا بشبهات واهية لا يعذر، وكذلك لايعذر مقلّده ايضا.مثال ذلك الذين منعوا أبابكر الصديق رضي الله عنه الزكاة بعد ما استاثر الله بنبيّه صلى الله عليه وسلم. و تذاكر الصحابة رضى الله

عنهم فيهم و شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه لقتالهم، فعرفوا انه الحق و أخذوا به جميعا وقاتلوهم. و تعدّ القدرية والمرجئة و الخوارج و الروافض من هذا القبيل. وقد ورد فى الأحاديث الصحيحة ذمّ هذه الفرق الأربع.

النوع الثانى: من الأحكام هى التى لم يكشف النقاب عن حقيقتها و لم يثبت تكليف الناس بها بصراحة كافية، بل صار اختلاف الأدلة أو عدم شيوع الأحاديث الواردة فيها حجابا على معرفة حقيقتها، او لم يرد فيها دليل صريح فتفرقت الاستنباطات و الأقيسة.

فهذا النوع من الأحكام مجتهد فيه. ويرى جماعة أن كل مجتهد مصيب. و تقول طائفة: ان المصيب واحد والآخر معذور. والتحقيق عند هذا الفقير عفا الله عنه فيه تفصيل بانه اذا كان مجتهد وجد حديثا صحيحا من الآحاد و الاخر لم يجده فالذى وجده و أخذ به مصيب و الآخر معذور. و اما اذا كان منشأ الخلاف تعدّد طرق الجمع بين الدليلين او قياسا خفيا، فالمجتهدان كلاهما مصيب. و ذلك لان المقصود موافقة حكم الشارع و الخضوع لأمره. و كلاهما أراده بحسب ما أدّى اليه اجتهاده.

و الاختلاف بين مذاهب فقهاء أهل السنة من هذا النوع، و جميعها مقبولة.

و مرادنا فى هذا الفصل بل فى جميع هذه الفصول أن نبيّن أن ثبوت القرشية و السوابق الاسلامية و البشارة بالجنة و غيرها من الفضائل و الحسنات للخلفاء الراشدين رضى الله عنهم من النوع الأول.و

حجة الله قائمة بها علي منكريها، فهم غير معذورين عند الله سبحانه و تعالى بشبهاتهم الواهية. و الذين ينكرونها مبتدعون و مطرودون من جماعة المحمديّين على متبوعهم أفضل الصلوات و أيمن التحيات. لان بدعتهم هذه مُكَفِّرَة عند البعض و مُفَسِّقَةٌ أشدُّ الفِسقِ عند الآخرين.

و كذلك اشتراط القرشية و الخصال السبع المذكورة فى الخلافة الخاصة ثابت ثبوتا قطعيا بالآيات القرانية و الآحاديث الصحيحة و آثار الصحابة رضى الله عنهم." (خاتمة الفصل الرابع من المجلد الأول – ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

(٢) ويقول فى شرح تفسير الآية:

هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَ دِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ. (الفتح: ٢٨)

"اعلم ان الوجه الصحيح فى هذه الآية ان قوله تعالى لِيُظهِرَه يدخل فيه جميع انواع الظهور الذى يحصل لدين الاسلام و أعظمها تهزيم دولتى كسرى و قيصر، فتشمله بالأولى. و حملة لوائه السادة الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم. فكانت البعثة المحمدية تقتضى مساعيهم و تنطوى عليها. فكان الله تعالي اختارهم ليتمّ على أيديهم إنجاز مقصده و تحقيق تدبيره. وهذا هو معنى الخلافة الخاصة.

ثم المفهوم من معاني قوله تعالى هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَ دِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه أن يكون الهدى و دين الحق الذى أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا و غالبا، و لايكون مخفيا أو مستورا. فهذه الآية حَكَم بين أهل السنة و أهل البدعة. فالذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الهدى و دين الحق

بلّغه أصحابه الذين فهموا مراده و أدركوا مقصوده. ثم بلّغوه لمن بعدهم من قرن التابعين، ثم .... و ثم .... لأن المقصود من البعثة لم يكن مجرد تعليم النبى صلى الله عليه وسلم و لا أن يخرج من عهدة التبليغ و لو لم يفهمه السامعون. بل كان مراد الله تعالى ان يتم ظهور دين الحق قرنا بعد قرن.فالذى يقول: ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان بلّغ أصحابه دين الحق و لكنهم لم يدركوا مراده أو أدركوه و لكن الهوى حملهم على كتمانه، فهو مبتدع.

و كذلك المعتزلة و الشيعة الذين يقولون إن معني الحديث: إنّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم حصول علم اليقين، و لكن الصحابة لم يفهموا هذا المعني لغموضه، و كذلك الشيعة الذين يقولون: ان النبى صلى الله عليه وسلم كان نصّ على خلافة سيدنا على رضى الله عنه و لكن الصحابة كتموه اتباعا لهواهم و عصوا أمره، كلهم مبتدعون. لأن الله تعالى كان أراد أن يظهر دين الحق و لايقدر أحد على منع مراده تعالى."(الآية السابعة فى الفصل الثالث، المجلد الأول - ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

عقيدة الإمامة الشيعية
تنافى عقيدة ختم النبوة

(٣) و يذكر في الوصية الخامسة فى رسالة المقالة الوضيئة فى النصيحة و الوصية ان عقيدة الامامة عند الشيعة تنافى عقيدة ختم النبوة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله:

" وكنت سألت النبى صلى الله عليه وسلم سؤالا روحانيا عن الشيعة الذين يدعون حبّ اهل البيت و يسبون الصحابة رضى الله

عنهم اجمعين. فالقي الىّ بنوع من الكلام الروحاني ان مذهبهم باطل و يعرف بطلانه من كلمة الامام. و لما أفقت تدبرت كلمة الامام عندهم. و عرفت ان الامام عندهم هو المعصوم المفترض طاعته المنصوب للخلق، و كذلك يجوّزون له الوحى الباطنى. فالحقيقة انهم باعتقادهم هذا ينكرون ختم النبوة، و ان كانوا يقولون بألسنتهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان خاتم الانبياء."

(٤) و ناقش فى الفصل الخامس من المجلد الاول الفتن التى حدثت عقب انتهاء خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه. فذكر منها افتراق المسلمين و ظهور الفرق الاربع و هى الخوارج و القدرية و المرجئة و الروافض. و بعد ما ذكر ما ورد فيها من الأحاديث و الآثار، قال:

" و هذه الفرق الباطلة الأربع هي منشأ سائر الفرق و المذاهب الباطلة كما تنشأ الأمراض من الأخلاط الأربعة."(الفصل الخامس-المجلد الاول - ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)

نصائحه لأئمة المسلمين و عامتهم

لم يخض الامام الشاه ولى الله الدهلوى ميدان السياسة العملية بالمصطلح المعروف الآن ولم يدع إلى تنظيم جماعة دينية أو حزب سياسى أو اجتماعى . و لكنه كان مفكرا اجتماعيا واسع الاطلاع على علوم العمران والاجتماع والسياسة و محيطا بأصول هذه العلوم و فروعها و عالما بأسرارها و دقائقها كما تشهد المباحث الشاملة القيمة التى كتبها فى مؤلفاته العديدة مثل حجة الله البالغة و البدور البازغة والتفهيمات الالهية و إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء و غيرها. وكان كثير الاهتمام بشؤون المسلمين السياسية و الاجتماعية والدينية وكان يترقب الأخبار و يتفحص الأحداث و يتطلع إلى معرفة الحقائق و دراسة الأوضاع .

و اختار طريقة التدريس والتأليف و الارشاد لنشر دعوة الاسلام و بث الوعى الدينى والاجتماعى فى المسلمين على طبقاتهم من الملوك و الحكام والمحكومين و العلماء والمشايخ وغيرهم . كان يذكّر كل طائفة منهم بما عليها من المسؤوليات . وكان ينتهز الفرص و يتحيّن المناسبات ليوجّه إليهم نصائحه السديدة و آراءه الحكيمة و يبيّن لهم وجوه الخير ومناهج الرشد و يوضح لهم خطط الإصلاح و يحثّهم على إنجازها كما كان يبصّرهم أسباب الضعف و مواطن الوهن و يحذّرهم من الوقوع فيها

عرفه المسلمون حكيما بصيرا و مرشدا علامة صادق الفراسة بعيد الغور كأنّه ينظرُ إلى الغيب من ستر رقيق و يستلهم الملأ الأعلى

أخبارهم. وكان الله فجّر ينابيع الحكمة والمعرفة على لسانه . فكانوا يرجعون إليه في الملمات و النكبات و يستفيدون بآرائه في المعضلات.

و ننقل هنا أمثلة من نصائحه التي تتمثل البلاغة في كل فقرة من فقرها و تدل على جزالة أسلوبه و أصالة أفكاره و حرصه على التمسك بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما تدل على حرصه على إحياء شعائر الاسلام و الجهاد في سبيل الله و تنفيذ أحكام الشريعة في كل مجال من مجالات الحياة من العقائد و العبادات و الشؤون العائلية و التجارة و الاقتصاد و السياسة و الاجتماع و القوة العسكرية . انه يدعو المسلمين في هذه النصائح و العظات الى اتباع دين الاسلام الصحيح النقي من الرسوم الشركية والبدع و الخرافات و يحثهم على الأخذ بوسائل العلم الصحيح من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مباشرة و يحثهم على العمل المثمر .

(١) نصيحته لمشايخ الطرق الصوفية :

"فأقول لأولاد المشايخ المترسمين برسم آبائهم من غير استحقاق : يا أيها الناس مالكم تحزبتم أحزابا واتبع كل ذي رأي رأيه . و تركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة بالناس و لطفا بهم و هدى لهم . فانتصب كل واحد منكم إماما و دعا الناس إليه و زعم نفسه هاديا مهديا و هو ضال مضل . نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا و ليشوبوا أغراض الدنيا بتعلم علم إذ لاتحصل الدنيا إلا بالتشبه بأهل الهداية ، ولا بالذين يدعون إلى انفسهم ويأمرون بحبّ أنفسهم . هؤلاء قطّاع الطريق دجّالون كذابون مفتونون فتانون .

إياكم و إياهم!! و لاتتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله و سنة رسوله ولم يدع إلى نفسه . ولا نرضى باشاعة الاشارات الصوفية فى المجالس والمحافل . و انما المرضى الإحسان . أما لكم عبرة فى قول الله تبارك وتعالى : وأَنَّ هذَا صِرَاطِى مُستَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِه .

(٢) نصيحته للعلماء و الطلاب :

و أقول لطلبة العلم : أيها السفهاء المسمون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين و بالصرف والنحو و المعانى . و ظننتم أن هذا هو العلم . و انما العلم آية محكمة من كتاب الله ، أن تتعلموها بتفسير غريبها و سبب نزولها و تأويل معضلها ، أو سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفظوا كيف صلى النبى صلى الله عليه وسلم وكيف توضأ ؟ و كيف كان يذهب لحاجة وكيف يصوم كيف يحج ؟ و كيف يجاهد ؟ كيف كان كلامه و حفظه للسانه وكيف كان أخلاقه ؟ فاتبعوا هديه واعملوا بسنته على أنه هدى و سنة ، لا على أنه فرض ومكتوب عليكم، أو فريضة عادلة أن تتعلموا ما كان أركان الوضوء ؟ و ما أركان الصلاة ؟ وما نصاب الزكاة ؟ وما قدر الواجب ؟ وما سهام فرائض الميت ؟ امّا السير وما يرغب فى الآخرة من حكايات الصحابة والتابعين فهو فضل . أما تعرفون أن الحكم ما حكمه الله و رسوله .

و ربّ إنسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيّكم فلايعمل به و يقول إنما عملى على مذهب فلان لا على الحديث . ثم احتال

بأن فهم الحديث و القضاء به من شان الكُمَّل المَهَرة ، وإن أئمة لم يكونوا ممن يخفى عليهم هذا الحديث . فما تركوه إلا لوجه ظهر لهم فى الدين من نسخ أو مرجوحية .

اعلموا انه ليس هذا من الدين فى شئ . إن آمنتم بنبيّكم فاتّبعوه خالف مذهبا أو وافقه . كان مرضى الحق أن تشتغلوا بكتاب الله و سنة رسوله ابتداء . فان سهل عليكم الأخذ بهما فبها و نعمت ، و إن قصرت أفهامكم فاستعينوا برأى من مضى من العلماء ما ترونه أحق و أصرح و أوفق بالسنة ، و أن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة ، لا بأنها أمور مستقلة . أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الاسلام فى بلاد المسلمين . فلم تظهروا الشعائر و أمرتم الناس بالزوائد و استكثرتم فى أعينهم طلب الحق والدين . أما ترون البلاد العظام تخلو عن العلماء ، و ان كانوا ، فهم دون ظهور الشعائر .

(٣) و نصيحته للوعاظ و النساك :

و اقول للمتقشفين من الوعاظ و العباد والجالسين فى الخانقاهات: ايّها المتنسكون ركبتم كل صعب وذلول ، و أخذتم بكل رطب ويابس، و دعوتم الناس إلى الموضوعات و الأباطيل ، و عسّرتم على الخلق و إنما بعثتم ميسّرين لامعسّرين ، و تمسّكتم بكلام المغلوبين من العشاق. و كلام العشاق يطوى ولايروى . و استطبتم الوسواس و سميتموه الاحتياط . و كان مرضى الحق فيكم أن تفهموا الاحسان بجزئيه الاعتقادى والعملى ، فتحصلوه من غير ان تخلطوا به أحوال المغلوبين و إشارات المكاشفين . فادعوا الناس اليه

و حصلوه .

امّا تعلمون أن الرحمة كل الرحمة ، والهدى كل الهدى ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم . أ كان يفعل فعلكم هذا ؟ أم كان أصحابه يفعلون هذه الأفعال ؟

(٤) و نصيحته للملوك المسلمين :

و أقول للملوك : أيها الملوك المرضى عند الملأ الأعلى في هذا الزمان أن تسلّوا السيوف ثم لا تغمدوها حتى يجعل الله فرقانا بين المسلمين والمشركين ، و حتى يلحق مردة الكفار والفساق بضعفائهم لا يستطيعون لأنفسهم شيئا . وهو قوله تعالى : وَ قَاتِلُوهُم حَتّى لَا تَكُونَ فِتنَةٌ وَ يَكُونَ الدِينُ كُلُّهُ لِلّهِ .

فاذا ظهر الفرقان فرضاء الملأ الأعلى أن تنصبوا فى كل ناحية وفى كل مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة أيام أميرا عادلا يأخذ للمظلوم حقه من الظالم ، ويقيم الحدود ، و يجتهد أن لايحصل فيهم بغى و قتال و لاارتداد و لا كبيرة ، ويفشو الاسلام و يظهر شعائره و يأخذ بفرائضه كل أحد . و يكون لأمير كل بلد شوكة يقدر بها على إصلاح بلده و لايكون له شوكة يتمتع بسببها و يعصى على السلطان ، و ينصب فى كل إقليم كبير أميرا يقلده القتال فقط يكون جمعه اثناعشر الفا من المجاهدين لايخافون فى الله لومة لائم يقاتلون كل باغ و عاد .

فإذا كان ذلك ، فرضاء الملأ الأعلى أن يفتش حينئذ من

النظامات المنزلية والعقود ونحوهما حتى لايكون شئ إلا موافق الشرع حتى يأمن الناس من كل وجه .

(٥) و نصيحته للأمراء والأغنياء :

و أقول للأمراء : يا أيها الأمراء اما تخافون الله ؟ اشتغلتم باللذات الفانية الداثرة ، و تركتم الرعية تأكل بعضها بعضا . أما شربت الخمور جهرة و أنتم لاتنكرون ؟ أما بنيت منازل و دور للزنا وشرب الخمر و القمار و أنتم لاتغيّرون ؟ أما هى البلاد الكبيرة لم يضرب فيها حد منذ ستمائة سنة أو أكثر . من وجدتموه ضعيفا أكلتموه وَمن وجدتموه قويا تركتموه و عتوّه .

خاضت أفكاركم فى لذائذ الطعام و نواعم النساء و محاسن الثياب و الدور، وما رفعتم الى الله رأسا ، وما ذكرتموه إلا بألسنتكم فى حكاياتكم كأنكم تريدون باسم الله انقلاب الزمان . تقولون : الله قادر على كذا ، تعنون أن الزمان قد ينقلب كذلك.

(٦) و نصيحته للعسكريين :

و أقول للعسكرية : أيتها العسكرية أخرجكم الله للجهاد و لتظهروا كلمة الحق و تكبتوا الشرك و أهله . فتركتم ما أخرجكم لأجله . و اتخذتم رباط الخيل وحمل السلاح كسبا تستكثرون به أموالكم من غير نية الجهاد وقصده ، وشربتم الخمر والبنج ، وحلقتم اللحى و أعفيتم الشوارب . و ظلمتم الناس ولم تبالوا مما تاكلون . فوالله إلى الله سوف ترجعون، فينبئكم بما كنتم تعملون . كان مرضى الحق فيكم أن تتزيوا بزى الصالحين من الغزاة . أعفوا

اللحى و قصوا الشوارب و صلّوا الصلوات الخمس و اتقوا الله فى أموال الناس ، واصبروا فى الحرب والبأساء . و تعلّموا رخص الصلوات كالقصر والجمع وترك السنن ، والتيمّم ، فتمسكوا بها وعضوا على الفرائض .

و أصلحوا نياتكم يبارك لكم ربكم فى خولكم و ينصركم على أعداء كم .

(٧) و نصيحته للتجار و المحترفين :

و أقول للمحترفة : ضاعت أماناتكم ، و ذهلتم عن عبادة ربكم. و أشركتم بربكم و ذبحتم لطواغيتكم و حججتم الى المدار و السالار . بئس صنيعكم ذلك ! !

و ربّ انسان منكم يضيع ماله و كسبه فجعل يتكلف فى لباسه و زيه و مطعمه ما لايكفى له كسبه، فيضيع حقوق نسائه . و رب إنسان منكم اكتفى بشرب الخمور و استيجار الفروج فيضيع معاشه و معاده . إن الله هيّأ لكم من الكسب مايكفى لكم و لذوى حقوقكم إن أنتم اقتصدتم و اكتفيتم بما يكون بلغة إلى يوم المعاد . فكفرتم نعمة ربكم و أساتم التدبير . أما تخافون عذاب جهنم ، و بئس المهاد . اصرفوا غداءكم و عشيتكم فى ذكر الله ، و طول النهار فى حرفتكم ، و الليل فى نسائكم . و اجعلوا الصرف أقل من الدخيل . فما غَبَرَ ، فواسوا فيه الغريب والفقير . و ذروا شيئا لنوائبكم وحوائجكم . فان خالفتم هذه الأمور فقد أسأتم التدبير .

(٨) و نصيحته لعامة المسلمين :

و أقول لجماعات المسلمين عموما خطابا واحدا : يا معشر بنى آدم أفسدتم أخلاقكم و غلب عليكم الشح و استحوذ عليكم الشيطان و زأرت النساء على الرجال وغمط الرجال على النساء ، و استطبتم الحرام واستبشعتم الحلال . فوالله ان الله ما كلّف نفسا إلا ما تطيق . عالجوا شهوة فروجكم بالنكاح و إن كثرن . ولا تتكلفوا فى نفقتكم و زيّكم مما لا تطيقون . و لاتذروا امرأة كانها معلقة و لا تضيقوا الأمور على أنفسكم . فإنكم إن ضيقتم خرجت نفوسكم إلى حد الفسق .

و إن الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه . وعالجوا شهوة بطونكم بالأطعمة و اكتسبوا قدر ما يكفيكم ، و لاتكونوا كلا على الناس تسألونهم فلايعطونكم ، و لاتكونوا كلا على الخلفاء والأمراء . إنما المرضى لكم الكسب بأيديكم إلا عبد ألهمه الله : إن الله يكفيك و الله يعصمك من آفات الفقر.

يامعشر بنى آدم من رزقه الله مسكنا يؤويه ، و مشربا يرويه ، ومطعما يشبعه ، وملبسا يستره ، ومنكحا يحصن فرجه ويعاونه فى معيشته، فقد أدّى له الدنيا بحذافيرها فليشكر الله و ليتخذ كسبا يكفيه ، وليكن من شأنه القناعة و القصد فى المعيشة ، ولينتهز الفرصة لذكر الله ، وليحافظ على ثلاثة أوقات الغدوة والعشية والسحر ، وليذكر الله بالتهليل والتسبيح و تلاوة القران . و استمعوا الحديث و احضروا حلق الذكر .

يا معاشر بنى آدم اتخذتم رسوما فاسدة تغير الدين . اجتمعتم يوم عاشوراء فى الأباطيل . فقوم اتخذه مأتما . اما تعلمون أن الأيّام أيام الله والحوادث من مشيئة الله . و إن كان الحسين رضى الله عنه قتل فى هذا اليوم فأى يوم لم يمت فيه محبوب من المحبوبين . و قد اتخذوه لعبا بحرابهم وسلاحهم . و قوم اتخذوه منسكا. أفّ لصنيعكم! ! اجتمعتم يوم البراءة يلعب قوم ويزعم قوم أنه يجب إكثار الأطعمة للموتى . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، و اتخذتم رسوما تضيق عليكم كالإفراط فى الولائم و كالامتناع من الطلاق و كإمساك المرأة بعد زوجها من النكاح .

فضيعتم أموالكم و أوقاتكم فى الرسوم و تركتم الهدى الصالح. و كان المرضى أن لا تتخذوا هذه الرسوم ، و أن تتخذوا رسوما سهلة ليس فيها ضيق . اتخذتم الماتم عيدا كأنّ إكثار الطعام واجب عليكم . و ضيعتم الصلوات .

و قوم اشتغلوا بمكاسبهم فلم يقدروا على الصلوات . و منشأ هذا الفساد أنهم ما أخذوا رخص الله . و قوم اشتغلوا بتنحية الوقت و تزجيته بالحكايات والأحاديث . فلو أنهم اتخذوا مجالسهم فى رحب حول المساجد لسهل عليهم الصلوات .

وضيعتم الزكاة وما من غنى إلا له متعلقون من المحاويج يطعمهم و يواسيهم . ولو أنه نوى الزكاة والعبادة لكفاه . وضيعتم صوم رمضان . فضيعه قوم لانهم صاروا عسكرية لايقدرون على الصوم مع ما هم عليه من المحنة .

اعلموا انكم أسأتم التدبير وصرتم عيالا على السلطان . ولما لم يجد السلطان ما يعطيكم ضيّق على الرعيّة . فما أقبح صنيعكم هذا ! و قوم لايتسحرون ولايجتنبون أعمالا شاقة هى بأيديهم اجتنابا . و ذلك من سوء تدبيرهم و عقلهم .

و مقالات الملا الأعلى فى هذا الزمان كثيرة . والغرفة تنبئ عن البحر الكبير والقليل يكون نموذجا عن الكثير".

(التفهيمات الالهية ج١ ص٢١٤ - ٢١٩) .

وصاياه للأمّــة المسلمة

المقالة الوضيئة فى النصيحة و الوصية

كان الامام الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى ألف رسالة باللغة الفارسية سماها

المقالة الوضيئة فى النصيحة و الوصية

و هى تحوى ثمانى وصايا دينية مهمة فى العقيدة و العمل فى ضوء القرآن و السنة الشريفة أوصى بها أولاده و أتباعه و عامة المسلمين و خاصتهم. و قد رأيت أن أختتم ترجمته هذه بذكر هذه الوصايا القيمة التى تعتبر خلاصة جيدة لأهم نقاط دعوته و حركته الإصلاحية و يمكن تلخيصها كما يلى :

الوصية الأولى: التمسك بالقرآن و السنة فى العقيدة والعمل

الوصية الثانية : التشديد فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و عدم التشديد فى المسائل الاجتهادية

الوصية الثالثة : الابتعاد عن مشايخ الطرق و باعة الكرامات

الوصية الرابعة : المقصود اتباع الشريعة لا المقامات الصوفية

الوصية الخامسة : حسن الاعتقاد بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم و أهل بيته وعدم الخوض فيما و قع بينهم من المشاجرات

الوصية السادسة : منهاج تدريس العلوم

الوصية السابعة : تأكيد المحافظة على اللغة العربية و الحضارة العربية الاسلامية و اجتناب البدع والرسوم الوثنية

الوصية الثامنة : التأكيد على تبليغ عيسى بن مريم سلامه

"الحمد لله ملهم الحكم و مفيض النعم و الصلاة و السلام على سيد العرب والعجم وعلى آله و صحبه أهل الفضل والكرم ، أما بعد فيقول الفقير ولى الله عفا الله عنه : هذه كلمات أوصى بها أولادى و أحبابى و سميتها **المقالة الوضيئة فى النصيحة والوصية** حسبنا الله و نعم الوكيل وهو الهادى إلى سواء السبيل .

أوّلا :

أول ما يوصى به هذا الفقير هو التمسك بالقران والسنة فى العقيدة والعمل و المواظبة على تدبر ما جاء فيهما والاهتمام بقراءة جزء منهما كل يوم . ومن عجز عن القراءة يستمع لترجمة ورقة من كليهما على الأقل . كما أوصى بالتمسك بعقيدة اهل السنة الأولين والابتعاد عن الخوض فى تفصيل ما لم يفصّلوه ، و ألايلتفت الى ما يثيره العقلانيون الأغرار من الشكوك و الشبهات ، وفى الفروع اتباع العلماء المحدثين الذين يجمعون بين الحديث والفقه، و عرض التفريعات الفقهية دائما على الكتاب والسنة فيؤخذ ما وافقهما و يترك ما خالفهما. فان الأمّة لاتستغنى أبدا عن عرض الاجتهادات على الكتاب والسنة وعدم السماع للفقهاء المتزمّتين الذين يقلّدون عالما معينا و يعرضون عن تتبّع السنة.فلا يحتفل بهم فان رضى الله فى الابتعاد عنهم .

ثانيا :

أما حدّ الأمر بالمعروف فقد ألقى فى قلب هذا الفقير أن يشدّد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ما يدخل فى أداء الفرائض و إقامة شعائر الاسلام و اجتناب الكبائر ، وعدم مجالسة من يتهاون فى أمرها بل ينبغى معاداته . و أما الأمور الأخرى و خاصة المسائل التى

اختلف فيها السلف أو الخلف فحدّ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيها الاكتفاء بذكر الحديث الوارد فيها و لايستحسن التشديد فيها .

ثالثا :

أن لايضعوا أيديهم فى أيدى مشايخ اليوم و لايبايعوهم و لايغتروا بغلوّ عامة الناس فى حبّهم و لا بالكرامات المنسوبة اليهم . فان ذلك أمر يتوارثونه ولا اساس له و لاعبرة به . و معظم باعة الكرامات اليوم يظنون الطلاسم والنيرنجات كرامات الا من عصمه الله .

و تفصيل هذا الاجمال أن أشهر أصناف الخرق ، الإشراف على الخواطر و كشف الاحوال الآتية . و لكل من الاشراف والكشف طرق كثيرة. منها باب الضمير فى علم النجوم والرمل . و لاتظن ان الحكم فى علم النجوم يتوقف على تسوية البيوت و انه لابد من عمل الزائرجة فى علم الرمل . فقد جربنا ان الماهر فى علم النجوم اذا علم اى دقيقة من دقائق النهار الان ينتقل ذهنه الى الطالع ، فتتصور فى ذهنه جميع البيوت و مواضع الكواكب و أحكامها ، فيجد صفحة تسوية البيوت قائمة أمامه. و كذلك الماهر فى صناعة الرمل عندما يشكّل فى ذهنه احدى اصابعه لحيانا و يشكّل الاخرى شكلا اخر . فتتصور فى ذهنه الاوضاع المتولدة من هذه الاشكال و تتصور امامه الزائرجة كاملة .

و منها باب الكهانة بأنواعها . و هى واسعة جدا . و يعمل بها باستحضار الجن مرة و بدونه مرة اخرى . و من هذه الفنون فن الطلسم الذى تركّز فيه قوى الكواكب بصورة معينة يحصل بها الإشراف . و منها أعمال الجوك التى بعضها مخصوصة بالإشراف والكشف . و من أراد

تحقيق ذلك فليرجع الى كتب هذه الفنون .

و من أعمال النيرنجات تركيز الهمة على عمل معين و الظهور بصورة مخيفة و وضع القلب على قلب غيره و تسخير الطالب . فهم يعملون ببعضها و يدركون المطلوب .

فهذا الذى يفعله أصحاب الطلاسم والنيرنجات لا دخل له البتة فى سعادة أحد أو شقائه و لاصلة له بصلاح أحد او فجوره ولايفرق بين قبول أحد عند الله او عدم قبوله.

و قس على ذلك الوجد والشوق والقلق و اجراءه فى الحاضرين . فان منشأ ذلك حدة القوة البهيمية . فمن قويت قوته البهيمية يكون وجده وتاثيره أقوى . و يقوم بعض الرجال الصالحين ببعض هذه الأعمال والأحوال بنية حسنة ايضا و لكنهم لايعدّونها كرامات كما لايخفى . و رأيت اكثر الناس لايعلمون حقيقة هذه الأمور فيعدّون هذه الاحوال و الأعمال كرامات حقيقية جهلا منهم .

و دواء ذلك أن يلتزم المسلم قراءة كتب الحديث مثل صحيح البخارى و صحيح مسلم و سنن أبى داود و جامع الترمذى وكذلك كتب الفقه الحنفى و الشافعى و أن يعمل بظاهر الحديث. ثم إذا أفاض الله على قلبه شوقا صادقا و اشتد به طلب هذه الطريق فليقرأ آداب الصلاة والصوم والأذكار من عوارف المعارف و يتعلم طريقة النسبة من رسائل الجشتية ، فانهم قد أجادوا شرح الأمرين إجادة لاتبقى بعدها الحاجة الى تلقين مرشد. و اذا أدرك نور العبادة والنسبة يداوم عليه . و إذا وفق الى

رجل صالح يلزم صحبته إلى أن يرتسم نورالعبادة والنسبة فى قلبه و تصير حالته ملكة مستقلة له . فيخلو فى زاوية ويواظب عليها .

و لا تجد اليوم أحدا كاملا من كل الوجوه إلا ما شاء الله . فمن كمل فى وجه نقص فى وجه آخر . فما عليك إلا أن تعمل بالمثل المعروف : خذ ما صفا و دع ما كدر ، و تستفيد من الكمال و تغض بصرك عن غيره . النسبة الصوفية غنيمة كبيرة ، أما الرسوم والتقاليد فلاقيمة لها . ولا أشكّ أن قولى هذا يشقّ على كثير من الناس . لكنّنى كلفت بأمر لابدّ من بيانه و لاأبالي بما يقوله زيد أو عمرو .

رابعا :

اننا اختلفنا نحن والناس اليوم . فترى الصوفية أن المقصود الأصلى هو الفناء والاستهلاك و الانسلاخ و أما القيام بأمور المعاش و الطاعات البدنية التي وردت بها الأحكام الشرعية فهو لمن لايقدرون على إدراك ذلك المقصود الأصلى . كما يقال : ما لا يدرك كله لايترك كله . و يقول المتكلمون أن المقصود ما ورد به الشرع فقط . و نقول ان المقصود من الإنسان باعتبار صورته النوعية هو ما ورد به الشرع، و لم يذكر الشارع ذلك الأصل إلا للخواص .

وتفصيل هذا الاجمال أن الانسان خلق على هيئة جامعة للقوتين الملكية والبهيمية . وسعادته فى تقوية قوته الملكية و شقاوته فى تقوية قوته البهيمية . و كذلك خلق بحيث يتصبغ بأصباغ مختلفة الأعمال و الأخلاق . و هذه الأصباغ ترتسم و تنجذب فى أعماق نفسه و اذا مات تنتقل معه . مثال ذلك أن بدن الانسان يأخذ ويتقبل الكيفيات و الآثار

الناشئة من الغذاء الذى يغتذيه و بسببها تصيبه الأمراض من التخمة والحمى وغيرها .

وكذلك خلق الانسان بوجه يستطيع الالتحاق بحظيرة القدس وتلقى الالهام منها، و اذا كان فيه مناسبة بالملائكة ينشرح صدره للالهام و يتلقاه بالسرور و الغبطة . و ان كان فيه منافرة منهم ينقبض صدره و يزداد توحشا .

و كذلك خلق نوع الانسان بحيث اذا تركوا وحدهم و وُكِلُوا إلى انفسهم يتأذى و يتضرر أكثر بنى آدم بالأمراض النفسية . فشملتهم عناية الله بفضله و كرمه وشرح لهم طريق النجاة فأرسل فيهم ترجمان الغيب هو الرسول صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ليتم نعمته عليهم . فالربوبية التى اقتضت أولا خلقهم ، نصرتهم مرة أخرى لتدبير هدايتهم . و هكذا سألت الصورة النوعية للانسان بلسان حالها مبدأ الفيض إنزال الشرع . ولما نزل ، شمل جميع أفراد النوع الانسانى بحكم سريان الصورة النوعية فيهم فوجب على الجميع الائتمار به و اتباعه ، و لا دخل لاختصاص أفراد منهم به .

اما الفناء و البقاء و الاستهلاك و غيره فمطلوب بخصوصية الأفراد. فإن بعض أفراد نوع الإنسان يخلقون فى غاية العلو والتجرّد فيهديهم الله تعالى هذه المراتب و ليست من نواميس الفطرة . وانما تقتضيها الخصوصية الفردية لهؤلاء بلسان الحال ، وليس كلام الشارع محمولا على هذه المعانى لا صراحةً و لا إشارةً . ولكن بعض الأفراد فهموا هذه المطالب من كلام الشارع كمن يسمع قصة ليلي وقيس فيحمل

جميع أجزاءها على قصته هو . وهذا هو المعروف بالاعتبار فى اصطلاحهم .

و بالجملة فان الإفراط فى مقامات الانسلاخ و الاستهلاك واشتغال كل من هبَّ و دبَّ فى طلبها داء عضال أصاب الملّة المصطفوية، ورحم الله امرءا سعى فى القضاء عليه حتى و لو كان متحليا ببعض الاستعدادات الأصلية لها . و على كل حال ، سيشقّ قولى هذا على كثير من متصوفى زماننا لكننى أمرت بأمر لابدّ من قوله و لا أبالى بزيد أو عمر و .

خامسا :

أن يحسن الظن و الاعتقاد باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لايجرى اللسان بغير ذكر مناقبهم . و قد أخطأ فى ذلك فريقان: فريق يظنون أن صدور بعضهم لبعض كانت متصافية بحيث لم يشب صَفوَها أى كدر ولم تجر بينهم مشاجرات . فان هذا محض وهم . وقد شهد النقل المستفيض الذى لايمكن إنكاره بوقوع مشاجراتهم . و فريق آخر لما رأوا هذه المشاجرات منسوبة إليهم أطلقوا ألسنتهم بسبّهم و الطعن فيهم فسقطوا فى وادى الهلاك .

و قد ألقى فى قلب هذ ا الفقير أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، و إن لم يكونوا معصومين و يحتمل أن يكون صدر من بعض عامتهم أشياء لو كان صدر مثلها من غيرهم لاستحق اللعن والطعن واستحق الجرح ، لكننا امرنا بكفّ اللسان عن مساوئهم ونهينا عن لعنهم و الطعن فيهم تعبدا و لأجل مصلحة عظيمة . و هى أنه إذا فتح باب

جرحهم ينقطع الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يختل حبل الملّة و حينما تؤخذ الروايات عن كل صحابى تبلغ أكثر الأحاديث حد الاستفاضة و تقوم الحجة بتكليف الأمة و لايختل النقل بجرح بعضهم .

و كنت سألت النبى صلى الله عليه وسلم سوالا روحانيا عن الشيعة الذين يدعون حبّ اهل البيت و يسبّون الصحابة رضى الله عنهم فألقى إلىّ بنوع من الكلام الروحانى أن مذهبهم باطل و يعرف بطلان مذهبهم من كلمة الامام . و لما أفقت تدبرت كلمة الامام عندهم ، وعرفت أن الامام عندهم هو المعصوم المفترض طاعته المنصوب للخلق و كذلك يجوّزون له الوحى الباطنى . فالحقيقة أنهم باعتقادهم هذا ينكرون ختم النبّوة ، و إن كانوا يقولون بألسنتهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء .

كما يجب حسن الاعتقاد بالصحابة رضى الله عنهم كذلك يجب حسن الاعتقاد بأهل البيت رضى الله عنهم و أن يزاد فى تكريم الصالحين منهم و قد جعل الله لكل شئ قدرا .

و قد علم هذا الفقير أن الأئمة الاثنى عشر كانوا أقطاب نسبة من النسب ، و أن التصوف لم يبدأ رواجه إلا بعد انقراض عصرهم . و لاسبيل إلى أخذ العقيدة والشريعة إلا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . أما قطبيتهم فأمر باطنى لاعلاقة له بالتكليف الشرعى و كانت الاشارة و النص التى تكلموا بها لمن بعدهم بسبب هذه القطبية و إليها ترجع رموز الإمامة التى حدّثوها بعض أصحابهم المخلصين . و بعد مضيّ مدة أخذها قوم و تعمقوا فيها و حملوها على غير ما أرادوا منها .

سادسا :

ان منهاج تدريس العلوم الذى أثبتته التجارب أن يبدأ أولا بتدريس الرسائل الموجزة فى الصرف و النحو و تدرّس ثلاث أو أربع رسائل فى كل منهما بحسب ذكاء الطالب وحاجته . ثم يدرّس كتاب فى التاريخ او الحكمة العملية باللغة العربية . وفى هذه المرحلة يدرّب الطالب على الاستفادة من المعاجم اللغوية و معرفة معانى الكلمات الصعبة منها. و اذا اكتسب قدرة فى اللغة العربية يدرّس موطأ الامام مالك برواية يحيى بن يحيى المصمودى . و لايهمل هذا الكتاب أبدا . لانه أصل علم الحديث ولتدريسه فوائد كثيرة . وقد تسلسل استماعه الينا . ثم يدرّس القران الكريم بالترجمة و بغير التفسير . و اذا أشكل شئ من النحو أو أسباب النزول يوقف عنده و يناقش . و بعد الفراغ من الدرس يدرّس تفسير الجلالين بالقدر الذى تم تدريسه من القران الكريم فى الدرس . فان لهذه الطريقة فوائد .

ثم يدرّس في وقت واحد كتب الحديث مثل الصحيحين وغيرهما و كذلك كتب الفقه والعقيدة و السلوك . وكذلك تدرّس كتب المعقولات مثل شرح الملا والقطبى وغيرهما فى وقت واحد . واذا أمكن أن يدرّس مشكاة المصابيح يوما و فى اليوم الثانى يدرّس شرح الطيبى بالقدر الذى درّس فى اليوم الأول من مشكاة المصابيح ، فانه نافع جدا .

سابعا :

نحن عرب وكان أسلافنا قدموا بلاد الهند غرباء . نحن نعتزّ بعربية النسب واللسان التى تقرّبنا من سيد الأولين والآخرين و أفضل الأنبياء والمرسلين و فخر العالمين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات . وشكر

هذه النعمة العظمى أن لانتخلى - ما أمكن - عن عادات العرب الأولين و حضارتهم التى نشأ فيها النبى صلى الله عليه وسلم، و أن لانتخذ عادات الهنود وتقاليدهم . فقد روى أنه لما انتشر العرب للجهاد فى أطراف العجم خشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يتخذوا عادات العجم و يتركوا عادات العرب . فكتب اليهم كتابا (١) كما أخرجه البغوى عن أبى عثمان النهدى قال : أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه و نحن باذربيجان مع عتبة بن فرقد :

" أما بعد فاتّزِروا و ارتدُوا و انتعِلُوا وألقوا الخِفَاف و اتّقوا السَرَاوِيلاتِ . وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل و إياكم والتنعّم و زىّ العجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب . وتمعددوا و اخشوشنوا و اخشوشبوا و اخلولقوا واعطوا الركب وانزوا نزوا و ارموا الأغراض . وفى رواية و انزوا على ظهور الخيل نزوا ."

و من عادات الهنود الشنيعة أنه إذا توفى زوج امرأة لايسمحون لها أن تنكح زوجا آخر . ولم توجد هذه العادة أصلا فى عرب الجاهلية ولا فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولا بعده . فرحم الله رجلا أزال هذه العادة القبيحة . و إن لم يستطع إزالتها من الناس كافة فليسع لاقامة عادة العرب بنكاح الأرامل فى قومه . و إن لم يستطع ذلك أيضا فليكره ويخالف هذه العادة الشنيعة بقلبه. لأن ذلك أضعف مراتب النهى عن المنكر.

---

(١) أخرجه البغوى فى شرح السنة (ج٢ ص٤٣) و احمد (ج١ ص ٤٣) والبيهقى (ج١٠ ص١٤) والاسماعيلى كمافى الفتح (ج ١٠ ص٢٨٦) و رجاله ثقات .

ومن العادات الشنيعة عندنا أنهم يغالون فى المهور بينما كان النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو منتهى شرفنا فى الدين والدنيا جعل صداق أهل بيته اللاتى هن خير الناس اثنتى عشرة أوقية و نشا، و مجموعها خمس مئة درهم .

و من العادات الشنيعة الأخرى فى قومنا الإسراف فى الأفراح و اتخاذ تقاليد كثيرة فيها . وكان النبى صلى الله عليه وسلم جعل لأفراحنا أمرين : الوليمة و العقيقة فلنتخذهما و لنترك ما سواهما او نترك الاهتمام بسوى ذلك و التزامه .

و كذلك من العادات الشنيعة عندنا الإسراف فى المآتم و فاتحة اليوم الثالث على الميت واليوم الاربعين والشهر السادس والفاتحة السنوية . ولم توجد هذه العادات فى العرب الأولين أصلا . والصحيح الاكتفاء بتقديم التعازى لورثة الميت لثلاثة أيام و إطعامهم ليوم وليلته ، وترك ما سوى ذلك من العادات. و ينبغى أن تجتمع نساء الحىّ بعد ثلاثة أيام من وفاة الميت و يطيّبن نساء أهله ، و إن كانت زوجة له تقطع حدادها عليه بعد انقضاء عدتها .

ثامنا :

جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (١) :

من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرأه منى السلام .

---

(١) أخرجه الحاكم (ج٤ ص ٥٤٥) من حديث انس رضى الله عنه ، و فى سنده اسماعيل بن عياش الحمصى ضعفه بعض المحدثين. فالحديث ضعيف والله تعالى اعلم .

ويتمنى هذا الفقير إذا أدرك أيام سيدنا روح الله عليه السلام ، أن يكون أول من يبلغه السلام . و ان لم أدرك زمانه فعلى من يسعد بزمانه المبارك من أولادى أو أتباعى ان يحرص كل الحرص على تبليغه السلام ، حتى نكون نحن الكتيبة الأخيرة من الكتائب المحمدية . و السلام على من اتبع الهدى .

و الى هنا تنتهى هذه الجولة المباركة فى دعوة الامام الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله ومميزات فكره و مساعيه فى نشر الكتاب و السنة و العقيدة السلفية ، و نختتم هذا البحث بقوله :

" ها أنا برئ من كل مقالة صدرت مخالفة لآية من كتاب الله ، او سنة قائمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع القرون المشهود لها بالخير ، أو ما اختاره جمهور المجتهدين و معظم سواد المسلمين . فان وقع شئ من ذلك فانه خطأ رحم الله تعالى من أيقظنا من سِنتنا أو نبهنا من غفلتنا .

أما هؤلاء الباحثون بالتخريج و الاستنباط من كلام الاوائل المتحلون مذهب المناظرة و المجادلة فلا يجب علينا أن نوافقهم فى كل مايتفوهون به . و نحن رجال و هم رجال ، و الأمر بيننا و بينهم سجال . "

(مقدمة حجة الله البالغة – ص ١٠ – ١١)

من نوادر التاريخ الاسلامى

اول حركة جهادية
فى تاريخ الهند

ينظمها

أتباع الشاه ولى الله الدهلوى

و

تستمر مدة تزيد على قرن

ابتدأت عندما تسلط الاستعمار البريطانى على الهند و انتهت يوم جلا عنها، و قامت دولة باكستان الاسلامية .

اول حركة جهادية
فى تاريخ الهند

من المميزات الأساسيه التى تمتاز بها دعوة الإمام الشاه ولى الله الدهلوى و أتباعه ، عنايتهم بالهجرة و الجهاد فى سبيل الله و السعى لاقامة دولة الاسلام لاحياء شعائره و ازالة المنكرات و قتال الكفار و كسر شوكتهم لتكون كلمة الله هى العليا. لم يتح لإمامهم الشاه ولى الله الدهلوى القيام بالجهاد بنفسه لاشتغاله باعداد خطته الاصلاحية و تخريج الدعاة ، و لعدم بروز قوة أتباعه فى حياته . لكنه هو الذى كان زرع غرسه و نفخ روحه فى نفوس أبنائه و أتباعه. فكان ينبههم لمنزلة الجهاد فى الاسلام و حاجة مسلمى الهند اليه ، كما كان يحرّض الأمراء و القادة و الملوك المسلمين على جهاد الكفار و قتالهم، و يعرض عليهم خططه فى رسائله و نصائحه التى كان يوجهها اليهم فى المناسبات ، و كان يدعوهم فيها الى إحياء شعائر الاسلام و تنفيذ الحدود الشرعية و اقامة حكم الله فى بلادهم ، كما لايخفى على من تصفح مؤلفاته و رسائله السياسية التى طبعت فى مجموعة منفصلة .

و كان مهتما بشؤون الدولة الاسلامية فى الهند و بذل ما استطاع من الجهود والمساعى لانقاذها من الضعف و السقوط ولكن تدهورت الأحوال السياسية بعده ، و ازدادت سوءا، و انهارت الدولة الاسلامية بعد ما بقيت ٨ قرون ، فاستولى الاستعمار الانجليزى على اكثر الأقاليم و الولايات و تسلط السِّيخ الكفار بقيادة الحاكم الوثنى راجه

رنجيت سينغ (١) على البنجاب و كشمير حتى حدود افغانستان، و كلها مناطق ذات اكثرية مسلمة . و تعرض المسلمون على أيديهم لأسوأ أنواع الظلم و الاضطهاد من إغلاق المساجد و تحويلها الى ثكنات لجيوشهم أو اصطبلات لخيولهم و منع التعليم الاسلامى و منع الأذان و منع ذبح البقرة و تعطيل الشعائر الاسلامية و قتل الأبرياء و العجزة و الاطفال دون تمييز، و الاعتداء على أعراض النساء المسلمات و خطف الفتيات ، و نهب أموال المسلمين و متاجرهم و إحراقها و استعمالهم سخرة فى أعمال شاقة و مهينة ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

---

(١) و هو الذى كان باع ولاية كشمير المسلمة كلها بسكانها للانجليز بمليون أشرفى(دينار) . تعرف هذه الصفقة المخزية باتفاقية لاهور.

ثم باعها الانجليز فى السنة نفسها للحاكم الوثنى الظالم القاسى كلاب سنغ دوجره بسبعة ملايين و نصف مليون روبية بموجب اتفاقية امرتسر المخزية التى نعاها شاعر الاسلام محمد اقبال رحمه الله بقوله :

دهقان و كشت وجوئے و خيابان فروختند

قومے فروختند و چه ارزان فروختند

(باعوها بما فيها من فلاحين و مزارع و مروج و أنهار و بساتين ! باعوا شعبا بأسره !! و ما أرخص الثمن الذى باعوه به ! فبئست الصفقة ! !)

هذا نصيب كشمير المسلمة – التى تسمى جنة الله على الأرض لحسن مناظرها و جمال طبيعتها – من ظلم الاستعمار البريطانى الذى سلّمها فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى لهذا الحاكم الظالم الذى حولها على أهلها إلى جحيم ! ثم سلمها لدى إنشاء باكستان سنة ١٩٤٧م الى الهند رغم ارتباطها الطبيعى و الثقافى و الدينى بباكستان . و لايزال الشعب الكشميرى المسلم يُعَذَّب و يضحّى و يجاهد حتى اليوم من أجل تحريرها من براثن الهندوس المشركين ! فأين احترام إرادة الشعوب؟ و أين حق تقرير المصير؟ و أين حقوق الانسان التى يتشدقون بها ؟ ؟ !

تتابعت أخبار هذه الفظائع و الشدائد الى خليفة الشاه ولى الله الدهلوى و ابنه المحدث الشاه عبد العزيز و تلامذته و أتباعه ، و تألموا لها. فتفكر فى هذه الأوضاع، و شرح الله صدره لتنظيم الجهاد، و ساق اليه تلميذا فاق أقرانه فى المعرفة و العمل و ثبات الجأش ، فراه أهلا لتحمل هذه المسؤولية و قيادة قافلة الجهاد و الاصلاح. و تم بارشاده و تعليماته تنظيم أول حركة جهادية فى تاريخ الهند، قادها العالمان الجليلان الامام السيد احمد بن عرفان الشهيد والعلامة الشيخ الشاه محمد اسماعيل الشهيد بن عبدالغنى بن الشاه ولى الله الدهلوى رحمهم الله جميعا.

قـــادتـــهـــا

و أبرز رجال هذه الحركة الجهادية ثلاثة :

(١) أميرها الامام الهمام العالم المجاهد السيد احمد بن محمد عرفان بن السيد محمد نور الحسنى ينتهى نسبه الى سيدنا على رضى الله عنه. ولد فى صفر ١٢٠١هـ فى بلدة رائى بريلى التى تبعد ٥٠ ميلا (٧٢ كيلومترا) عن مدينة لكناؤ بالهند. و تلقى تعليمه الابتدائى فى بيته الذى كان من بيوتات العلم و الدين. و لما كبر سافر الى دلهى سنة ١٢٢٢هـ و حضر الى العلامة المحدث الشاه عبدالعزيز الدهلوى ابن الامام الشاه ولى الله الدهلوى و خليفته ، فبايعه و تلقى منه العلم و الطريقة كما تلقى العلم عن أخيه الشيخ الشاه عبد القادر الدهلوى .

و لم يلبث أن عرف بفرط الذكاء وصفاء النفس و القوة على العمل و المجاهدة كما اشتهر بتحمسه لانكار الرسوم الشركية المنتشرة بين المسلمين مثل التوسل بالقبور و الغلو فى تعظيم الفقراء المتصوفين .

لما أراد شيخه الشاه عبدالعزيز تعليمه شغل تصوّر الشيخ كعادة الصوفية أنكره السيد بقوله: "يا سيدى ! ما الفرق بينه وبين عبادة الأصنام ؟فتمثل الشيخ ببيت فارسى معروف مفاده أنه يجب على الطالب أن يلتزم تعليمات شيخه. فقال: سمعا و طاعة! و لكن أرجو أن تزيل شبهتى بدليل من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، و إلاّ فسامحنى من هذا الشغل الذى أراه نوعا من عبادة الأصنام ". و ما أن سمع شيخه قوله هذا حتى ضمّه الى صدره و قبل وجنتيه و جبهته. و قال: أبشر يا ولدى أن الله تعالى قد منحك منزلة ولاية الأنبياء" . فاستفسره عن ولاية الانبياء و ولاية الأولياء فشرحهما له، و سرّ به عظيما. (١)

و كان شديد الشوق الى تنظيم الجهاد فى سبيل الله لاحياء شعائر الاسلام و ازالة المنكرات و الرسوم الفاسدة و إجلاء الانجليز المستعمرين عن البلاد . فهزّه شوق الجهاد الى الالتحاق بعسكر نواب امير خان حاكم أمارة تونك الاسلامية حيث عين اماما. فتلقى التدريب العسكرى وتعلم أساليب تنظيم الجيش . و كان يحض الحاكم و عسكره على جهاد الكفار و إحياء الشعائر الاسلامية . و لكن الحاكم صالح الانجليز، فيئس منه السيد احمد وعاد الى شيخه الشاه عبدالعزيز بدلهى ، بعد بضع سنوات قضاها فى عسكره.

(٢) العلامة المحدث الداعية المجاهد المجدد الشاه محمد اسماعيل ابن الشيخ الشاه عبدالغنى ابن الامام الشاه ولى الله الدهلوى. ولد فى

---

(١) و قد ردّ على هذا الشغل رداً مفصلا فى الفصل الثالث فى الباب الثالث من كتابه الصراط المستقيم . نقلناه فى صفحة ١٠٧ من هذا الكتاب .

قرية پهلت بمديرية مظفر نكر بالهند فى ١٢ ربيع الآخر ١١٩٣هـ (١٧٧٩م). و تلقى تعليمه الابتدائى من والده و حفظ القرآن الكريم فى السنة الثامنة . و توفى والده وهو فى السنة العاشرة. فعنى عمّاه الشيخ الشاه رفيع الدين و الشيخ الشاه عبدالقادر بتربيته و تعليمه كما أخذ الحديث عن عمه العلامة المحدث الشاه عبدالعزيز . و عرف بالذكاء و قوة الذاكرة و برع فى التفسير و الحديث و الفقه و العلوم العقلية . كان مؤلفا مجيدا و خطيبا مصقعا قوى الحجة بصيرا بمواقع الحق و استنباط الأدلة و حريصا صلبا على نشر التوحيد و تأييد السنة ، و سيف الله المسلول على رأس الشرك و الالحاد. له مؤلفات قيمة فى مجال الاصلاح الدينى والاجتماعى ، منها:

(١) ايضاح الحق الصريح فى أحكام الميت و الضريح

(٢) منصب الامامة (٣) عبقات

(٤) ردّ الاشراك (٥) تقوية الايمان

(٦) تنوير العينين فى إثبات رفع اليدين (٧) رسالة فى اصول الفقه

اشتهرت خطبه و مؤلفاته بالتزام الحق و الصواب و كان لايخاف فى الله لومة لائم . نفع الله بها خلقا كثيرا جداً و أخرجهم من ظلمات الإشراك والالحاد الى أنوار التوحيد و السنة المحمدية . و أشهر مؤلفاته تقوية الايمان الذى قوى اركان الايمان و التوحيد و بدّد ظلمات الشرك و الأوهام. و هو مثل كتاب التوحيد لشيخ الاسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب لفظا و معنى رحمهم الله جميعا .

و يعتبر العلامة الشاه محمد اسماعيل الشهيد الرجل الثانى فى هذه الحركة الجهادية المباركة.

(٣) الشيخ الجليل و العالم الربانى المجاهد عبد الحي بن هبة الله بن نور

الله البدهانوى تلميذ العلامة المحدث الشاه عبد العزيز و ختنه . نبغ فى العلوم الدينية كلها و تحلى بالورع و الفقه و الحكمة . بايع السيد احمد الشهيد بأمر من شيخه الشاه عبد العزيز فصار موضع ثقته و صاحب أسراره . صحبه فى السفر و الحضر و استفاد منه فيوضا . كان خطيبا ثاقب النظر حسن المنطق ، و كان يرتجل الخطب فيملأ الأسماع و القلوب و تخشع لها الأبصار خشية و رقة .

و كان هذان العالمان الجليلان وزيرين للسيد احمد أمير الحركة و امام الجماعة، يصحبانه ويلازمانه فى السفر والحضر. و كان يلقب الشاه محمد اسماعيل حجة الاسلام ، ويلقب الشيخ عبد الحى شيخ الاسلام و اشتركا فى تدوين أماليه فى كتاب الصراط المستقيم باللغة الفارسية. و هو يشتمل على خطته الإصلاحية وأفكاره الدينية .

فتوى وجوب الجهاد

نظرا الى استيلاء الاستعمار الانجليزى علي الهند و المظالم والفظائع التى تعرض لها المسلمون فى البنجاب و كشمير على أيدى السيخ أفتى العلامة الشاه عبد العزيز بأن الهند صارت دار حرب، و وجب الجهاد على المسلمين لتخليص ديارهم من الكفار و إنقاذ إخوانهم من ظلمهم، و حث المسلمين علي جمع كلمتهم و اعداد قوتهم ، و أسند قيادتهم الى تلميذه السيد احمد بن عرفان الحسنى .

و كانت فتاويه هذه نقطة تحوّل و بداية تطوّر فى تاريخ هذه الحركة الاسلامية التى تحولت الى حركة جهادية . و كان اهتمامها

قبلها مقصورا على المجالات الدينية و العلمية من إنشاء المساجد و المدارس و تعليم المسلمين و تخريج الدعاة و نشر العلوم الاسلامية تدريسا و تاليفا و دعوة و ارشادا، و اكتفت فى المجال السياسى بنصح الولاة و الحكام و إرشادهم الى ما فيه مصلحة الاسلام و المسلمين .

فاستجاب لدعوته جمع من العلماء المخلصين و الشباب المؤمنين و بايعوا أميرهم الشيخ السيد احمد بن عرفان الحسنى . و كان من أوائل المبايعين :

(١) الشيخ يوسف الفلتى حفيد الشاه اهل الله شقيق الشاه ولى الله .

(٢) الشيخ الجليل عبدالحى (٣) العلامة الشاه محمد اسماعيل

(٤) المحدث الشاه محمد اسحاق سبط الشاه عبد العزيز

(٥) الشيخ ولى محمد الفلتى (٦) الشيخ وحيد الدين الفلتى

(٧) الحافظ قطب الدين الفلتى (٨) الشيخ صلاح الدين الفلتى

(٩) الشيخ ولايت على العظيم آبادى(١٠)الشيخ احمد الله العظيم آبادى

(١١) الشيخ اولاد حسن بن على القنوجى (والد المحدث النواب صديق حسن خان القنوجى صاحب المؤلفات المعروفة فى الشرق و الغرب)

(١٢) الشيخ كرامت علي الجونپورى (١٣)الشيخ سخاوت على الجونپورى

(١٤) الشيخ المحدث عبد الحق البنارسى (١٥) الشيخ عبد الهادى

(١٦) الشيخ عبدالله العلوى (١٧) الشيخ عنائت على العظيم آبادى

(١٨)والشيخ غلام على الاله آبادى (١٩) الشيخ جعفر على النقوى

(٢٠) الشيخ محمد حسن الرامبورى (٢١ الشاه محمدحسين العظيم آبادى

(٢٢) الشيخ مظهر على العظيم آبادى. (٢٣) الشيخ محمد على الرامبورى

و غيرهم ، خلق كثير من العلماء و الوجهاء .

بمبايعة هذا العدد الكبير من علماء الاسلام و وجهاء البلاد صار

لدعوته وزن كبير و انتشر خبرها فى الناس و طار ذكرها فى الأطراف و الآفاق، و هفت اليه قلوب المسلمين من أهالى المناطق النائية و التمسوا منه زيارتها ليستفيدوا منه. فاستجاب لدعوتهم، و قضى بضع سنوات فى نشر دعوة التوحيد و الاصلاح و الدعوة الي الجهاد . و قام بجولات دينية و تربوية فى أنحاء البلاد لنشر دعوته فى الناس و اعدادهم و تنظيم صفوفهم للجهاد . وكان يرافقه فى جولاته صاحباه الشيخ عبد الحى بن هبة الله و الشيخ الشاه محمد اسماعيل و غيرهما و كانا يخطبان الناس و يعظانهم لتعليمهم عقيدة التوحيد الصافية و تنقيتها من أوساخ الشرك و نبذ الخرافات و العادات الجاهلية وحثهم على التزام أحكام الاسلام و التمسك بالقرآن و السنة .

و بارك الله فى هذه الجولات الموفقة التى صارت خلالها قافلة هؤلاء الأئمة البررة مدرسة دينية و تربوية مثالية متنقلة ، و هدى بهم خلقا كثيرا يقدّرون بمئات الآلاف من الناس الى الدين الخالص و التمسك بالسنة، و تابوا من الشرك و التقاليد و الرسوم الجاهلية و بايعوه على نصرة الاسلام و الجهاد فى سبيل الله .

منافع الجهاد و بركاته

فى هذه المده نفخ الامام السيد احمد و أصحابه العلماء روحا إيمانية جديدة فى المسلمين، و ذكروهم فضل الجهاد و القتال فى سبيل الله لتخليص بلاد الاسلام المغتصبة من أيدى الكفار و استنقاذ المسلمين المقهورين المظلومين من ظلمهم و شرورهم ، و جدّدوا فى نفوسهم شوق الجهاد و حب الشهادة فى سبيل الله . أنقل هنا فصلا فى فضل الجهاد وبركاته و منافعه العامة للخلق كله من كتاب الصراط المستقيم الذى يحوى إفادات السيد احمد و الذى ألف فى هذه المدة ، على سبيل

المثال ليقف القارئ الكريم على أسلوبه الفكرى و مبلغ اهتمامه باحياء هذه الفريضة الإسلامية .

"الجهاد فى سبيل الله أمر كثير الفوائد و جليل المنافع ، يعود نفعه على الخلق كله بوجوه عديدة كالمطر الذى يعم خيره النبات و الحيوان و الانسان كلهم .

ثم ان منافع هذا الأمر العظيم على نوعين : منافع عامة يشترك فيها المؤمنون المطيعون و العصاة من الفساق و الكفار و المنافقين حتى الجن و الانس و الحيوان و النبات ، و منافع خاصة تختص بفئات خاصة يستفيد ببعضها أناس و ينتفع ببعضها آخرون . و من منافعه العامة التى دلت عليها التجارب مايفتح الله بعدل الحكام و أمانة المتعاملين و جود الأغنياء و سخاء الموسرين و صلاح جمهور الأنام ، من بركات السماء مثل نزول الأمطار فى حينها و كثرة النبات والمحاصيل و نمو الأرزاق و توفر المكاسب و زوال الآفات و البلايا و ظهور أصحاب الفنون و الصناعات و وجود اهل العلم و الفضل. و مثلها - بل تفوقها مئات مرات - بركات ظهور دين الحق و غلبة السلاطين المتمسكين بالشريعة و استقرار حكمهم فى البلاد و الأطراف و قوة عساكر الاسلام و قيام الأحكام الشرعية فى المدن والقرى . و لمعرفة ذلك ينبغى قياس حالة الهند بحال الروم و توران ، بل يكفى قياس حالة الهند فى هذا العصر- عند كتابة هذه السطور سنة ١٢٣٣هـ- الذى تردت فيه نتيجة لترك الجهاد ، حتى صارت أكثر مناطقها دار حرب، بحالها قبل قرنين او ثلاثة قرون فى نزول البركات السماوية و ظهور الأولياء و علماء الاسلام فيها.

☆ اما منافع الجهاد الخاصة التى يدركها الشهداء المؤمنون والغزاة و المقاتلون من المسلمين والسلاطين العادلين فلاتحتاج الى بيان.
ومن منافعه لأرباب البواطن الصافية فوزهم بدرجات عظيمة فى أوقات قصيرة و الترقى إلى مراتب الولاية و مناصب الوجاهة برياضات يسيرة .

☆ و من منافعه لأهل العلم انتشار العلوم النافعة و كثرة المعلمين و المتعلمين و فوزهم بمناصب الاحتساب و القضاء و الاجتهاد و الافتاء ، و يتمكنون من القيام بفرائض الخلافة الباطنة من نشر العقيدة الصحيحة و أحكام الشريعة المرضية و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر.

☆ و من منافعه العائدة للصالحين من عامة المسلمين أن اكرام الصالحين و إهانة الفجار و انتشار الخصال المحمودة المامور بها و احتقار الخصال الذميمة المنهى عنها ، تزيدهم رغبة فى الصلاح و التقوى كما تتضاعف أجورهم لانقيادهم للسلاطين و تعظيم العلماء و الأولياء و دخول أفواج كثيرة فى دين الاسلام .

☆ و من منافعه لعامة المؤمنين أن انتشار أنوار دين الحق و نزول ألطاف الجواد المطلق جل و علا و نفاذ الرسوم الشرعية تزيدهم استقامة فى المعاملات و تجذب قلوبهم الى الطاعات، و لو تقليدا . كما أن نزول بركات السماء و عدل السلاطين المقتدرين و نفاذ الحدود الشرعية و جود الاغنياء تساعد في استقرار أمور المعاش و المعاد و تؤدى الى رفاهية عيشهم.

☆ و من منافعه العائدة علي الفساق و الفجار أن سريان أنوار دين الحق فى قلوب بنى آدم و رسوخ شناعة الأفعال القبيحة فى عقولهم يهديهم الى التوبة و كراهية الفسق و الفجور فيمتنعون عن

اظهار البدع و المنكرات خشية اقامة الحدود و التعزيرات أو خوفا من لحوق العار بطعن الاخوان و ملامة الأقران عند شهرة قبح البدع و المنكرات.

☆ و من منافعه لأهل النفاق استقامتهم على دين الحق فى الظاهر و عدم دخولهم فى زمرة الكفار جهرة خوفا من القتل أو بمشاهدة عزة المؤمنين و ذلة الطاغين ، كما يحتمل سريان نور ملة الحق فى جذر قلوبهم بمشاهدة بركات السماء و شوكة اهل الاسلام، و باختلاطهم بالعلماء و الأولياء الكرام و انعكاس أنوارهم و نفوذ مواعظهم فى قلوبهم .

☆ و من منافعه للكفار الذميين أن نزول بركات السماء و توفر المكاسب و الأرزاق و عدل السلاطين و الأمن من اللصوص و قطاع الطرق يسبب رفاهية عيشهم ، كما يحتمل أن يسبب اختلاطهم باهل الحق و مشاهدة بركات تطبيق الشريعة و استقامة أمور المعاش و المعاد للمسلمين، حدوث الرغبة فى قلوبهم فى قبول الاسلام.

☆ و من منافعه للكفار المحاربين أن قتل من يقتل منهم بأيدى المسلمين و هم قليل جداً - إذ يقلّ عدد القتلى فى اكثر الحروب عن عدد الفارين كثيرا، و خاصة عند ظهور شوكة الخصم - يخفف عذابهم و يقلل عقابهم. لانهم لو لم يقتلوا عاشوا مدة على كفرهم و ازدادوا كفرا فتضاعف عقابهم بحسب ذلك .

☆ و من منافعه لذرارى الكفار من النساء و الأولاد أن استرقاقهم يتيح لهم مخالطة أهل الحق فيستفيدون باختلاطهم خيرا كثيرا .

هذا شئ من منافع الجهاد التى يضيق هذا المقام عن الاحاطة بها .

فالخلاصة أن وجوب الجهاد على أهل الايمان و الأمر باقامته حتى انقراض الزمان ، فى باب التشريع مثل نزول الغيث و جريان الأنهار في باب التكوين . و لايخل بمنافعه إتلاف بعض الأشخاص الذين خبثت طبائعهم من أهل الاسلام الذين ينهون عن الجهاد و يصدون عن سبيل الله، و يحملهم خبث سرائرهم و حسدهم و حبهم الكفار على معاداة الغزاة و المجاهدين، فيقعون فى وادي الهلاك الدائم و يكونون من شر أنواع المنافقين، كالغيث الذى يعمّ خيره و نفعه الخلق كله ، و قد يؤدى طغيان السيول و فيضان الأنهار الى هلاك أناس و انهيار عمارات."

(الصراط المستقيم باب ٢ فصل٤ ص ٩٤-٩٦)

إحياء فريضة الحج

فى تلك الأيام أفتى بعض الشيوخ بسقوط فريضة الحج عن مسلمى هذه الديار بحجة أن أمن الطريق الى الحجاز مفقود ، و صار السفر بالسفن الشراعية خطرا على حياة الحجاج . فخاف السيد احمد و أتباعه الراسخون فى العلم أن تسبب هذه الفتوى انصراف المسلمين عن هذا الركن الاسلامى العظيم ، اذا استجابوا لها . فردّها صاحباه الشاه محمد اسماعيل والشيخ عبدالحى و زيفا حجتها ، و أيدهما شيخهم العلامة الشاه عبد العزيز . و حبب الله الى السيد احمد زيارة بيته الحرام و زاده شوقا الى الحج . فقرر أن يبدأ دعوته الاصلاحية و حركته الجهادية باحياء هذه الفريضة الاسلامية العظيمة التى تجمع شمل الأمة المسلمة فى مشارق الارض و مغاربها ، فيقضى على آثار هذه الفتوى الزائفة. فنادى فى الناس بالحج نداء عاما ، و أبدى عزمه على السفر للحج بقافلة من أتباعه و حثهم على مرافقته . و أعلن أنه

سيتكفل نفقة كل من ليس عنده زاد. و أرسل بذلك رسله و رسائله الى أتباعه في أنحاء البلاد . فدبت فى المسلمين حياة جديدة و تجدد حنينهم لزيارة بيت الله الحرام و توافدوا عليه من كل حدب و صوب .

و جاء اليوم الموعود و خرج السيد الامام من بلده فى نهاية شوال ١٢٣٧هـ برفاقه الذين بلغ عددهم حوالى ٤٠٠ نفس متوكلا على الله و راغبا فى إحياء فريضة الحج . و مرت القافلة المباركة فى طريقها الى ميناء كالكته بمدن و قرى كثيرة ، و كانت كلما تنزل محطة بعد محطة تلقى فيها الدروس و تعقد حلقات و اجتماعات لارشاد المسلمين و تعليم الداخلين فى الاسلام ، و يستفيد منها خلق كثير لايحصى و يتوبون على يديه و يبايعونه على الاسلام و التمسك بالكتاب والسنة و هجر الشرك و الخرافات و الرسوم الفاسدة .

و لما بلغت القافلة مدينة كالكته صار عدد الحجاج ٧٥٣ نفسا وزعهم الامام الي عشر جماعات و عين على كل جماعة أميرا ، و ركبت كل جماعة سفينة منفصلة. و سافروا الى الحجاز فحجوا و زاروا ثم عادوا الى و طنهم فى شعبان ١٢٣٩هـ .

الهجرة و الجهاد

بعد العودة من الحج قضى الامام السيد احمد سنتين فى الاستعداد للهجرة و الجهاد و إعداد أتباعه و تنظيمهم لهذه الغاية السامية التى كان اختاره الله لها. فبعث صاحبيه الشاه محمد اسماعيل و الشيخ عبد الحى و غيرهما من العلماء الى أنحاء البلاد لنشر دعوة التوحيد والسنة و ارشاد الناس و ترغيبهم فى الجهاد الذى هو المخرج الاسلامى الوحيد مما كانوا فيه من الذل و الهوان . و كتب رسائل الى

العلماء و الأمراء و حكام الولايات الاسلامية ليدعوهم الى نصرة دعوته و تأييد خطته الجهاديه . فاستجاب له عدد كبير منهم .

و عين دعاته و خلفاءه من العلماء و الفقهاء فى مدن و مناطق كثيرة من البلاد ليواصلوا فيها أعمال الدعوة و الاصلاح بنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة فى الناس و تعليمهم الكتاب و السنة و تطهير عقائدهم من الرسوم الشركية و الخرافات ، و ليواصلوا دعوة المسلمين الي الهجرة من دار الحرب و حثهم على الاشتراك في الجهاد و دعمه بالرجال و المال ، و يهتموا بتجنيد الشباب و تربية المجاهدين و تدريبهم وكفالة أسرهم بعدهم . و هكذا أنشأ شبكة منظمة من مراكز جهادية تعمل فى أرجاء الهند لنشر الدعوة الاسلامية ، و تمد الحركة بالمال و الرجال و الأسلحة بطريقة سرية و تتراسل بلغة رمزية عبر المناطق التى استولى عليها أعداء الاسلام من السيخ و الانجليز. و لقد كان لهذه الشبكة التى كان يتعاون معها جميع العلماء و الفقهاء و المحدثين (١) و الأمراء المنتسبين الى مدرسة الامام الشاه ولى الله الدهلوى خاصة، دور أساسى فى احياء دعوة الجهاد و دعمه و تمويله و المحافظة على الأنشطة و العمليات الجهادية ضد قوتين هما السيخ و الانجليز لمدة تقارب قرنا كاملا و عبر أجيال ثلاثة !

و تقرر رأى السيد احمد و أصحابه علي الهجرة الى مناطق القبائل الحرة القاطنة على الحدود بين البنجاب و بين افغانستان (التى

---

(١) أبرزهم عمدة المحدثين الشاه محمد اسحاق الدهلوى و شقيقه المحدث الشاه محمد يعقوب الدهلوى وهما سبطا العلامة عبد العزيز ، ثم شيخ الكل المحدث السيد نذير حسين الدهلوى و تلاميذهم ، رحمهم الله جميعاً .

يتكون منها الآن إقليم الحدود الشمالية الغربية بباكستان) لكونها بعيدة عن نفوذ الانجليز، و لطبيعتها المكونة من جبال و هضاب و وديان و أنهار تناسب تنظيم عمليات القتال و المقاومة ، و لأن أهلها مسلمون معروفون بالفروسية و الغزو و القتال و حب الحرية . وكان بعض رؤساء هذه القبائل دعوه الى الهجرة اليها فاستحسن السيد و أتباعه هذا الاقتراح، و اتفقوا على الهجرة اليها و اتخاذها مركزا لدعوته و تنظيم عمليات الجهاد منها. و شملت خطته تحرير الحدود الشمالية و البنجاب و كشمير من السيخ أولا ثم تحرير الهند كلها من الاستعمار الانجليزى . (راجع الخريطة)

و خرج السيد الامام من وطنه في ٧ جمادى الاخرة ١٢٤١هـ (١٧يناير ١٨٢٦م) بأول قافلة تتكون من خمسمائة الى ستمائة مجاهد من كبار العلماء و الوجهاء و الشبان ، و وزعهم الى خمس وحدات :

١- القلب : (وحدة خاصة) و يسير فيها السيد الامام نفسه و رئيسها الشيخ محمد يوسف الفلتى معاونه الخاص .
٢- المقدّمة : تتقدم القافلة ، و رئيسها العلامة الشاه محمد اسماعيل.
٣- الميمنة: رئيسها المجاهد أمجد خان.
٤- الميسرة : رئيسها السيد محمد يعقوب ابن اخى السيد الامام . خلفه فى تونك لبعض الأمور فناب عنه الشيخ بدهن.
٥- الساقة: فيها العجلات و المراكب . كان رئيسها المجاهد الله بخش الموررانوى.

و اضطره استيلاء السِّيخ الكفار الشديدى العداوة للمسلمين و الموالين للمستعمر الانجليزى على البنجاب التى تعترض طريقهم ،

الى سلوك طريق السند فبلوجستان ليدخلوا من ممرّ بولان الى افغانستان مارين بقندهار و غزني و كابل، و من ثمّ يعودوا بطريق جلال اباد إلى الحدود الشمالية الغربية و تقدر مسافة هذا الطريق الطويل الملتوى بحوالى أربعة الاف كيلومتر ، و تتخللها صحارى شاسعة قاحلة و مسالك و أودية وعرة و جبال شاهقة جرداء مع أنواع من الأخطار و العقبات من قلة الزاد و الماء وشدة الحرّ اللافح و الشمس المحرقة و السفر المتواصل المضنى . و لكنها لم تثبط هؤلاء المؤمنين الصادقين و المجاهدين الربانيين ، و كان اكثرهم مشاة ، عن خطة الجهاد فى سبيل الله لنصرة الاسلام و المسلمين المقهورين و تخليص بلادهم من أعداء الله . و لم يشكُ أحد منهم شيئا ، و لا تخلف عن القافلة مجاهد و لانقص عددهم فى الطريق . كان كل منهم صابرا محتسبا حريصا على الوفاء بما عاهد الله عليه ، و أسوة لغيره فى حسن الخلق والصبر و الايثار على نفسه و انضم اليهم فى الطريق مجاهدون آخرون . و انضم اليهم مائتا مجاهد من قندهار و من أهل الحدود الشمالية عدد لابأس به . فصار عددهم عند انتهاء الرحلة ثلاثة أضعاف.

قطعت القافلة هذه المسافات الطويلة فى حوالى عشرة أشهر ، و وصلت بشاور عاصمة الحدود الشمالية الغربية ، و بقيت فيها ثلاثة أيام ثم غادرتها الى بلدة نوشهره ، و صلتها في ١٨ جمادى الآخرة ١٢٤٢هـ (١٨ ديسمبر ١٨٢٦م) ، و عددها ألف و خمسمائة مجاهد . و أمرهم السيد الامام بالنزول بها، دون أن يضعوا أسلحتهم لاقتراب العدوّ منهم . و اتخذها أول معسكر لجيشه الاسلامى .

أول معركة مع المشركين

و كان عدوّ المسلمين راجه رنجيت سنغ الوثنى حاكم البنجاب يتابع أخبارهم . و أرسل اليه السيد الامام رسالة - متبعا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه فى غزواته - يدعوه الى ثلاث : الاسلام أوّلا، او الانقياد له و أداء الجزية اذا أبى، و القتال اذا رفض. و أخبره فيها أن الموت فى سبيل الله أحب اليه و الى أتباعه من الخمر اليهم . فتجاهل هذه الرسالة ولم يحفل بها . و أرسل قائده بده سنغ لقتالهم على رأس جيش يقارب عدده عشرة الاف مقاتل مسلّح، فعسكر فى قرية اكوره على بعد نحو عشرة كيلومترات من الجيش الاسلامى .

و شاور السيد الامام أصحابه و أعد عدته ، و رأى أن يبيّت العدو ليلا فى معسكره ليمنع تقدمه ويلحق برجاله الضرر . فاختار ٩٠٠ مجاهد و فرقهم فى وحدات مختلفة و أمرهم بالمسير الى العدو بقيادة المجاهد البطل الله بخش خان المورانوى و جعل المولوى امير الدين الولائتى مستشارا له و كان فطنا خبيرا بشؤون المنطقة . فبلغوا معسكر العدو بعد منتصف الليل . و ما أن دقت الساعة ثلاثا حتى أغاروا عليهم مكبرين و وضعوا فيهم السيف فأصيبوا بالهلع و الذعر، و أطلق أحد حراس العدو بندوقية اصابت الشيخ باقر على العظيم آبادى و كان عمره ١٩سنة . فكان اول شهيد من جيش السيد الامام . و قتل من الكفار سبع مائة مقاتل و كان عدد الجرحى اكثر من ذلك ، و لاذوا بالفرار . و لم يستشهد من المجاهدين الا بضعة و سبعون رجلا و أصيب ٤٠ منهم بجروح .

و كان لانتصار الجيش الاسلامى فى أول معاركه على جيش نظامى يزيد عليه عدده و عدته عشرة أضعاف ، آثار طيبة فى تنظيم الدعوة و جمع كلمة المسلمين من اهالى المنطقة الذين أقبلوا يبايعون السيد الامام فرادى و جماعات و فيهم رؤساء العشائر و أمراء القبائل و المناطق . و اشتدت الحاجة الى تنظيمهم و تربيتهم على السمع و الطاعة و أخذهم بأحكام الكتاب و السنة حتى يتم الاستعداد لمواجهة المراحل القادمة للجهاد . فتم مبايعة السيد الامام بالامارة و الجهاد و على السمع و الطاعة فى ١٢ جمادى الاخرة ١٢٤٢ هـ (١١ يناير ١٨٢٧م) الخميس و في اليوم الثانى قرئ اسمه فى خطبة الجمعة و ازداد عدد الجيش الاسلامى الى أكثر من مائة ألف مقاتل .

و مجاهدان عربيان !

و الجدير بالذكر انه اشترك فى هذا الجيش مع المجاهدين الهنود و الأفغان مجاهدان عربيان هما محمد بن عرب و فرج الله الشيدى . كانا بايعا السيد الامام فى الحجاز اثناء رحلة الحج . فقدما معه للاشتراك فى الجهاد . و عرفا بالاخلاص و الشجاعة . كان محمد بن عرب يحمل راية الجيش التى سميت فتح الله و نقشت عليها آيات القرآن :

يايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم .
تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله باموالكم و
انفسكم ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون (إلى آخر سورة الصف)

و استشهد على يد بعض المنافقين فى مؤامرة أهل سمه. فسلمت الراية لزميله المجاهد فرج الله الشيدى الذى استشهد بعده فى حرب بالاكوت. (جماعت مجاهدين للشيخ غلام رسول مهر ص ٢٤ و ٢٦٥).

نحن الذين بايعوا محمدا !

و كان المجاهدون يذكرون الله كثيرا، و كان عادتهم عندما تقترب معركة و يحين القتال انهم يتلون آيات قرآنية و أحاديث نبوية فى الحث على الجهاد و قتال الكفار و ضرب رقابهم. و كانوا يرتجزون عند اشتعال المعارك و اشتباك الفريقين أراجيز و قصائد جهادية أشهرها القصيدة الجهادية التى نظمها الشيخ المجاهد خرم على البلهورى باللغة الاردية، و القصيدة الجهادية للشاعر مومن خان و قصائد جهادية أخرى باللغة الفارسية . و كانوا ينشدون :

نــحــن الذين بايـعوا محمدا   على الجهاد مـا بــقينا أبـدا

و كذلك :

و الله لــولا الله مـا اهتدينا   و لاصـمــنا و لاصــلـيـنـا
فـــأنزلن ســـكينة عـلـينا   و ثـبـت الأقـــدام ان لاقينا
و المــشركون قد بـغوا علينا   إن أرادوا فـتـنــة أبـــينا

دولة اسلامية

و بقى السيد الامام و أصحابه المخلصون يعلمون المسلمين دينهم و يجمعونهم على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و يربونهم على الجهاد و الثبات فى وجه العدو و الاستقامة على الحق. و أقاموا دولة اسلامية نفذوا فيها أحكام الشريعة ، فنصب الأمراء والمحتسبين و المعلمين و القضاة. و كان يكتب الرسائل الى جميع الأمراء و العلماء و الوجهاء فى أنحاء الهند و أفغانستان و تركستان و غيرها من البلاد المجاورة يذكرهم فيها فريضة الجهاد

الشرعي ، ويدعوهم الى التعاون و التناصر لتحرير بلاد المسلمين (البنجاب و كشمير من السيخ أولا ثم بقية مناطق الهند من احتلال الانجليز).

الحياة في معسكر الجيش الاسلامي

وصف العلامة السيد ابوالحسن على الندوى الحياة فى معسكر الجيش الاسلامى الذى ضم المهاجرين الذين جاؤوا من الهند و افغانستان و الأنصار من أهل المنطقة بقوله :

" و كان المجاهدون يعيشون حياة طبيعية إسلامية، لا تكلف فيها و لاصنعة بعيدين عن الكبرياء و الخيلاء و الأعراف الجاهلية التى آمن بها المسلمون و تمسكوا بها فى عهد حكمهم، و أوج المدنية العجمية المصطنعة ، كالنخوة الجاهلية ، و التعبير بالأنساب و الحرف ، و التقزز من الأعمال التى يباشرها الفقراء ، و أهل الطبقات السافلة ، و الحرف الوضيعة . فكان كل واحد يخدم صاحبه، و يتعاون معه فى كل ما يحتاج إليه ، وكان بعضهم يحلق شعر بعض ، و يغسل ثيابه ، و يطحن الحبوب ، و يطبخ الطعام ، و يقطع الخشب، و يعلف الدواب ، و يمسح الخيل ، و يواسى المرضى ، و يحمل القاذورات ، و يكون فى مهنة صاحبه ، من خياطة و ترقيع ، وخصف النعال ، ينامون على الأرض، و يتحملون المشاق ، و لايعرفون البذاء و فحش الكلام ، و سلاطة اللسان، و الغيبة و النميمة ، و الحسد و البغضاء ، قد تلاقت قلوبهم و تحابوا فى الله ، و كان فيهم الذين نشأوا فى التنعم و رخاء العيش و رقة الحياة بين خدم و حشم ، و فى عطف الآباء و حنان الأمهات ، و حب المحبين و إجلال المريدين ، و

لكنهم قد شاركوا إخوانهم فى الضيق والسعة ، و تعاونوا معهم فى الخدمة و المشقة.

و الذين جاءوا من بعدهم من الهند ، ولم يألفوا هذه الحياة، و لم يتخلقوا بهذه الأخلاق و لم ينشأوا فى أحضان الأمير المربى ، ظلوا أياماً يتعيرون من مباشرة مثل هذه الأعمال ، و قالوا إنها أعمال الأراذل و سفلة الناس، و إنها لا تليق بالأشراف ، و أهل الأنساب و البيوتات ، و يفطن لذلك السيد ، و كان من عادته أنه لايخص أحدا بنصح أو ملام ، بل يعمم ذلك ، و يوجه الخطاب العام متخلقا بالخلق النبوى الكريم ، و يضرب لذلك الأمثال الحكيمة و يحكى أخباره .

و كان السيد الامام يشارك المجاهدين فى جميع أعمالهم فرأى مرة الشيخ الهى بخش الرامبورى يدير الرحى و يطحن الحبوب فجلس معه يدير الرحى و يطحن و قال : انى باشرت الطحن فى مكة و أحب ان أباشره كذلك . و شاع فى الناس أنّ السيد يباشر الطحن، فاجتمع الناس ، و صار من كان يتعير من هذا العمل يعتز به وينشط له. و إذا نفد الوقود فى يوم من الأيام أمر باحضار الفؤوس ، و توجه إلى الغابة ، و رافقه الناس يحملون الفؤوس . و يطير هذا فى الجيش فيجتمع الناس و يقطعون الخشب اقتداء بأميرهم و يحملونه إلى المعسكر .

و كان إذا نفد الماء فى العسكر ، ذهب ليستقى لهم

وحمل القربة، فيقلده الناس و يحملون القرب والجرار، و يجلبون الماء إلى المعسكر، و قد يحمل الأحجار الثقيلة من شاطئ النهر ليبلط بها صحن المسجد، ولا يرضى أن ياخذها منه أحد تخفيفا له ، و يقول : هل تمنعونى عن أعمال البر، و تريدون أن تتملقونى كما يتملق الندماء أمراءهم و سادتهم . و قد يحمل من الأحجار لقوته ما يعجز عنه الأقوياء من العسكر .

و هكذا كان شأن الشيخ إسماعيل الشهيد فكان مقدماً فى هذه الأعمال الشاقة سباقاً إلى الخيرات ، مشاركا للمجاهدين فى جميع أعمالهم ، لا يتميز عنهم بشئ .

و قد انطلقت موجة المواساة و المشاركة فى المعسكر الاسلامى ، و صار الناس يتنافسون فى كل ما يريح إخوانهم، و يعينهم ، وقد روى المؤلفون فى تاريخ هذه الجماعة و الذين رجعوا إلى الهند، و طالت بهم الحياة أخباراً كثيرة و قصصاً عجيبة من هذه المساواة و المواساة و الأخوة الصادقة ، و الايثار على النفس ، و الانصاف منها ، والخضوع للأحكام الشرعية ، و الامانة و العفاف." (إذا هبت ريح الايمان ص ١٣ -١١٩)

و جاء دور المنافقين !

ثم نشبت معركة أخرى بين الفريقين فى شيدو كان النصر فيها ايضا حليف المسلمين ، و جعل الكفار يفرون اذ نكص أحد أمراء العشائر

المحلية الخونة فى أثناء القتال و تراجع و فر برجاله . و كان تواطأ العدو سرا و خيانة . فانقلب الوضع و أصيب المسلمون بخسائر فادحة .

و كان ذلك الخائن قبل ذلك دس سما فى طعام السيد الامام ليقتله ولكن الله شفاه.

وكان السيد الامام بعث دعاته فى مدن و مناطق عديدة فى الهند يقومون باعمال الدعوة و الارشاد و نشر عقيدة التوحيد وحث المسلمين على الهجرة و الجهاد و نصرة إخوانهم المجاهدين ، فكانت تصل اليهم مساعدات و تلحق بهم قوافل جديدة من متطوعين للاشتراك فى الجهاد .

ثم اضطر الى تأديب بعض الأمراء المحليين المنافقين الخونة الذين أصروا على محاربة المجاهدين و التآمر عليهم، و أثاروا الفتن، بعدما بايعوه علي السمع و الطاعة و أكدوا له أنهم أنصاره. فكتب الله له عليهم النصر و أمكنه منهم ، فقتل بعضهم جزاء بغيهم و استتاب آخرين .

يرفض مصالحة الحكم الوثنى !

و ازداد حاكم البنجاب الوثنى راجه رنجيت سنغ خوفا و قلقا من حركة السيد الامام و التفاف المسلمين حوله و توسع نشاطاته الجهادية . فقرر أن يتفاهم معه للوصول الى مصالحة و إرضائه بقطعة من الأرض يقيم عليها إمارته حتى يتخلص بذلك من خطره و يستريح من جهته . فأرسل جيشا بقيادة ثلاثة من قواده المعروفين شيرسنغ و فينتورا الفرنسى و ايلارد الانجليزى، و بعث وفدا دبلوماسيا آخر بقيادة سفيره الحكيم عزيز

الدين مع أحد أقاربه وزيرسنغ و كلفه مفاوضة السيد الامام على المصالحة. فعرض عليه الوفد أن يقنع بالمنطقة التى وراء نهر السند و يقيم بها إمارته و يشتغل فيها بالعبادة و الدعوة و يتخلى عن خطة الجهاد و القتال ولايتدخل فى المناطق الأخرى، و بهذا الصلح سيتفادى الفريقان من الخسائر و الأضرار التى سيسببها القتال و الحروب .

فأحسن السيد الامام معاملة الوفد و رفض عرضه و شرح له حكم الجهاد فى الاسلام و غاية تشريعه و أنه لا ينتهى حتى لاتكون فتنة و يكون الدين كله لله ، و اكد له أنه لا يريد بالجهاد فى سبيل الله مالا و لا ملكا ، و انما يريد تطهير بلاد المسلمين من حكم الكفار و يريد أن تكون كلمة الله هى العليا .

و تأثر وزيرسنغ بحسن خلق الامام و أعجب بسمو سيرته و رسالته جدا و أسلم ، و لكنه رأى من المصلحة اخفاء إسلامه . و كان ينصح الامام سراً بابلاغه أنباء مهمة و يساعد من يمرّ به من المجاهدين أحيانا.

و لم يزل فى هذه المدة ينشر دعوة التوحيد و التمسك بالسنة و يدعو الى هجر البدع و الرسوم الفاسدة ، ويهتم بتطبيق النظام الشرعى على منهاج الخلافة الراشدة بنصب الدعاة و القضاة و الجباة و المحتسبين ، و يتصل بأمراء النواحى و رؤساء القبائل و علماءهم و يزورهم و يجتمع بهم و يتذاكر معهم ليأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر، و يحثهم على إقامة حكم الله فى ولايتهم، و يسعى لازالة ما بينهم من أحقاد و عداوات قبلية قديمة ليصلح ذات بينهم و يؤلف قلوبهم على الدين و التقوى. وظل يراسل السلاطين و الأمراء و الرؤساء و الحكام

المسلمين فى البلاد و المناطق الأخرى و يحذرهم من خطر الاستعمار و استيلاء الكفار و يذكرهم مسئووليتهم عن نصر الجهاد و تنفيذ الشريعة.

كانت تلك القبائل و العشائر الافغانية متمسكة بعادات و تقاليد سيئة و منكرات شنيعة تتوارثها جيلا بعد جيل ، منها :

١- انهم كانوا يزوجون بناتهم بمبالغ كبيرة كأنه البيع و الشراء ، و اذا عجز العريس عن تسديد ما عليه من المبالغ تحبس عنه زوجته. فتمضى أزمان و تصير البنات عوانس و يشيب الرجال فى جمع المبالغ المفروضة عليهم .

٢- كانوا لايورّثون البنات من تركة الميت.

٣- كانوا يقسمون نساء الميت بين الورثة مثل تركته من مال أو عقار.

٤- كان كثير من رؤساء القبائل و غيرهم ينكحون أكثر من أربع نساء فى وقت واحد .

٥- كان إذا توفى أحد ياتى أهله بمصحف و مبلغ قبل الصلاة عليه و دفنه، فتجلس جماعة من الفقهاء والدراويش و يتناولونهما يدا بيد و يديرونهما بينهم سبع مرات ثم يقبلونهما كفارة عن ذنوب الميت و عما تركه فى حياته من صلوات . و يسمونه اسقاطا.

٦- كانوا يتهاونون فى التزام الفرائض الشرعية من الصلاة والزكاة و غيرهما و كان جل اعتمادهم على الفقهاء و الدراويش الذين كانوا لايعرفون من العلوم الاسلامية الا الفقه و العلوم العقلية. و كانوا رهن اشارة الرؤساء ليبرّروا ما يفعلونه، حقا كان أم باطلا.

٧- كان كثير من الرؤساء يفسدون فى الأرض و يقطعون الطريق و

يشنون الغارات لنهب الاموال و قتل الأبرياء . و كانوا يستحلون كل ذلك، و يرونه كسبا مشروعا بل جهادا و شجاعة.

٨- استحكمت فيهم العصبية القبلية و حمية الجاهلية و نخوتها.

٩- كان اكثر الرؤساء والأمراء يجرون وراء مصالحهم الشخصية و المنافع الفردية العاجلة و يقدمونها على مصلحة الاسلام و المسلمين .

و كان من الطبيعى أن يسعى السيد الامام لإزالة هذه المنكرات التى تنافى أحكام الشريعة و اصلاح ما فيها من فساد و باطل، و يدعوهم الي تركها بعدما بايعوه علي السمع و الطاعة و اختاروه اماما لهم. و كان من واجبه أن يكلف من عينهم من الدعاة و القضاة و المحتسبين القيام بازالتها عملا بقوله تعالى:

اَلَّذِينَ اِنْ مَكَنَّاهُم فِى الأرضِ أقامُوا الصَّلاةَ و آتَوُا الزكَاةَ و أمَرُوا بالمعروف و نَهَوا عن المنكَر و لله عَاقِبَةُ الأمُورِ (الحج: ٤١) .

فبذل هو و أصحابه العلماء جهدهم فى ذم هذه المنكرات و انكارها، و قام عماله بازالتها، و اهتموا بتزويج الأيامى و العوانس و تسليم الفتيات المنكوحات لأزواجهن، و توريث البنات ، و منعوا بيعهن، و اهتموا بردع المفسدين و معاقبة المعتدين و ردّ المظالم و تنفيذ الحدود الشرعية و إعانة المظلومين . و دعوا الناس الى إقامة الصلوات و المحافظة عليها و التزام الجماعة، و أداء الزكاة و العشر.

مؤامرة رهيبة

ولكن كثيرا من رؤساء القبائل المحلية أغواهم الشيطان، و شق عليهم المحافظة على الصلوات و وأداء الزكاة و العشر و ترك الرسوم

الفاسدة التى تمسكوا بها لأنهم وجدوا آباءهم عليها. فلم يعرفوا قيمة هذه الدعوة الاسلامية التى نزلت أرضهم، و لم يدركوا فضل هؤلاء المجاهدين على الأمة المسلمة . فظنوا النظام الاسلامى مزاحما لحكمهم و قاضيا علي ما يملكون من سلطة مطلقة و مانعا لهم من تصرفاتهم الفاسدة. و جعلوا يتفكرون فى التخلص منهم، و حملهم جهلهم و نفاقهم على نكث البيعة وموالاة السيخ المشركين و الغدر بهذا الامام المجدد الربانى و أتباعه المهاجرين المجاهدين المخلصين لله و للأمة المسلمة. و شاركهم فى التحريض عليهم جماعة من الشيوخ المحترفين المبتدعين الذين كانوا يأكلون اموال الناس بالباطل و يصدونهم عن سبيل الله و يرون نجاح هذه الدعوة الاسلامية الصافية خطرا على خرافاتهم . فدبروا مؤامرة واسعة رهيبة ، و تواعدوا يوما يقتلون فيه المجاهدين الذين كانوا مشغولين فى أعمال الدعوة و القضاء و الحسبة و الجباية فى أماكن متفرقة متباعدة ، فى وقت واحد. فنفذوا المؤامرة و قتلوا عددا كبيرا من المجاهدين و المهاجرين و فيهم القضاة و العلماء و الأولياء ، قتلوهم بقسوة و ضراوة قل نظيرها حتى قتلوا بعضهم وهم فى الصلاة راكعون او ساجدون ! ولم ينج منهم الاعدد قليل ، رحمهم الله جميعا و رفع درجاتهم.

مشهد بالاكوت

تأثر السيد الامام بهذه المجزرة التى قتل فيها خيار المجاهدين، و يئس من أهل هذه المنطقة، و قرر الانتقال منها الى كشمير ليتخذها قاعدة لحركته و منطلقا لدعوته . فتوجه بجيشه اليها. و كان العدو يتابع تحركاته . و لما علم أنه متوجه الى كشمير أرسل جيشا كبيرا بقيادة ابنه شير سنغ. فنشبت بين الفريقين معركة شديدة فى قرية بالاكوت بوادى كاغان فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٤٦هـ ٦ مايو ١٨٣١م)

الجمعة. استشهد فيها الامامان المجاهدان السيد احمد بن عرفان الحسنى و الشيخ الشاه محمد اسماعيل ابن الشيخ الشاه عبد الغنى ابن الامام الشاه ولى الله الدهلوى و استشهد معهما أكثر المجاهدين و المهاجرين بعد ما قاتلوا العدو بشجاعة نادرة رحمهم الله جميعا.

مميزات دعوته

قضى السيد الامام و أصحابه المجاهدون في هذه المنطقة زهاء أربع سنوات تتابعت فيها مناوشات و معارك ملتهبة مع العدو السيخ المشركين ، و أخرى مع المنافقين الخونة من الأمراء المحليين . و كانوا يخوضون معركة بعد أخرى قلما وجدوا فرصة ينعمون فيها بالاستقرار و الأمن، و تعرضوا لأنواع من المصائب و الشدائد مع قلة الوسائل المالية و الزاد و شظف العيش . و لكنهم رغم ذلك سجلوا أمثلة رائعة من الثقة بالله و حب الدين و شوق الجهاد فى سبيله و الحنين الى الشهادة و حسن العبادة و التمسك بالسنة و التزام الآداب الاسلامية فى السلم و الحرب، و الصبر و الأمانة و النزاهة و العفاف و الشجاعة و الكفاءة الحربية، ما جدّدوا به ذكريات أسلافهم فى القرون الأولى. و قد ذكر بعض نماذجها العلامة السيد أبوالحسن على الندوى فى كتابه "اذا هبت ريح الايمان" و أشار الى الصفات والخصائص التى تميزت بها حركتهم الجهادية و الاصلاحية بقوله:

" و من خصائص دعوته و جماعته التى تلفت النظر أنها كانت تجمع بين جهاد النفس و جهاد العدو ، و بين الحب لله و البغض لله ، و بين الزهد و العبادة ، و الحميّة الدينية و العزة الاسلامية ، و بين السيف و المصحف، و العقل و العاطفة ، و بين التسبيح فى المسجد و البيت فى ظلام الليل ، و بين التكبير فى ساحة الجهاد على صهوات الخيل ، و بين الدعوة الى الدين الخالص و

تصحيح العقيدة، و التربية الاسلامية الصحيحة ، و بين تطبيق الشريعة الاسلامية و تنفيذ حدود الله ، و اقامة الحكومة على منهاج الخلافة الراشدة ، و تكوين المجتمع الاسلامى المتكامل، و العمل بقوله تعالى : و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله.

و من مآثره الجلية انه احيا ركن الاسلام، الجهاد فى سبيل الله ، حسب تعاليم الاسلام و آدابه ، و طريقة النبى صلى الله عليه وسلم و أصحابه ، بعد فترة زمنية طويلة كاد يندرس فيها هذا الركن ، و يطوى فى صحائف السنة المطهرة، و السيرة النبوية و تاريخ المجاهدين الأولين و الغزاة المخلصين الذين كانوا يقاتلون لتكون كلمة الله هى العليا، و ليكون الدين كله لله." (الامام الذى لم يوفّ حقه من الانصاف و الاعتراف ص ٢٣ للعلامة السيد ابى الحسن على الندوى)

خلفاءه يواصلون الجهاد !

فى حرب بالاكوت التى استشهد فيها امام المجاهدين السيد أحمد و قائد جيشه الشيخ الشاه محمد اسماعيل و مئات من خيار أصحابه ، أصيبت الحركة بنكسة شديدة ، و خيّم اليأس على من بقى منهم و عددهم نحو مائة مجاهد. ولكنها لم تنته ولم تمت - كما ظن أعداء الاسلام من الكفار و المنافقين - و لم تتزحزح عن دعوة الجهاد و اقامة حكم الاسلام لاعلاء كلمة الله . و لم يخفت روح الفداء و التضحية الذى كان نفخه هذا الامام المربى العظيم فى نفوس أتباعه من المهاجرين

المجاهدين معه في جبهات القتال و كذلك المقيمين في المناطق و المدن الأخرى الذين كان استخلفهم للقيام بمصالح الدعوة و الجهاد فيها من دعوة الناس الى العقيدة الصحيحة و التمسك بالكتاب و السنة ، و دعوتهم الى الهجرة و الجهاد في سبيل الله ونصرتها بالمال ، و تربية المجاهدين و ارسال المساعدات لهم.

فثبتهم الله و أفاقوا من دهشة الهزيمة في وقت قريب ، و عادوا ينظمون صفوفهم، و اختاروا الشيخ ولي محمد الفلتي أميرا لهم . ثم خلفه الشيخ نصير الدين المنغلوري. و استانفوا عمليات الجهاد.

و يدافعون عن أفغانستان !

ثم تولى القيادة المجاهد الشيخ السيد نصير الدين الدهلوي سبط الشاه رفيع الدين ابن الامام الشاه ولي الله الدهلوي و صهر المحدث الشاه محمد اسحاق، فنفخ في الحركة حياة جديدة و أعاد اليها القوة و النشاط ، و قام بجولات واسعة في أنحاء البلاد و راسل العلماء و الأمراء المسلمين لينبههم من الغفلة و يدعوهم الي تأييد دعوة الاسلام و يحثهم على الهجرة و الجهاد و نصرة المجاهدين لمقاومة السيخ و الاستعمار الانجليزي. فاستطاع أن ينظم قافلة عظيمة من المجاهدين و توجه بها في ٣ ذي الحجة ١٢٥٠ هـ (٢ ابريل ١٨٣٥م) الى السند في طريقه الى الحدود الشمالية.

و قضى في السند و أطراف ملتان نحو أربع سنوات يحث العلماء و المشايخ و الأمراء على الجهاد و ينظم و يقود العمليات و المعارك ضد حاكم البنجاب الوثني الطاغية راجه رنجيت سنغ الذي كان يحاول بسط استيلائه و توسيع حكومته الى تلك المنطقة أيضا . ثم توجه بالمهاجرين الى بلوچستان .

و كانت مدينة بشاور و ما جاورها سقطت بأيدى السّيخ الكفار . و كان الانجليز و السيخ يخططون الهجوم علي افغانستان ليعيدوا عميلهم شاه شجاع ملكا عليها. و لما رأى السيد نصير الدين الدهلوى أن استقلال أفغانستان معرض للخطر، قرّر أن يتعاون مع ملكها الأمير دوست محمد خان و يشترك بجيشه فى الدفاع عنها. فأرسل الحاكم البريطانى بالهند جيشا جرارا مجهزا بأحدث الأسلحة . و نشبت بين الجيشين حرب شديدة أسفرت عن انتصار الانجليز، فتوجوا شاه شجاع ملكا علي أفغانستان . و استشهد فى هذه الحرب مع إخوانهم الأفغان ، نحو ثلثمائة في غزنة و نحو الف في كابل من المجاهدين الهنود. حدث ذلك في ١٨٣٩م. و وصل السيد نصير الدين الدهلوى بمن بقى منهم حيا و عددهم قليل الى مقر الجماعة فى ستهانه. و توفى هناك بعد مدة قليلة رحمهم الله جميعا.

و لكن شاه شجاع أساء معاملة شعبه و اعتدى الانجليز على الوجهاء و العظماء، و أذاقوهم أنواعا من الشدائد و المظالم. فثار الشعب الأفغانى و انتفض انتفاضة شديدة. فقتلوا الملك العميل و سفير بريطانيا و وكيلها. و حاول جيشها الذى لايقل عدده عن عدة آلاف جندى الانسحاب بطريق جلال آباد ، فأعمل المجاهدون فيهم السيف و لم ينج منهم غير جندى واحد هو الدكتور برايدون الذي كان الناجى الوحيد ليخبر العالم بمصير الجيش الاستعمارى .

دولة اسلامية اخرى !

ثم انتقلت قيادة المجاهدين الى أسرة الشيخ فتح على التى تعرف بأسرة صادق فور (لسكنها بحىّ صادق فور بمدينة عظيم آباد المعروفة

الآن باسم بتنه باقليم بهار بالهند). و هي أسرة علمية ربانية مجاهدة ينتهى نسبها الي سيدنا الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلي الله عليه وسلم . كانت ذات يسار و ثروة و شرف عظيم . كانت هى مع أسرة الشيخ الهى بخش (التى ينتهى نسبها الى سيدنا جعفر الطيار ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم)، فى طليعة أنصار الامام السيد احمد . و صارت منازلهما المركز الرئيسى لتنظيم حركة الجهاد . و قدمتا خدمات عظيمة لا نظير لها فى نشر الدعوة الاسلامية و عقيدة التوحيد الصافية و انكار المنكرات و الرسوم الفاسدة ، و بث دعوة الهجرة من دار الحرب و مقاطعة نظام الاستعمار و عدم التحاكم الى محاكمه، و بث حبّ الجهاد و الشهادة فى سبيل الله، و تربية المجاهدين و تدريبهم و ترحيل أفواجهم و المساعدات المالية و الأسلحة الى مقر الحركة فى الحدود الشمالية الحرة . و لم يزل هؤلاء الأبطال يقومون بهذه الأعمال و الخدمات لمدة لاتقل عن نصف قرن بمهارة و دقة سرية عجزت الحكومة الانجليزية عن مقاومتها و القضاء عليها رغم جميع وسائل الاغراء و التهديد والتعذيب التى استعملتها .

و كان من الأبطال العظماء الذين أنجبتهم مدينة عظيم آباد (بتنه) و تولوا قيادة هذه الحركة الاسلامية الجهادية العالم المصلح الشيخ ولايت على العظيم آبادى و شقيقه الأصغر العالم الربانى عنايت على العظيم آبادى ابنا الشيخ فتح على، و الشاه محمد حسين و من أبناء الشيخ الهى بخش المجاهدين الصالحين الشيخ احمد الله والشيخ فياض على و الشيخ يحيى على ، و الشيخ عبدالله و الشيخ عبدالكريم ابنا الشيخ ولايت على العظيم آبادى .

كان المجاهدان الشقيقان الشيخ ولايت على العظيم آبادى و الشيخ عنايت على العظيم آبادى أبرز الخلفاء الذين استخلفهم الامام السيد احمد الشهيد لمواصلة أعمال الدعوة. فكان لهما جهود عظيمة موفقة فى نشر دعوة الاسلام و اصلاح الخلق و تطهير المجتمع من المنكرات و الرسوم الشركية و بث دعوة الهجرة و الجهاد فى أنحاء البلاد و خاصة بمناطق البنغال و بهار و دكن . فاتجهت اليهما أنظار المجاهدين بعد وفاة الشيخ السيد نصير الدين الدهلوى و التمسوا منهما الحضور الى مركز الجماعة لقيادتها. و كانت حكومة السِّيخ المشركين فى البنجاب و كشمير و الحدود الشمالية ضعفت و فقدت سيطرتها على الأطراف . وجعل الأمراء المسلمون فى اكثر المناطق يسعون للتخلص من الحكم الوثنى الظالم . و كتب ضامن شاه أمير كاغان رسائل الى الشيخ ولايت على يستنصره على الكفار و يلتمس منه أن يتولى قيادة المجاهدين . فأمر شقيقه الشيخ عنايت على أن يتوجه على رأس كتيبة تضم ٢٠٠٠ مجاهد فرقهم الى جماعات صغيرة متفرقة تشمل كل جماعة أربعة أو خمسة او ستة مجاهدين حرصا على إخفاءهم من مخابرات الاستعمار الانجليزى و حكومة السِّيخ . فتوجهوا فى جمادى الأخرى ١٢٥٩هـ (يوليو ١٨٤٣م) و وصلوا الى مركز الجماعة بعد خمسة أو ستة شهور .

فتح هزارا : فأعاد الشيخ عنايت على تنظيم المجاهدين و اهتم بتصعيد عمليات الجهاد و أرسل أفواجا لنصرة الأمراء المحليين فاستطاع فتح بالاكوت و ما جاورها. ثم هزموا جيشا كبيرا مؤلفا من ستة الاف جندى من المشركين مع أعوانهم المحليين فى معركة شديدة نشبت فى فتح كره و ألحقوا بهم أضرارا شديدة و فتحوا مناطق هزارا كلها.

فتح جزء من كشمير : و أرسل فوجا يضم اكثر من ٢٠٠

مجاهد بقيادة الشيخ مقصود على الى كشمير فهزموا جيش المشركين فى معركة وقعت بقرب مظفر آباد (عاصمة كشمير الحرة حاليا) و فتحوا جزءا من كشمير حتى مظفر آباد . و استبشر بذلك حاكم السِّيخ على كشمير الشيخ امام الدين و هو مسلم و أرسل رسائله الى أمير المجاهدين الشيخ عنايت على أبدى فيها رغبته فى تأييد المجاهدين و كذلك وصلت رسائل التهنئة و التأييد من ملك افغانستان الأمير دوست محمد خان و ابنه محمد اكبرخان .

و هكذا فتحت رقعة واسعة أقام فيها أمير المجاهدين الشيخ عنايت على النظام الشرعى ونفذ أحكام الشريعة و حدودها و نصب الاحتساب و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و نظم التعليم و الإفتاء لارشاد الناس و تعليمهم و عين المعلمين و الأئمة و القضاة . و استراح الناس من ظلم الحكم الوثنى وهمجية المشركين و قساوتهم . ثم وصل الشيخ ولايت على بقافلة أخرى من المجاهدين فى ١٧شوال سنة ١٢٦٢هـ (٩ اكتوبر ١٨٤٦م) فسلّم اليه الشيخ عنايت على امارة المجاهدين و بايعه هو و أمراء المناطق المفتوحة على السمع و الطاعة .

و دامت هذه الدولة الاسلامية التى قامت بامارة الشيخ عنايت على ثم بامارة شقيقه الأكبر الشيخ ولايت على و قاعدتها اسلام كره (فتح كره سابقا غيروا اسمها بعد فتحها) مدة قصيرة تزيد على سنتين فقط .

و يحاربون الاستعمار البريطانى

كانت جميع الغارات و المعارك و الحروب التى خاضها المجاهدون حتى الآن (ما عدا حرب أفغانستان التى سلف ذكرها) طوال هذه المدة التى تقارب ربع قرن منذ بداية الحركة بقيادة الامام السيد أحمد الشهيد ، موجهة لمحاربة حكومة السِّيخ المشركين التى كانت تحكم البنجاب و الحدود الشمالية و كشمير . و نهكتها هذه المعارك و غيرها من المشاكل الداخلية و انهارت و استولى الاستعمار البريطانى على هذه المناطق أيضا . فصار هدفا مباشرا لحملات المجاهدين .

حرب دُبّ

ثم وقعت فى بداية ١٨٤٧ م حرب بممرّ دُبّ على الجبال بين كرى حبيب الله و بين مظفر آباد اشتركت فيها قوات الانجليز و السِّيخ لحرب المجاهدين ، و تمكن الانجليز بمكرهم و دهائهم من تضليل الأمراء المحليين و إغواءهم بوعود كاذبة و منعهم من نصر المجاهدين الذين تفرق جمعهم و انهزموا . و عاد الشيخان ولايت على و عنايت على الى عظيم آباد . و فرضت الحكومة الانجليزية عليهما الاقامة الجبرية لمدة سنتين مع التعهد بعدم إثارة الناس عليها . فقضيا هذه المدة فى نشر الدعوة و التعليم و تنظيم المجاهدين استعدادا للمعارك القادمة .

و لم تكد تنقضى هذه المدة حتى عادا للمرة الثالثة إلى مركز الجماعة فى بداية ١٨٥١م مع أكثر أفراد أسرتهما رجالا و نساء يزيدون على ٢٥٠ شخصا ، و وصلوا فى جماعات صغيرة متفرقة و بنية الهجرة

الدائمة . و توفى الشيخ ولايت على هناك سنة ١٨٥٢م و بقى الشيخ عنايت على يواصل جهاد الانجليز فى معارك عديدة حتى وفاته فى مارس ١٨٥٨م ، رحمهم الله جميعا .

تدمير مراكز المجاهدين

فى هذه المدة قامت قوات الاستعمار البريطانى بحملات شديدة و مكثفة متتابعة على مراكز المجاهدين و معسكراتهم بهدف القضاء التام على الحركة و معاقبة القبائل و العشائر المحلية المتعاونة معهم ، فأحرقتها و دمرتها . و قاوم المجاهدون هذه الحملات ببسالة نادرة و استشهد فيها عدد كثير منهم.

حرب امبيله

ثم آلت القيادة الى الشيخ عبد الله بن ولايت على العظيم آبادى . و تقارب مدة امارته ٤٠ سنة، واصل خلالها أعمال الدعوة و محاربة الاستعمار البريطانى بتنظيم العمليات و الغارات التى أهمها حرب امبيله التى وقعت سنة ١٨٦٣م ، و اشتركت فيها اكثر القبائل المحلية مع المجاهدين و ازدادت القوات البريطانية على عشرة آلاف جندى و منيت بخسائر كبيرة و استشهد من المجاهدين نحو ستمائة مقاتل رحمهم الله و غفر لهم . و نجح الانجليز مرة أخرى فى التحريش بين القبائل .

محاكمة قادة الحركة

و من جهة أخرى شددت الحكومة البريطانية رقابتها على أنصار

الدعوة و قبضت على كبار قادة الحركة فى أنحاء البلاد الذين كان فى مقدمتهم الشيخ احمد الله و الشيخ يحيى على و الشيخ محمد جعفر التانيسرى و الشيخ عبد الرحيم الصادقفورى و أصحابهم . و حاكمتهم فى محاكمات قاسية جائرة تذكر بتاريخ محاكم التفتيش فى أوربا. و نظمت سلسلة طويلة من التعذيب و البطش و التشريد و المطاردة و الإعدام و النفى و مصادرة الأموال و إحراق المنازل مما لانظير له فى تاريخ الأمم المتحضرة . و حكم على الشيخ يحيى على و الشيخ محمد جعفر بالاعدام مع مصادرة الأملاك ، ثم بدل بالنفى المؤبد على الأربعة مع زملائهم الى جزائر انديمان فى خليج البنغال فى المحيط الهندى . فمات الشيخان الشقيقان يحيى على و احمد الله فى المنفى ، و رجع الشيخ محمد جعفر و الشيخ عبدالرحيم مع زملائهما الى الوطن بعد أن قضوا اكثر من ١٨ سنة فى المنفى.

و توفى الشيخ عبد الله فى ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٠هـ (٢٩ نوفمبر ١٩٠٢م) ، فخلفه شقيقه الشيخ عبد الكريم و واصل اعمال الدعوة و الجهاد . و توفى سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م)و انتهى بوفاته المنهج المستقيم الذى انتهجه قادة الحركة فى مجال الدعوة و الاصلاح و الجهاد ، بعد مضى قرن كامل على بدايتها. و لم يخل زمان طوال هذه المدة المديدة- ماعدا فترات قصيرة و قليلة - من مهاجرين مجاهدين مرابطين فى الحدود و أكثرهم من أقاليم الهند الشرقية و خاصة من البنغال و بهار و وكذلك من البنجاب و منطقة الحدود المحلية . و ظلوا يدعون الى الجهاد فى سبيل الله لتحرير البلاد من احتلال الكفار، فيقتلون و يقتلون .

حركات و فتاوى لنسخ الجهاد !

كانت هذه الحركة الجهادية و الاصلاحية مصدر قلق شديد للاستعمار البريطاني فى الهند . لأنه تمكن من القضاء على حكومة السِّيخ قضاء تاما خلال مدة قصيرة ، بينما عجز عن التغلب على نشاط هؤلاء المجاهدين الفقراء العزل المهاجرين من الاقاليم النائية و لم تكن لهم حكومة و لا دولة تساندهم . و لكنهم كانوا يتميزون بحب الجهاد و الشهادة فى سبيل الله و سيماهم اتباع أحكام الشريعة و اطاعة الأمير ، و يقاتلون الكفار ببسالة نادرة. و تشاغلت الحكومة البريطانية بهم مدة طويلة رغم انها استعملت قواتها النظامية المجهزة بأحدث المعدات و الأسلحة و شنت عليهم حروبا و غارات متتابعة تعد بالعشرات خلال زمان لايقل عن نصف قرن .

و كذلك أدرك الانجليز أن الفتاوى الشرعية التى أصدرها العلماء بوجوب الجهاد على المسلمين لاستخلاص البلاد من الاحتلال الأجنبى كانت السبب المباشر و الأساس لانفجار ثورة الهند الدامية الشاملة سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٧م) و التى انتفض فيها الشعب الهندى بجميع فئاته انتفاضة عامة حتى ثارت الوحدات الوطنية من الجيش البريطانى، فكادت تذهب بحكمهم .

فكانت فكرة الجهاد عقبة رئيسية تقف فى سبيل توسع الاستعمار و ثبات حكمه ! ! فاستعمل ما استطاع من وسائل الترغيب و الترهيب و التزوير لصرف المسلمين عن هذه الفكرة و إضعاف روح الفداء والتضحية و قوة الصمود فى نفوسهم ، و القضاء على حبهم للموت و الشهادة فى سبيل الله. فظهرت حركات و جمعيات عديدة متسترة بأسماء اسلامية و

شعارات اجتماعية لبث النفاق و الفرقة فى صفوف المسلمين و نشر دعوة الاخلاص و الولاء للاستعمار البريطانى وتحريف أوامر القرآن و الحديث عن جهاد الكفار و قتالهم ، و بذلت جهدها فى تشويه سمعة المجاهدين و التشهير بقادتهم البررة الأبطال الذين يعتز بهم التاريخ الاسلامى ، و الافتراء عليهم و تفسيقهم و تكفيرهم .

١ - القاديانية

و أبرز هذه الحركات الموالية للاستعمار البريطانى التى عملت لخدمته و تحقيق أغراضه الحركة القاديانية التى أسسها مرزا غلام احمد القاديانى (نسبة الى مولده قاديان بمديرية غورداسبور بالهند) . كان أبوه و أعمامه و شقيقه يعملون فى جيش حاكم البنجاب الوثني راجه رنجيت سنغ و اشتركوا فى الحروب التى استشهد فيها قادة حركة الجهاد الامام السيد احمد و الشيخ الشاه محمد اسماعيل و أصحابهما. و نالوا منه جوائز و قطائع . ثم بعد ما طوى بساط حكم السِّيخ عملوا فى قوات الاستعمار البريطانى و ظلوا مشاركين فى قتال المجاهدين و قتلهم . فمنحت لهم الحكومة البريطانية جوائز و منحا تقديرا لخدماتهم التى ذكرها مرزا غلام احمد نفسه مرارا و تكرارا فى كتبه دون أدنى خجل أو حياء! !

برز مرزا غلام احمد القاديانى عالما دينيا أولا . ثم لم يلبث ان ادعى سنة ١٨٩١م أنه المسيح و المهدى . ثم تمادى به غيّه معتمدا على حماية الاستعمار الى أن ادعى لنفسه النبوة صراحة سنة ١٩٠١م. و ادعى أنه جاء لتجديد شريعة الاسلام و لإلغاء فكرة الجهاد لأنه مصدر الفساد . وجعل يؤكد حبه و ولاؤه للحكومة البريطانية الى حدّ جعل الاعتقاد بذلك جزءا من إيمان أتباعه و شرطا من شروط بيعتهم، و يعدّد إحسانها اليه و

الى أسلافه و أتباعه حتى يعتبر حركته غرسها . نكتفى هنا بذكر بعض أقواله :

(١) " يسأل بعض الحمقى والسفهاء أ يجوز الجهاد ضد هذه الحكومة أم لا؟ سؤالهم هذا فى غاية الحمق . لان الذى يجب ان يُشكر على مننه كيف يجوز الجهاد ضده ؟ اننى اقول بكل صدق و صراحة ان الإساءة الى المحسن لا تصدر الا من الحرامى و الوغد . ان عقيدتى التى اكررها هى أن للاسلام جزئين ، الاول : اطاعة الله و الثانى اطاعة هذه الحكومة التى بسطت الامن و آوتنا فى ظلها من الظالمين (شهادة القران ص ٣ طبع ١٨٩٣م) .

(٢) " فالعاقل حين يجد فى كتاباتى مقالات فى نصرة الدين من جانب و نصائحى باخلاص الولاء والطاعة لهذه الحكومة من جانب اخر ، لايسئ الظن بى . لأن الله و رسوله أمرا المسلمين ان يخلصوا الولاء للحكومة التى يعيشون فى كنفها و قد ذكرت فى مؤلفاتى هذه الاحكام الشرعية مفصلا. فلتتدبر الحكومة ان والدى كان مخلصا لها و كان شقيقى على أثره. وانا ايضا سخرت قلمى لهذه الخدمة منذ تسع عشرة سنة " (كشف الغطاء ص ٧).

(٣) " ايها الاحباب اتركوا الان فكرة الجهاد فقد حرمت الحرب والقتال للدين . و قد بدأت انوار الله تنزل من السماء فلا فائدة فى فتوى الحرب و الجهاد. و من جاهد بعد اليوم فهو عدو الله . و من اعتقد الجهاد فقد أنكر النبى " . (تحفة كولروية ص ٤١)

و يلخص شاعر الاسلام محمد اقبال رحمه الله نشاط القاديانية بقوله :

" كما شرحت فيما سلف أن وظيفة الحركة الاحمدية (القاديانية)

فى الفكر الدينى فى تاريخ المسلمين أنها تقدم أساسا الهاميا لعبودية الهند السياسية الحالية ."

بناء على هذه الدعاوى الكاذبة التى أصر عليها مرزا غلام احمد القاديانى مؤسس الحركة القاديانية و تحريفه للقران و الحديث و ولائه السافر للاستعمار البريطانى و الصهيونية ، أجمع علماء الاسلام فى العالم كله على تكفيره وتكفير أتباعه . وكذلك أصدر البرلمان الباكستانى قرارا اجماعيا بتكفيرهم و اعتبارهم أقلية غير مسلمة فى باكستان .ثم أيدته المحكمة الشرعية الفيدرالية والمحكمة العليا فى باكستان بقرارهما الاجماعى الشامل الذى يعتبر القول الفصل و أوثق مرجع معتمد عن هذه الفئة العميلة للاستعمار الغربى(١).

٢ - المشايخ و الصوفية المحترفون

الفئة الثانية التى عارضت جهاد الاستعمار البريطانى وعاندت هذه الحركة الاصلاحية و الجهادية المباركة هم المشايخ و الصوفية الجهال الخرافيون المتكسبون الذين اتخذوا المشيخة صناعة والطريقة وسيلة لأكل أحوال الناس بالباطل فيسعون لإخفاء تعاليم الكتاب و السنة و العقيدة الاسلامية الصحيحة عن العامة و يأمرونهم بالمغالاة فى تقديس المشايخ و القبور و اتخاذها أوثانا و اتخاذ الرسوم الشركية لانها مورد دخلهم . فرأوا فى انتشار العقيدة الاسلامية الصحيحة و نجاح هذه الدعوة الاصلاحية خطرا على رياستهم و سببا لكساد سوقهم .

---

(١) نشرته مكتبة دارالعلم ٦٩٩-آبپاره ماركيت اسلام اباد - باكستان باسم القاديانية فئة كافرة بثلاث لغات : العربية و الإنجليزية و الأردية .

فقابلها هؤلاء الخرافيون و الروافض بالانكار و المعارضة و تجرأ بعضهم على معاداة هؤلاء المجاهدين الربانيين و الكيد لهم . فكتبوا رسائل الى رؤساء العشائر و القبائل فى منطقة الحدود يحرضونهم عليهم بالافتراء ويغرون بينهم العداوة ، و آخرون ألفوا فتاوى و كتبا فى إسقاط الجهاد عن المسلمين ، و حاولوا تبرير الاحتلال الغربى للهند حتى اعتبروه ظل الله فى الأرض. و قد لخص شاعر الاسلام اقبال جهل هؤلاء و سخافة فكرهم فى بيت له إذ يقول :

ملاں کو جو ہے ہند میں سجدے کی اجازت
نادان یہ سمجھتا ہے کہ اسلام ہے آزاد

(يسمح الاستعمار للدرويش أن يسجد و يصلى فى الهند ، فيعتقد الجاهل الغبى أن الإسلام يتمتع بحرية).

اتهامهم بالوهابية : و من التهم و الأكاذيب التى أشاعها الاستعمار البريطانى عن قادة هذه الحركة و شاركه فى ترويجها علماء السوء و القبوريون و غلاة المقلدين و الروافض ، " أنهم وهابيون ، و الوهابية مذهب جديد اخترعه شخص فى نجد اسمه عبد الوهاب ، و هؤلاء أتباعه و عملاؤه ، و أنهم لايحبون النبى صلى الله عليه وسلم و لايصلّون عليه ، و لايرون للصالحين شرفا و لاكرامة " . بمثل هذه الافتراءات ظل علماء الاستعمار يقاومون هذه الدعوة الاسلامية و يدعون عامة المسلمين و حتى غير المسلمين الى مقاطعتها و هجرها و قتالها . فحقق الاستعمار بذلك أغراضا عديدة : أولا تشويه سمعة دعوة العقيدة السلفية التى رفع رايتها شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب و أنصاره فى تلك المدة . ثانيا: تشويه سمعة قادة هذه الحركة فى شبه قارة الهند . ثالثا : منع المسلمين من فهم عقيدة الاسلام الصحيحة و اتباع الشريعة ، و بث الاختلاف و الفرقة بينهم.

فراجت هذه الدعاية الكاذبة فى عامة المسلمين بسبب جهلهم و

ظلت منتشرة مدة طويلة ، و لاتزال فئات متمسكة بها ، و إن قل تأثيرها في الطبقات الواعية . ثم تعود الاستعمار تسمية كل حركة اسلامية تهتم باصلاح العقيدة أو اتباع السنة أو جهاد الكفار، بالوهابية. (و قد استبدل بها الآن كلمة أصوليين (fundamentalists).

العصر الاخير

بعد وفاة الشيخ عبدالكريم حدث خلاف بين قادة الحركة في مقرها فأصابها ضعف و لكنهم بفضل الله و اصلوا أعمال الدعوة و الجهاد ، و ظلوا مرابطين يجاهدون القوات البريطانية حتى جلاءها عن الهند و إنشاء باكستان سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) . و من أبرز المجاهدين الأبطال الذين خاضوا المعارك و قادوا المجاهدين في هذه المدة او ساهموا في دعم الحركة ، فسجلوا مآثر عظيمة لا ينساها التاريخ :

(١) الشيخ نعمت الله، تولى الامارة مدة قليلة .

(٢) الشيخ رحمت الله ، تولى امارة المجاهدين في مقر أسمس و اشترك في جهاد كشمير ايضا .

(٣) الشيخ عبدالرحيم (محمد بشير) ابن الشيخ رحيم بخش اللاهوري تلميذ شيخ الكل المحدث السيد نذير حسين الدهلوي كان مجاهدا نشيطا دؤوبا .

(٤) الشيخ المجاهد فضل الهي الوزيرآبادي تلميذ المحدث الحافظ عبدالمنان الوزيرآبادي تولى إمارة المجاهدين في مقر جمركند. كانت له نشاطات و جولات و جهود عظيمة في تنظيم المجاهدين و محاربة الاستعمار البريطاني و لعب دورا مهما في جهاد كشمير و تأييد خطة باكستان . توفي في ٥ مايو ١٩٥١م.

(٥) الشيخ الصالح ولى محمد ، خدم الجهاد و المجاهدين مدة طويلة.
(٦) الشيخ الصالح الصوفى محمد عبدالله ، كان له مساع حميدة فى دعم الجهاد و رعاية المجاهدين و نشر الدعوة السلفية . أسس جامعة تعليم الاسلام فى مامونكانجن(فيصل آباد)، و هى من أكبر المعاهد السلفية و من ذكريات المجاهدين (١).
(٧) و الشيخ راغب احسن من البنغال، كان له دور عظيم فى دعم الجهاد و نشر الدعوة فى الأقاليم الشرقية .
(٨) و من قصور بقرب لاهور الشيخ عبدالقادر و ابناه الشيخ محيى الدين احمد و الشيخ محمد على .
(٩) الشيخ محمد على اللكوى ابن الشيخ محي الدين عبدالرحمن ابن الشيخ محمد ابن الشيخ بارك الله . و هى أسرة ربانية لها دور عظيم فى نشر العقيدة والدعوة السلفية و العلم ، و إصلاح المجتمع من المنكرات و الرسوم الفاسدة ، و من مآثرها الجامعة المحمدية فى أوكارا و هى من أقدم المعاهد السلفية (٢) .

---

(١) يتولى ادارتها حاليا الشيخ عبدالقادر الندوى و الشيخ القاضى محمد اسلم.
(٢) يديرها حاليا ابنه الشيخ الفاضل معين الدين اللكوى عضو الجمعية الوطنية الباكستانية .

دورهم فى إنشاء باكستان

و

تحرير كشمير

فى هذه الأثناء انتشر فى أهل الهند وعي سياسى و اجتماعى عام بعدما ذاقوا أنواعا من العذاب و الظلم من الاستعمار البريطانى و اشتد الاستياء و التذمر من حكمه الجائر ، و نبغ فى الهند علماء و قادة أيقظوا الرأى العام و نظموا حركات سياسية و تعليمية اسلامية . و قدم شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال رحمه الله فكرة إنشاء باكستان فى المناطق الشمالية ذات الاكثرية المسلمة ، و هى التى شملتها خطة المجاهدين . فتعاون المجاهدون مع هؤلاء القادة و لعبوا دورا مهما فى إحباط مؤامرات العلمانيين و الاشتراكيين والقوميين و عملائهم . و أيدوا خطة باكستان تأييدا كاملا و بذلوا جهدهم فى دعمها لأنهم ظلوا يرفعون راية الجهاد لتحقيقها منذ أكثر من قرن . الى أن تم بفضل الله وتوفيقه جلاء الانجليز من الهند و تقسيمها الى دولتين : باكستان و الهند فى ١٤ اغسطس ١٩٤٧م . و بذلك تحققت غاية الجهاد . فأعلن أمير المجاهدين الشيخ فضل الهى الوزيرآبادى انتهاء حركته . و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

و من جهة أخرى كانت الروح الايمانية و الحماسة الاسلامية والغيرة الدينية التى نفختها و غذتها هذه الحركة الجهادية فى المسلمين فى أنحاء الهند عامة و أقاليم البنغال و بهار و البنجاب و الحدود الشمالية خاصة ، عاملا قويا فى تأييد خطة باكستان وتوجيه المجتمع الاسلامى مما جعل

الشعب البنغالى ينضم الى باكستان رغم بعد موطنه عنها اكثر من ألف ميل.

وكذلك كان لجماعة المجاهدين دور مهم فى حركة جهاد كشمير لتحريرها من حكم دوجره المشركين، و التى قامت فى ١٧ رمضان ١٣٦٦هـ (٥ اغسطس ١٩٤٧م) بقيادة المجاهد الاول سردار محمد عبدالقيوم خان رئيس وزراء كشمير حاليا و الذى أبلى فيها بلاء حسنا، وكان ممن بايع أمير المجاهدين الشيخ فضل الهى الوزيرآبادى . و اشترك فيها المجاهدون كلهم مع اخوانهم المجاهدين الكشميريين و من أهل هزارا حتى تمكنوا من طرد جيش المشركين و فتحوا رقعة واسعة من كشمير أسست فيها حكومة كشمير الحرة.

المـــراجـــع

اعتمدت فى تأليف هذا الكتب على مؤلفات الامام الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله و خاصة حجة الله البالغة و ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء و التفهيمات الالهية . و قد مضى ذكرها فى فصل خاص، فلا داعى الى إعادة ذكرها هنا . أما المراجع الأخرى التى استفدت منها ، فأهمها :

(١) تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند للشيخ مسعود عالم الندوى

(٢) حيات ولى للشيخ رحيم بخش الدهلوى

(٣) اذا هبت ريح الايمان للعلامة ابى الحسن الندوى

(٤) الامام الذى لم يوف حقه من الانصاف و الاعتراف للعلامة الشيخ ابى الحسن الندوى

(٥) سيد احمد شهيد للأستاذ غلام رسول مهر

(٦) جماعت مجاهدين للأستاذ غلام رسول مهر

(٧) سرگزشت مجاهدين للأستاذ غلام رسول مهر

(٨) هندوستان ميں وهابى تحريك للدكتور قيام الدين احمد

(٩) الصراط المستقيم للامام السيد احمد الشهيد

(١٠) تقوية الايمان مع تذكير الاخوان لشاه محمد اسماعيل الشهيد

(١١) كوائف ياغستان للشيخ خالد الكرجاكى

(١٢) تحريك مجاهدين كا آخرى دور للشيخ خالد الكرجاكى

و فرغت من تأليف هذا الكتاب بتوفيق الله يوم السبت ٢٧ شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٩٣م . و الحمد لله أولا و آخرا . و صلى الله على سيدنا محمد و آله و أصحابه ، و من تبعهم باحسان الى يوم الدين . ربنا تقبل منا ، انك انت السميع العليم .

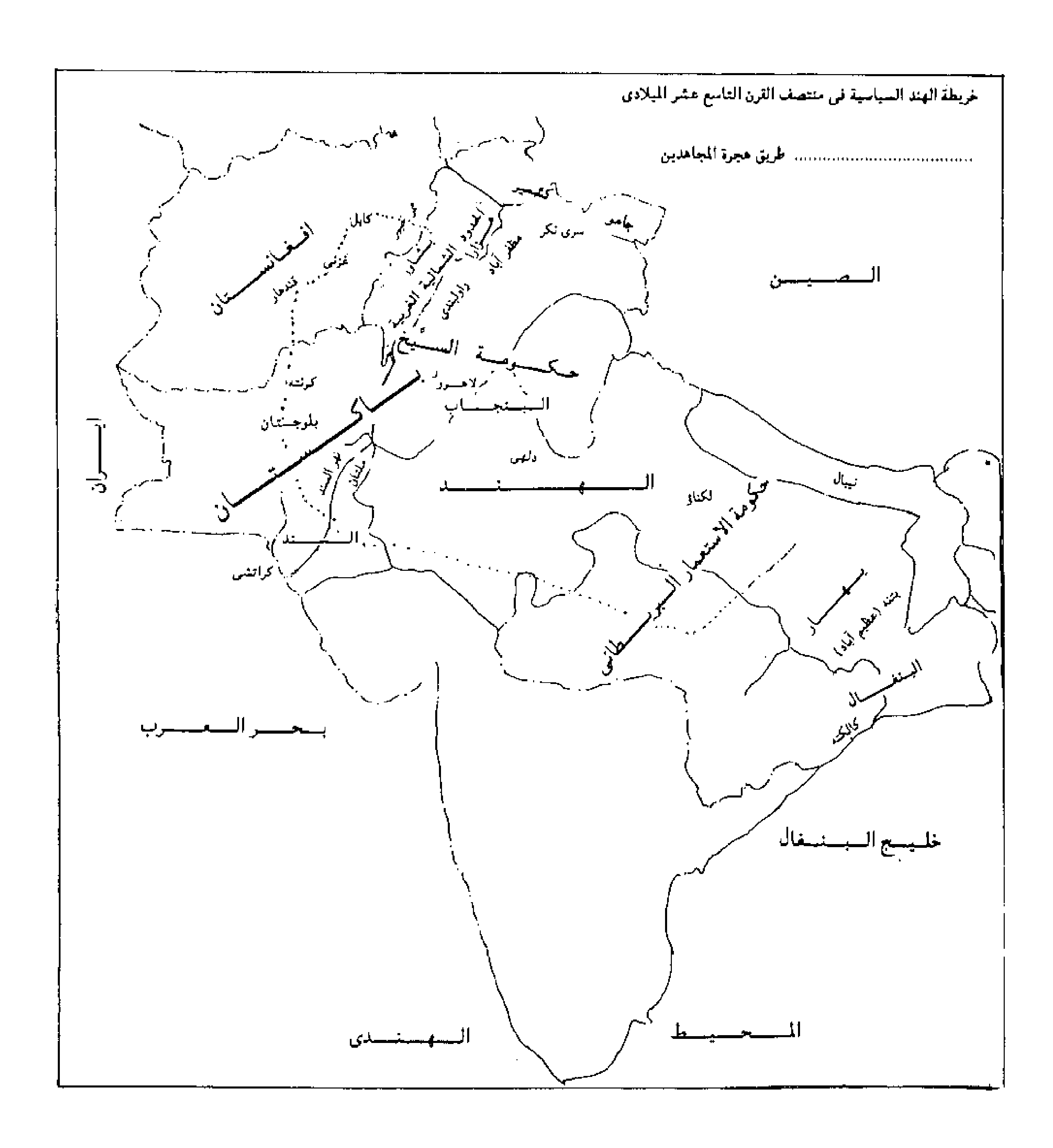
العبد الفقير الى الله محمد بشير

الفهرس

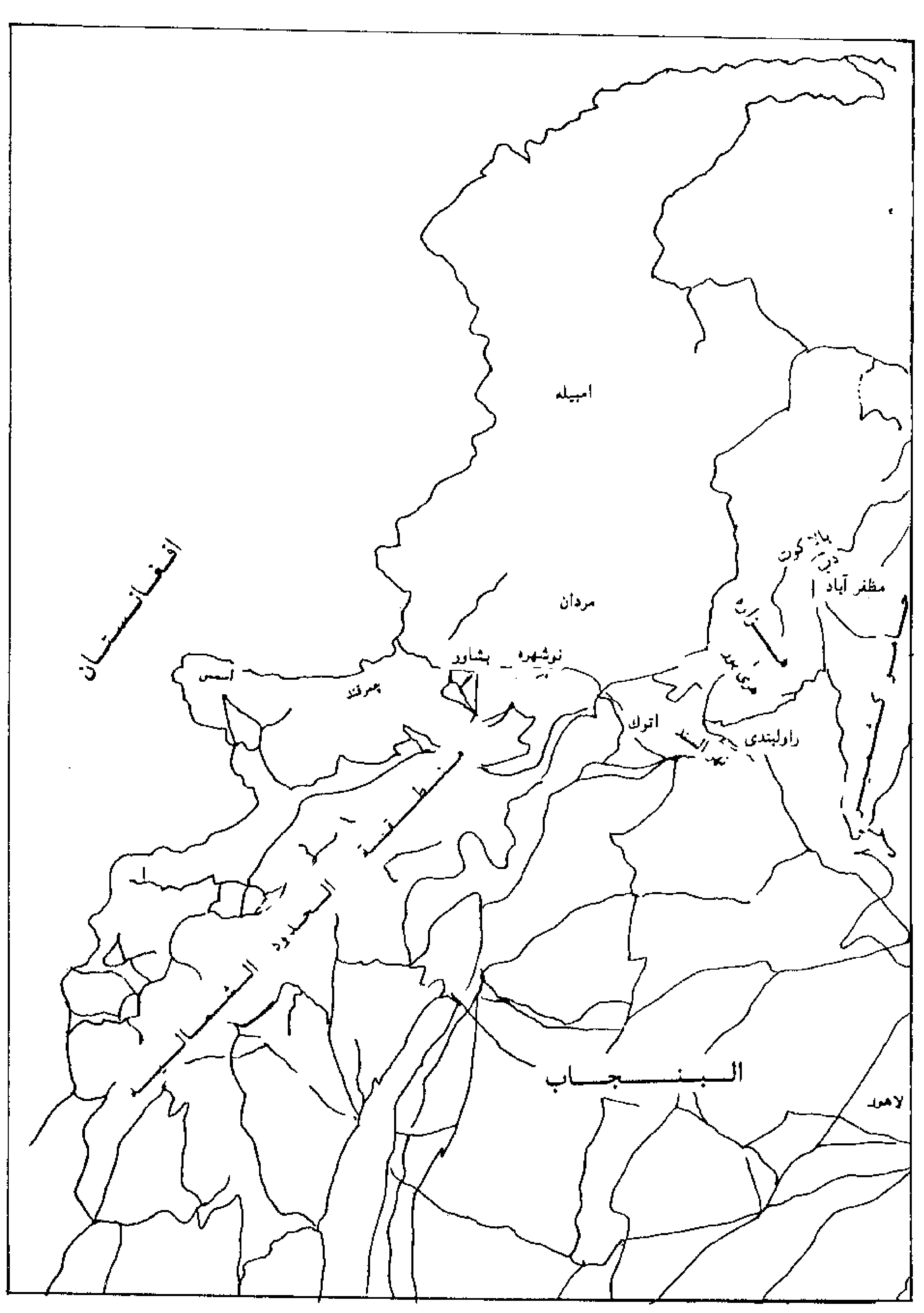
صفحة

صفحة

صفحة



خريطة الهند السياسية فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى
طريق هجرة المجاهدين
الصين
افغانستان
كابل
غزنى
قندهار
كوئته
بلوجستان
ايران
باكستان
حكومة السيخ
الحدود الشمالية الغربية
هزارا
مظفر آباد
راولبندى
سرى نكر
جامو
لاهور
البنجاب
دلهى
الهند
ملتان
نهر السند
السند
كراتشى
لكناؤ
نيبال
حكومة الاستعمار البريطانى
بهار
بتنه (عظيم آباد)
البنغال
كالكته
بحر العرب
خليج البنغال
المحيط الهندى



خريطة الحدود الشمالية